ذخائر العرب ٧٥

الرسالة القشيرية

للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري

تحقيق

الإمام الدكتور عبد الحليم محمود — الدكتور محمود بن الشريف

الجزء الثاني



دار المعارف



الرسالة القشيرية

للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري

تحقيق

الإمام الدكتور عبد الحليم محمود

الدكتور محمود بن الشريف

الجزء الثاني



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾



باب الرضا

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ... الآية[١] .

أخبرنا علىّ بن أحمد الأهوازى ، رحمه الله ، قال : حدّثنا أحمد بن عبيد البصرىّ ، قال : حدثنا الكريمى ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسماعيل السلالّ ، قال : حدثنا أبو عاصم العبادانى ، عن الفضل بن عيسى الرقاشىّ ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ . « بينا أهلُ الجنة فى مجلس لهم ، إذ سطع لهم نورٌ على باب الجنة ، فرفعوا رءوسهم ، فإذا الربُّ تعالى قد أشرف عليهم ، فقال : يا أهل الجنة ، سلونى . فقالوا : نسألك الرِّضا عنّا ، قال تعالى : رضاىَ قد أحلكم دارى ، وأنالكم كرامتى ، هذا أوانها ، فاسألونى . قالوا : نسألك الزيادة . قال : فيؤتَون بنجائب من ياقوت أحمر .. أزمتها زُمُرّدٌ أخضر ، وياقوت أحمر ، فجاءوا عليها ، تضع حوافرَها عند منتهى طَرْفها[٢] ، فيأمر الله ، سبحانه ، بأشجار عليها الثمار ، وتجىء جوار من الحور العين ، وهنّ يقلن : نحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواجٍ قوم مؤمنين كرام ، ويأمر الله ، سبحانه ، بكُثْبانٍ[٣] من مسك أبيض أذفر ، فتثير عليهم ريحاً يُقال لها « المثيرة » حتى تنتهى بهم إلى جنّة عدن ، وهى « قصبةُ »[٤] الجنّة ، فتقول الملائكة : يا ربّنا ، قد جاء القوم . فيقول الله : مرحباً بالصّادقين .. مرحباً بالطّائعين .

قال : فيكْشَف لهم الحجاب .. فينظرون إلى الله ، عزّ وجلّ .. فيتمتعون بنور الرحمن ، حتى لا يُبصرَ بعضهم بعضاً ، ثم يقول : أرجعوهم إلى القصور بالتحف قال : فيرجعون ، وقد أبصر بعضهم بعضاً . فقال رسول الله ﷺ : فذلك قوله تعالى : ﴿ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[٥] .

وقد اختلف العراقيون والخراسانيون فى الرِّضا : هل هو من الأحوال ، أو من المقامات .

فأهل خراسان قالوا : الرضا : من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، ومعناه : أنه يئول إلى أنه مما يتوصل إليه العبد باكتسابه .

---

(١) آية ٨ من سورة البينة .
(٢) أى بصرها .
(٣) أى تلال .
(٤) أى وسطها والمراد أحسنها .
(٥) آية ٣٢ من صورة فصلت .

وأمّا العراقيون ؛ فإنهم قالوا : الرضا : من جملة الأحوال ، وليس ذلك كسباً للعبد ، بل هو نازلةٌ تحلّ بالقلب كسائر الأحوال .

ويمكن الجمع بين اللسانين[1] ؛ فيقال : بداية الرِّضا مكتسبة للعبد ، وهى من المقامات ، ونهايته من جملة الأحوال ، وليست بمكتسبة .

وتكلّم الناس فى الرِّضا ؛ فكلّ عبر عن حاله وشِرْبه[2] ، فهم فى العبارة عنه مختلفون ، كما أنهم فى الشِّرْب والنصيب من ذلك متفاوتون .

فأمّا شرط العلم ، والذى هو لابدّ منه : فالراضى بالله تعالى ، هو : الذى لا يعترض على تقديره .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : ليس الرِّضا أن لا تحسَّ بالبلاء ، إنما الرِّضا : أن لا تعترض على الحكم والقضاء .

واعلم أن الواجب على العبد : أن يرضى بالقضاء الذى أُمِر بالرِّضا به ؛ إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به ؛ كالمعاصى ، وفنون محن المسلمين .

وقال المشايخ : الرِّضا بابُ الله الأعظم ـ يعنون : أنّ من أكرم بالرضا فقد لقى بالترحيب الأوْفى ، وأكرم بالتقريب الأعلى .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ قال : حدثنا العباس بن حمزة قال : حدثنا ابن أبى الحوارى قال : قال عبد الواحد بن زيد : الرضا بابُ الله الأعظم ، وجنةُ الدنيا .

واعلم : أن العبد لا يكاد يرضى عن الحقّ . سبحانه ، إلا بعد أن يرضى عنه الحقُّ سبحانه ؛ لأن الله عزّ وجلّ قال : ﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[3] .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : قال تلميذ لأستاذه : هل يعرف العبدُ أن الله تعالى راضٍ عنه ؟ فقال : لا ، كيف يعلم ذلك . ورضاه غَيب ؟ فقال التلميذ : بل يعلم ذلك ، فقال : كيف ؟! فقال : إذا وجدتُ قلبى راضياً عن الله تعالى . علمت أنه راضٍ عنى فقال الأستاذ : أحسنت يا غلام .

وقيل : قال موسى عليه السلام : إلهى ، دلنى على عمل إذا عملتهُ رضيتَ به عنى . فقال :

---

(١) أى القولين .

(٢) أى نصيبه .

(٣) آية ٨ من سورة البينة .

إنك لا تُطيق ذلك . فخرّ موسى عليه السلام ساجداً له ، متضرِّعاً ، فأوحى الله تعالى إليه : يا ابن عمران ، إن رضاى فى رضاك بقضائى .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ ، قال : حدثنا العباس بن حمزة قال : حدثنا ابن أبى الحوارى قال : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راضٍ .

وسمعته يقول : سمعت النصر اباذى يقول : من أراد أن يبلغ محل الرِّضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه .

وقال محمد بن خفيف : الرضا على قسمين : رضا به ، ورضا عنه ؛ فالرضا به أن يرضاه مدبراً ، والرضا عنه فيما يقْضى .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : طريق السالكين أطول ، وهو طريق الرياضة ، وطريق الخواصّ أقرب ، لكنه أشقُّ ، وهو أن يكون عملك بالرضا ، ورضاك بالقضاء .

وقال رويم : الرضا : أن لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أن يحوّلها إلى يساره .

وقال أبو بكر بن طاهر : الرضا : إخراج الكراهية من القلب ، حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور .

وقال الواسطى : استعمل الرضا جهدك ، ولا تدع الرضا يستعملك ؛ فتكون محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع .

وأعلم أن هذا الكلام الذى قاله الواسطى شىء عظيم ، وفيه تنبيه على مُقطعة للقوم خفيه ، فإن السكون عندهم إلى الأحوال : حجاب عن محول الأحوال ، فإذا استلذّ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله عن شهود حقه .

ولقد قال الواسطى أيضاً : إياكم واستحلاءَ الطاعات ، فإنها[1] سموم قاتلة .

وقال ابن خفيف : الرضا : سكون القلب إلى أحكامه ، وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره له .

وسئلت رابعة العدوية : متى يكون العبد راضياً ؟ فقالت : إذا سرّته المصيبة كما سرّته النعمة .

---

(١) الأولى أن يقال . فإنه . أى استحلاء الطاعات . أى التلذذ بنوع منها .

وقيل . قال الشبلى بين يدى الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له الجنيد : قولك ذا ضِيقُ صدر ، وضِيقُ الصدر لترك الرضا بالقضاء ، فسكت الشبلى .

وقال أبو سليمان الدارانى : الرضا : أن لا تسأل الله تعالى الجنة ، ولا تستعيذ به من النار .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادىَّ يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون المصرى ، رحمه الله ، يقول : ثلاثة من أعلام الرضا :

ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء ، وهيجان الحبِّ فى حشو البلاء .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن جعفر البغدادى يقول : سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول : سمعت محمد بن يزيد المبرِّد يقول : قيل للحسين بن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهما : إنَّ أبا ذرّ يقول : الفقر أحب إلىَّ من الغنى ، والسقم أحبّ إلىّ من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذرّ ، أما أنا فأقول : من اتّكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمنَّ غيرَ ما اختاره الله عز وجلّ له .

وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافىِّ : الرضا أفضل من الزهد فى الدنيا ؛ لأن الراضى لا يتمنى فوق منزلته .

وسئل أبو عثمان عن قول النبى ﷺ : « أسألك الرضا بعد القضاء » فقال : لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا ، والرضا بعد القضاء هو الرضا .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله الرازى يقول : سمعت ابن أبى حسان الأنماطى يقول : سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول : سمعت أبا سليمان يقول : أرجو أن أكون عرفت طرفاً من الرضا : لو أنه أدخلنى النار لكنت بذلك راضياً .

وقال أبو عمر الدمشقى : الرِّضا : ارتفاع الجزع فى أىِّ حكم كان ، وقال الجنيد : الرضا : رفع الاختيار ، وقال ابن عطاء الرضا : نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد ، وهو ترك التّسخط ، وقال رُويم الرضا : استقبال الأحكام[1] بالفرح ، وقال المحاسبى : الرضا : سكون القلب تحت مجارى الأحكام ، وقال النورى[2] : الرضا : سرور القلب بمُرِّ القضاء .

---

(١) أى البلايا .
(٢) وفى نسخة « ذو النون » .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت الجريرى يقول : من رضى بدون قَدْره رفعه الله تعالى فوق غايته .

وسمعته يقول : سمعت أحمد بن على يقول : سمعت الحسن بن عَلَوية يقول : قال أبو تراب النخشبى : ليس ينال الرضا من للدنيا فى قلبه مقدار .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال : حدثنا عبد الله بن شترويه قال : حدثنا بشر بن الحكم قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن يزيد بن الهادى ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ :

« ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًّا » .

وقيل : كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنهما » : « أما بعد ، فإن الخير كله فى الرضا ، فإن استطعتَ أن ترضى ، وإلا ، فاصبر » .

وقيل : إنَّ عتبة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح : « إن تعذبنى فأنا لك محب ، وإن ترحمنى فأنا لك مُحب » .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، يقول : الإنسان خزف ، وليس للخزف من الخطر ما يعارض فيه حكم الحقِّ تعالى .

وقال أبو عثمان الحيرى : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله ، عز وجل ، فى حال فكرهتهُ ، وما نقلنى إلى غيره فسخطته .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : غضب رجل على عبدٍ له ، فاستشفع العبد إلى سيده إنساناً ، فعفا عنه ، فأخذ العبد يبكى ، فقال له الشفيع : لمَ تبكى وقد عفا عنك سيدك ؟ فقال له السيدُ : إنما يطلب الرضا منى ولا سبيل له إليه ، فإنما يبكى لأجله[1] .

---

(١) فإن العفو غير الرضا .



باب العبودية

قال الله عزّ وجلّ . ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[1] .

وأخبرنا أبو الحسن الإهوازى ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال حدّثنا عبيد بن شريك قال : حدثنا يحيى قال : حدثنا مالك ، عن حبيب بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن عمر بن الخطاب ، عن أبي سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله : إمامٌ عادل ، وشاب نشأ فى عبادةِ الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرّقا عليه ، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال : إنى أخاف الله ربّ العالمين ، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

العبودية أتم من العبادة ، فأولاً : عبادة ، ثم عبودية ؛ ثم عبودة .

فالعبادة للعوامّ من المؤمنين ، والعبودية للخواصّ ، والعبودة لخاصّ الخاصّ .

وسمعته يقول : العبادة : لمن له علم اليقين ، والعبودية ؛ لمن له عين اليقين ، والعبودة : لمن له حق اليقين .

وسمعته يقول : العبادة : لأصحاب المجاهدات ، والعبودية : لأرباب المكابدات ، والعبودة : صفة أهل المشاهدات ، فمن لم يدّخر عنه نفسَه ، فهو صاحب عبادة ، ومن لم يضنّ عليه بقلبه فهو صاحب عبودية : ومن لم يبخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة .

ويقال : العبودية : القيام بحقّ الطاعات بشرط التوفير[2] والنظير إلى ما منك بعين التقصير ، وشهود ما يحصل من مناقبك من التقدير .

ويقال : العبودية : ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار .

---

(١) آية ٩٩ من سورة الحجر .

(٢) أى موفرة كاملة .

ويقال : العبودية : التبرؤ من الحول والقوة ، والإقرارُ بما يعطيك ويوليك من الطوْل[1] والمنة .

ويقال : العبودية : معانقة ما أمرت به ، ومفارقة ما زجرت عنه .

وسئل محمد بن خفيف : متى تصحّ العبودية ؟ فقال : إذا طرح كله[2] على مولاه ، وصبر معه على بلواه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت ابن مسروق يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول : لا يصح[3] التعبد لأحدٍ حتى لا يجزع من أربعة أشياء : من الجوع والعرى ، والفقر ، والذلّ .

وقيل : العبودية : أن تسلم إليه كلكَ ، وتحمل عليه كلك .

وقيل : من علامات العبودية : تركُ التدبير ، وشهودُ التقدير .

وقال ذو النون المصريّ : العبودية : أن تكون أنت عبده فى كلّ حال ، كما أنه ربك فى كل حال .

وقال الجريرى : عبيدُ النعم كثير عديدهم ؛ وعبيدُ المنعم عزيزٌ وجودهم .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : أنت عبدُ من أنت فى رقه وأسره ، فإن كنت فى أسر نفسك فأنت عبدُ نفسك ، وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبدُ دنياك .

قال رسول الله ﷺ : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة »[4] .

ورأى أبو رزين رجلًا فقال له : ما حِرفتك ؟ فقال : خر بندة »[5] .

فقال : أمات الله تعالى حمارك ، لتكون عبد الله ، لا عبد الحمار .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : سمعت جدّى أبا عمرو بن نجيد يقول : لا تصفو لأحدٍ قدمٌ فى العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء ، وأحواله دعاوى . وسمعته يقول : سمعت عبد الله المعلم يقول : سمعت عبد الله بن منازل يقول : العبد عبد مالم يطلب لنفسه خادماً ،

---

(١) الطول . الغنى .
(٢) أى ثقله .
(٣) أى لا يصلح .
(٤) الخميصة : كساء أسود مربع من خز أو صوف .
(٥) لفظة غير عربية معناها : خادم حمارى .

فإذا طلب لنفسه خادماً فقد سقط عن حدّ العبودية وترك آدابها .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت ابن مسروق يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول : لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة فى العدم ، ولا أثر الغنى فى الوجود وقيل : العبودية شهود الربوبية .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصر اباذى يقول : قيمة العابد بمعبوده ، كما أنّ شرف العارف بمعروفه .

وقال أبو حفص : العبودية زينة العبد ، فمن تركها تعطل من الزينة .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عباس بن حمزة يقول : حدثنا أحمد بن الحوارى قال : سمعت النباجى يقول : أصل العبادة فى ثلاثة أشياء :

لا تردَّ من أحكامه شيئاً ، ولا تدخر عنه شيئاً ، ولا يسمعك تسأل غيره حاجة .

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسن الفارسى يقول : سمعت ابن عطاء يقول : العبودية فى أربع خصال : الوفاء بالعهود ، والحفظ للحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر عن المفقود .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت الكتانى يقول : سمعت عمرو بن عثمان المكىَّ يقول : ما رأيت أحداً من المتعبدين ، فى كثرة من لقيت بمكة وغيرها ، ولا أحداً ممن قدم علينا فى المواسم أشدّ اجتهاداً ولا أدوم على العبادة من المزنى[1] ، رحمه الله تعالى ، ولا رأيت أحداً أشدّ تعظيماً لأوامر الله تعالى منه ، وما رأيت أحداً أشد تضييقاً على نفسه وتوسعة على الناس منه .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : ليس شىء أشرف من العبودية ، ولا اسم[2] أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ، ولذلك قال سبحانه فى وصف النبى ﷺ ليلة المعراج – وكان أشرف أوقاته فى الدنيا – ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[4] ، فلو كان اسمٌ أجلّ من العبودية لسماه به .

---

(١) من أصحاب الإمام الشافعى .
(٢) أى : وصف .
(٣) آية ١ من سورة الإسراء .
(٤) آية ١٠ من سورة النجم .

وفى معناه أنشدوا :

يا عمرو ثارى عند زهرائى   يعرفهُ السامعُ والرائى
لا تدعنى إلا بياعبدها   فإنه أشرف أسمائى

وقال بعضهم : إنما هو شيئان : سكونك إلى اللذة ، واعتمادك على الحركة ، فإذا أسقطت عنك هذين فقد أديتَ العبودية حقها .

كما قال الواسطى : احذروا لذة العطاء ؛ فإنها غطاء لأهل الصفاء .

وقال أبو على الجوزجانى : الرضا : دار العبودية ، والصبر بابه ، والتفويض بيته ، فالصوت على الباب والفراغة فى الدار والراحة فى البيت .

سمعت الأستاذ أبا علىٍّ الدقاق يقول : كما أن الربوبية نعت للحقِّ سبحانه لا يزول عنه ، فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه مادام .

وأنشد بعضهم :

فإن تسألونى قلت : ها أنا عبدهُ   وإن سألوه قال ها ذاك مولايا[1]

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت النصر اباذى يقول : العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقربُ منها إلى طلب الإعواضِ والجزاء عليها .

وسمعته يقول : سمعت النصر أباذى يقول : العبودية اسقاط رؤية التعبّد فى مشاهدة المعبود .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت الجريرى يقول . سمعت الجنيد يقول : العبودية ، تركُ الأشغال ، والاشتغالُ بالشغل الذى هو أصل الفراغة[2] .

---

(١) أى عبدى ومملوكى .

(٢) الفراغة : الجزع . قال الشيخ زكريا : بأن يشتغل العبد بالطاعات ويرى الفضل لمجريها عليه فى عموم الأوقات فإذا وصل إلى هذه الحالة استراح قلبه من هم التقديرات ورضى وفوض أمره إلى خالق البريات ، وهذه هى الفراغة من كل ما يضر .

باب الإرادة

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والْعشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[1] .

وأخبرنا : على بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا هشام بن على قال : حدثنا الحكم بن أسلم قال : أخبرنا إسماعيل بن جعفر ، عن حميد ، عن أنس رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله . فقيل له : كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت[2] » .

والإرادةُ : بدء طريق السالكين ، وهى اسم لأوّل منزلة القاصدين إلى الله تعالى .

وإنما سميت هذه الصفة : إرادة : لأن الإرادة مقدِّمة كلِّ أمر ، فما لم يُرد العبد شيئاً لم يفعله ، فلما كان هذا أوَّل الأمر لمن سلك طريق الله عز وجل سُمى : إرادة تشبيها بالقصد فى الامور الذى هو مقدمتها .

والمريد ، على موجب الاشتقاق : من له إرادة ، كما أن العالم : من له علم ؛ لأنه من الأسماء المشتقة .

ولكن المريد فى عُرف هذه الطائفة : من لا إرادة له ، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً ، كما أنَّ من لا إرادة له ، على موجب الاشتقاق ، لا يكون مريداً .

وتكلّم الناس فى معنى الإرادة ؛ فكلٌّ عبر على حسب ما لاح لقلبه ، فأكثر المشايخ قالوا :

الإرادة : ترك ما عليه العادة ، وعادة الناس - فى الغالب - التعريجُ[3] فى أوطان الغفلة ، والركونُ إلى اتّباع الشهوة ، والإخلادُ إلى ما دعت إليه المنْيَة[4] .

والمريد منسلخ عن هذه الجملة ؛ فصار خروجه إمارة ودلالةٌ على صحة الإرادة ، فسميت تلك الحالة : إرادة ، وهى خروج عن العادة ؛ فإن[5] ترك العادة أمارة الإرادة .

---

(١) آية ٥٢ من سورة الأنعام .

(٢) حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده والترمذى وابن حيان والحاكم عن أنس وتمامه (... ثم يقبضه عليه) وروى نحوه عمرو بن الحمق أن النبى ﷺ قال « إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله قيل وما استعمله ؟ قال يفتح له عملًا صالحًا بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله) رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك .

(٣) أى الإقامة .

(٤) أى المبتغى والمقصود .

(٥) وفى نسخة « فإذن » .

فأما حقيقتها : فهى نهوض القلب فى طلب الحقّ ، سبحانه ، ولهذا يقال : إنّها لوعةٌ تهوّن كلَّ روْعة[١] .

سمعت : الأستاذ أبا علىّ الدقائق ، رحمه الله ، يقول حاكياً عن ممشاد الدينورى ، أنه قال : مذْ علمتُ أن أحوال الفقراء جدٌّ كلها لم أمازح فقيراً ؛ وذلك أن فقيراً قدم علىّ فقال : أيها الشيخ أريد أن تتخذ لى عصيدة .. فجرى على لسانى إرادة وعصيدة فتأخّر الفقير ولم أشعر به ، فأمرتُ باتخاذ عصيدة .. وطلبت الفقير فلم أجده .. فتعرَّفت خبره .. فقيل لى : إنه انصرف من فوره ، وكان يقول فى نفسه : إرادة وعصيدة .. إرادة وعصيدة .. وهام على وجهه حتى دخل البادية ، ولم يزل يقول هذه الكلمات حتى مات .

وعن بعض المشايخ قال : كنت بالبادية وحدى ، فضاق صدرى ، فقلت : يا إنس ، كلّمونى .. يا جنّ كلّمونى ، فهتف بى هاتف : ما تريد ؟ فقلت : أريد الله تعالى ، فقال : متى تريد الله ؟ يعنى : أنّ من قال للجن والإنس : كلمونى ، متى يكون مريداً لله عزّ وجل ؟! والمريد لا يفتر آناء الليل والنهار ، فهو فى الظاهر بنعت المجاهدات ، وفى الباطن يوصف المكابدات .. فارق الفِراش ، ولازم الانكماش ، وتحمّل المصاعب ، وركب المتاعب ، وعالج الأخلاق ، ومارس المشاقّ ، وعانق الأهوال ، وفارق الأشكال ، كما قيل :

ثم قطعت الليل فى مَهْمَةٍ[٢] لا أسد أخشى ولا ذيبا
يغلبنى شوْقى فأطوِى السُّرَى[٣] ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

سمعت : الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : الإرادة : لوعة فى الفؤاد .. لدغة فى القلب .. غرام فى الضمير .. انزعاج فى الباطن .. نيران تتأجج فى القلوب .

سمعت محمد بن ا لحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت أبا بكر السباك يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : كان بين أبى سليمان وأحمد بن أبى الحوارى عَقد : لا يخالفه أحمد فى شىء يأمره به .. فجاءه يوماً وهو يتكلم فى مجلسه ، فقال : إن التنُّور قد سُجر[٤] ، فما تأمر ؟ فلم يجبه ، فقال مرتين أو ثلاثة ، فقال أبو سليمان : اذهب فاقعد فيه !! كأنه ضاق به قلبه ، وتغافل عنه أبو سليمان ساعةً ، ثم ذكر[٥] فقال : أدركوا أحمد فإنه فى التنور ؛ لأنه آلى على نفسه أن لا يخالفنى ؛ فنظروا فإذا هو فى التنور لم تحترق منه شعرة .

---

(١) فزعة .
(٢) صحراء .
(٣) السير ليلاً .
(٤) حمى .
(٥) تذكر .

وسمعت الأستاذ أبا عليّ ، يقول : كنت فى ابتداء صباى محترقاً[1] فى الإرادة وكنت أقول فى نفسى : ليت شعرى !! ما معنى الإرادة .

وقيل : من صفات المريدين : التحببُ إليه بالنوافل ، والخلوصُ فى نصيحة الأمّة ، والأنسُ بالخلوة ، والصبرُ على مقاساة الأحكام ، والإيثارُ لأمره ، والحياءُ من نَظَره ، وبذل المجهود فى محبوبه ، والتعرّضُ لكلِّ سبب يوصل إليه ، والقناعة بالخمول[2] ، وعدمُ القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الربّ .

وقال أبو بكر الورّاق : آفة المريد ثلاثةُ أشياء : التزويج ، وكتابة[3] الحديث ، والأسفار .

وقيل له : لِمَ تركت كتابة الحديث ؟ فقال : منعتنى عنها الإرادة .

وقال حاتم الأصمّ : إذا رأيت المريد يريد غيرَ مُراده ، فاعلم أنه قد أظهر نَذَالته[4] .

سمعت : محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الكتانى . يقول : مِن حكم ا لمريد أن يكون فيه ثلاثه أشياء : نومه غلبة ، وأكله فاقة ، وكلامه ضرورة .

وسمعته يقول : سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : إذا أراد الله تعالى بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية ، ومنعه صحبة القُراء[5] :

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت الرَّقىَ يقول : سمعت الدقاق يقول : نهايةُ الإرادة أن تشير إلى الله تعالى فتجده مع الإشارة ، فقلت : فأى شىء يستوعب الإرادة ؟ فقال : أن تجد الله تعالى بلا إشارة .

سمعت : محمد بن عبد الله الصوفيَّ يقول : سمعت عباس بن أبى الصحو يقول : سمعت أبا بكر الدقاق يقول : لا يكون المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحبُ الشمال عشرين سنة .

وقال أبو عثمان الحيرى : من لم تصحّ إرادته بِداراً[6] لا يزيده مرور الأيام عليه إلا إدباراً .

وقال أبو عثمان : المريد إذا سمع شيئا من علوم القوم فعمل به صار حكمةً فى قلبه إلى آخر

---

(١) أى شديد الطلب .
(٢) أى الرضا بالخفاء ، ليسلم من شر الظهور والشهرة .
(٣) أى التفرغ والانقطاع لكتابة الحديث وقراءته ودرسه ، إذ يشغله ذلك الانقطاع عن القيام بإصلاح روحه .
(٤) وفى نسخة « نذالته » أى خبث باطنه .
(٥) أى المنتصرين على القراءة للتعبد فحسب . وفى نسخة « الفقراء » .
(٦) أى ابتداء .

عمره ، ينتفع به ، ولو تكلم به انتفع به من سمعه ، ومن سمع شيئا من علومهم ، ولم يعمل به ، كان حكايةً يحفظها أياما ثم ينساها .

وقال الواسطى : أوّل مقام المريد : إرادة الحقّ ، سبحانه ، بإسقاط إرادته .

وقال يحيى بن معاذ : أشد شيء على المريدين : معاشرة الأضداد .

سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت أبا القاسم الرازىّ يقول : قال يوسف بن الحسين : إذا رأيت المريد يشتغل بالرُّخَص والكسب ؛ فليس يجيء منه شيء .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت جعفرا الخلدى يقول : سئل الجنيد : ما للمريدين فى مجاراة الحكايات ؟ فقال : الحكاياتُ جند من جنود الله تعالى ، يقوِّى بها قلوب المريدين . فقيل له : فهل لك فى ذلك شاهد ؟ فقال : نعم ، قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنباءِ الرُسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[1] .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن خالد يقول : سمعت جعفراً يقول : سمعت الجنيد يقول : المريد الصادق غنى عن علم العلماء .

فأمّا الفرق بين المريد والمراد : فكلّ مريد على الحقيقة مراد . إذ لو لم يكن مراد الله تعالى بأن يريده لم يكن مريدا ؛ إذ لا يكون إلا ما أراده الله تعالى ، وكلّ مرادٍ مريد ؛ لأنه إذا أراده الحقُّ سبحانه بالخصوصية وفقه للإرادة . ولكن القوم فرّقوا بين المريد والمراد :

فالمريد عندهم هو المبتدئ ، والمراد : هو المنتهى ، والمريد : الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاقّ ، والمراد : الذى كُفى بالأمر من غير مشقة ، فالمريد مُتَعَنٍّ ، والمرادُ : مرفوقٌ به مرفَّه .

وسنَّة الله تعالى مع القاصدين مختلفةٌ ؛ فأكثرهم يوفقّون للمجاهدات ، ثم يصلون ، بعد مقاساة اللتيًّا والتى ، إلى سَنِّى المعانى . وكثير منهم يكاشفون فى الابتداء بجليل المعانى ، ويصلون إلى ما لم يصل إليه كثيرون من أصحاب الرياضات ، إلا أن أكثرهم يردّون إلى المجاهدات بعد هذه الأوفاق ؛ ليستوفى منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : المريد : مُتحمِّل ، والمراد : محمول .

---

(١) آية ١٢٠ من سورة هود .

وسمعته يقول : كان موسى ، عليه السلام ، مريدا ، فقال : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾[١] ، وكان نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، مرادًا ، فقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ، الذى أنقض ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٢] ، وكذلك قال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ ، أَرِنِى أَنْظُرْ إِليكَ ، قَالَ : لَنْ تَرَانِى ﴾[٣] .

وقال لنبينا ، ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[٤] .

وكان أبو على يقول : إن المقصود قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ وقوله ﴿ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ : سترٌ للقصة وتحصينٌ للحالة .

وسئل الجنيد ، رحمه الله ، عن المريد والمراد ، فقال :

المريد : تتولاه سياسة العلم ، والمراد : تتولاه رعاية الحق ، سبحانه ، لأن المريد يسير ، والمراد يطير ، فمتى يلحق السائرُ الطائرَ ؟

وقيل : أرسل ذو النون إلى أبى يزيد رجلًا ، وقال له : قل له إلى متى النوم والراحة ، وقد جازت القافلة ؟!

فقال أبو يزيد : قال لأخى ذى النون : الرجل من ينام الليل كله ، ثم يُصبح فى المنزل قبل القافلة .

فقال ذوى النون : هنيئاً له ؛ هذا كلام لا تبلغه أحوالنا .

---

(١) آية ٢٥ من سورة طه .
(٢) الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة الإنشراح .
(٣) آية ١٤٣ من سورة الأعراف .
(٤) آية ٤٥ من سورة الفرقان .

باب الاستقامة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا . ﴾[١] .

أخبرنا : الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رحمه الله ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال : أخبرنا أبو بشر يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال : حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ثوبان مولى النبى ﷺ ، عن النبى ﷺ ، قال : استقيموا ولن تحصوا[٢] ، واعلموا أن خير دينكم الصلاة ، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[٣] .

والاستقامة : درجة بها كمال الأمور وتمامها ، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جَهده ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً[٤] ﴾[٥] .

ومن لم يكن مستقيما فى صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره ، ولم يبن سلوكه على صحة ؛ فمن شرط المستأنف : الاستقامة فى أحكام البداية ، كما أن من حق العارف الاستقامة فى آداب النهاية .

فمن أمارات استقامة أهل البداية : أن لاتشوب معاملاتهم فترة[٦] .

ومن أمارات استقامة أهل الوسائط : أن لا يصحب منازلهم وقفة[٧] .

ومن أمارات استقامة أهل النهاية : أن لا تتداخل مواصلتهم حجبةٌ[٨] .

سمعت : الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الاستقامة لها ثلاثة مدارج : أولها :

---

(١) آية ٣٠ من سورة فصلت .

(٢) لن تحصوا : أى لن تستطيعوا القيام بها كاملة فاستقيموا على قدر طاقتكم واستطاعتكم .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده وابن ماجه ، والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن .

(٤) أنكاثا : طاقات .

(٥) آية ٩٢ من سورة النحل .

(٦) فترة أى : فتور .

(٧) وقفة : استحسان .

(٨) حجبة : حجاب .

التقويم ، ثم الإقامة ، ثم الاستقامة ؛ فالتقويم ، من حيثُ تأديبُ النفوس . والإقامةُ : من حيث تهذيبُ القلوب ، والاستقامة : من حيث تقريبُ الأسرار .

وقال أبو بكر ، رضى الله عنه ، فى معنى قوله : « ثم استقاموا » : لم يشركوا .

وقال عمر ، رضى الله عنه ، لم يزوغوا زوغان الثعالب .

فقول الصدّيق ، رضى الله عنه ، محمول على مراعاة الأصول فى التوحيد .

وقول عمر ، رضى الله عنه ، محمول على طلب التأويل والقيامٍ بشرط العهود .

وقال ابن عطاء : استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى .

وقال أبو على الجوزجانى : كن صاحب الاستقامة ، لا طالب الكرامة ؛ فإن نفسك متحركة فى طلب الكرامة ، وربُّك ، عز وجلّ ، يطالبك بالاستقامة .

سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا علّى الشَّبوى يقول : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقلت له : روى عنك يا رسول الله أنك قلت : « شيبتنى هود[1] » فما الذى شيبك منها : قصص الأنبياء وهلاكُ الأمم ؟

فقال : لا ، ولكن قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[2] .

وقيل : إن الاستقامة لا يطيقها إلاّ الأكابر ؛ لأنها الخروج عن المعهودات ، ومفارقةُ الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ؛ ولذلك قال ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا » .

وقال الواسطى : « الخصلة التى بها كملت المحاسن ، وبفقدها قبحت المحاسن : الاستقامة .

وحكى عن الشبلى ، رحمه الله ، أنه قال : الاستقامة : أن تشهد الوقت قيامة .

ويقال : الاستقامة فى الأقوال : بترك الغيبة ، وفى الأفعال : بنفى البدعة ، وفى الأعمال بنفى الفترة[3] ، وفى الأحوال بنفى الحجبة .

سمعت : الأستاذ الإمام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك يقول :

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير عن عقبة بن عامر وعن أبى جحيفة وقال حديث صحيح . وله روايات عدة انظر الفيض القدير شرح الجامع الصغير .

(٢) آية ١١٢ من سورة هود .

(٣) أى الفتور .

السين فى الاستقامة : سين الطلب ، أى : طلبوا من الحقّ ، تعالى ، أن يقيمهم على توحيدهم ، ثم على استدامة عهودهم ، وحفظ حدودهم .

قال الأستاذ : وأعلم أن الاستقامة : توجب دوام الكرامات ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾[1] ولم يقل : سقيناهم ، بل قال : « أسقيناهم » يقال : أسقيته إذا جعلت له سقيا ؛ فهو يشير إلى الدوام .

سمعت : محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن أحمد يقول : سمعت أبا العباس الفرغانى يقول : قال الجنيد : لقيت شاباً من المريدين فى البادية تحت شجرة من شجر « أم غيلان » فقلت : ما أجلسك هاهنا ؟ فقال : مال افتقدته ، فمضيت وتركته . فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة ، فقلت : ما جلوسك هنا ؟

فقال : وجدت ما كنت أطلبه فى هذا الموضع فلزمته .

قال : الجنيد : فلا أدرى أيُّهما كان أشرف : لزومه لافتقاد حاله ، أو لزومه للموضع الذى نال فيه مراده .

---

(١) آية ١٦ من سورة الجن .

باب الإخلاص

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لله الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[١] .

أخبرنا : على بن أحمد الأهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى ، قال : حدثنا جعفر بن محمد الغربانى قال : حدثنا أبو طالوت قال : حدثنى هانىء بن عبد الرحمن بن أبى عقبة ، عن إبراهيم بن أبى عبلة العقيلى قال : حدثنى عطية ابن وشاح ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يَغُلّ[٢] عليهنّ قلبُ مسلم : إخلاصُ العمل لله ؛ ومناصحةُ ولاة الأمور ، ولزومُ جماعة المسلمين » .

وقال الأستاذ : الإخلاص ، إفراد الحق ، سبحانه ، فى الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أى شىء آخر ؛ من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق ، أو معنى من المعانى سوى التقرّب به إلى الله تعالى .

ويصحّ أن يقال : الإخلاص : تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين .

ويصحّ أن يقال الإخلاص : التوقى عن ملاحظة الأشخاص .

وقد ورد خبر مسند : « أن النبى ﷺ أخبر عن جبريل ، عليه السلام ، عن الله سبحانه وتعالى ، أنه قال : الإخلاصُ سرٌّ من سرّى ، استودعتُه قلب من أحببته من عبادى » .

سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : وقد سألته عن الإخلاص : ما هو ؟ فقال :

سمعت : على بن سعيد ، وأحمد بن محمد بن زكريا ، وقد سألتهما عن الإخلاص ، فقالا :

سمعنا علىّ بن إبراهيم الشقيقى ، وقد سألناه عن الإخلاص ، فقال :

سمعت : محمد بن جعفر الخصّاف ، وقد سألته عن الإخلاص ، فقال :

سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص : ما هو ؟ قال :

---

(١) آية ٣ من سورة الزمر .

(٢) يغل : بضم الوسط : يخون ، وبالكسر يحقد .

سألت أبا يعقوب الشريطىّ عن الإخلاص : ما هو ؟ قال :

سألت أحمد بن غسّان عن الإخلاص : ما هو ؟ قال :

سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص : ما هو ؟ قال :

سألت الحسن عن الإخلاص : ما هو قال :

سألت حُذّيفةَ عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :

سألت النبى ﷺ عن الإخلاص : ما هو ؟ قال :

سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص : ما هو ؟ قال :

سألت ربَّ العزة عن الإخلاص : ماهو ؟ قال :

« سرّ من سرّى استودعته قلبَ من أحببته من عبادى » .

سمعت : الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : الإخلاص : التوقى عن ملاحظة الخلق ، والصِّدق : التنقى من مطالعة النفس فالمخلص ؛ لا رياء له ، والصادق : لا إعجاب له .

وقال ذو النون المصرى : الإخلاص : لا يتم إلا بالصدق فيه ، والصبر عليه ، والصدق لا يتمّ إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه .

وقال أبو يعقوب السوسى : متى شهدوا فى إخلاصهم الخلاص احتاج إخلاصُهم إلى إخلاص .

وقال ذو النون : ثلاث من علامات الاخلاص : استواء المدح والذمّ من العامّة ، ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال ، ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة .

سمعت : الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربى يقول ؛ الاخلاص : مايكون للنفس فيه حظ بحال ، وهذا إخلاص العوام . وأما إخلاص الخواصّ : فهو مايجرى عليهم ، لابهم ، فتبدو منهم الطاعات ، وهم عنها بمعزل ، ولايقع لهم عليها لهم عليها رؤية ، ولا بهم اعتداد ، فذلك : إخلاص الخواصّ .

وقال أبو بكر الدقاق : نقصان كلّ مخلص فى إخلاصه : رؤيةُ إخلاصه ؛ فإذا أراد الله تعالى أن يُخْلِصَ إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه ؛ فيكون مُخْلَصًا[1] لا مخلِصا[2] .

---

(١) وهو من خلصه الله من كل شائبة .

(٢) من أخلص فى عمله .

وقال سهل : لا يعرف الرياء[1] إلا مخلِص .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت الوجيهى يقول : سمعت أبا علىّ الروذبارى يقول : قال لى رويم : قال أبو سعيد الخرّاز : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

وقال ذو النون : الإخلاص : ما حُفظ من العدوّ أن يفسده .

وقال أبو عثمان : الإخلاص : نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى فضل الخالق .

وقال حذيفة المرعشى : الإخلاص : أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن .

وقيل : الإخلاص : ما أريد به الحقُّ ، سبحانه ، وقصد به الصدق .

وقيل : الإغماضُ عن رؤية الأعمال .

سمعت : محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسين الفارسى يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت علىَّ بن عبد الحميد يقول : سمعت السرى يقول : من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى .

وسمعته يقول : سمعت علىّ بن بندار الصوفى[2] يقول : سمعت عبد الله بن محمود يقول : سمعت محمد بن عبد ربه يقول : سمعت الفضيل يقول : ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص : أن يعافيك الله منهما .

وقال الجنيد : الإخلاص سرٌّ بين الله تعالى وبين العبد ، لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله .

وقال رويم : الإخلاص من العمل[3] هو : الذى لا يريد صاحبه عليه عوضاً من الدارين ، ولا حظًّا من الملكين .

وقيل لسهل بن عبد الله : أىُّ شىء أشدُّ على النفس ؟ فقال : الإخلاص ؛ لأنه ليس لها فيه نصيب .

وسئل بعضهم عن الإخلاص : فقال : أن لا تشهد على عملك غير الله عز وجل .

---

(١) أى فيتجنبه بعد معرفته .

(٢) وفى نسخة « الصيرفى » .

(٣) أى : فيه .

وقال بعضهم : دخلت على سهل بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلاة بيتًا .. فرأيت فى البيت حيَّة . فجعلت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، فقال : ادخل ، لا يبلغ أحدٌ حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه ، ثم قال : هل لك فى صلاة الجمعة ؟ فقلت : بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة ، فأخذ بيدى ، فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد ، فدخلناه ؛ وصلينا الجمعة ، ثم خرجنا ؛ فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون ، فقال : أهل لا إلهَ إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل .

أخبرنا : حمزة بن يوسف الجرجانى قال : حدثنا محمد بن محمد بن عبد الرحيم قال : حدثنا أبو طالب محمد بن زكريا المقدسى قال : حدثنا أبو قرصافة محمد بن عبد الوهاب العسقلانى قال : حدثنا زكريا بن نافع قال : حدثنا محمد بن يزيد القراطيسى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن مكحول قال : ما أخلص عبدٌ قط أربعين يوماً ، إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت عبد الرازق يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : أعزُّ شيء فى الدنيا الإخلاصُ ، وكم أجتهد فى إسقاط الرياء عن قلبى ، فكأنه ينبت فيه على لون آخر .

وسمعته يقول : سمعت النصر أباذى يقول : سمعت أبا الجهم يقول : سمعت ابن أبى الحوارى يقول : سمعت أبا سليمان يقول : إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء .

باب الصدق

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّها الَّذينَ آمنوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقينَ ﴾[1] .

أخبرنا : الإمام أبو بكر محمد بن فورك ، رحمهُ الله ، قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهانى قال : حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب قال : حدثنا أبو داود الطيالسى قال : حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : « لا يزال العبد يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً ، ولا يزال يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً[2] » .

قال الأستاذ : والصدق : عماد الأمر ، وبه تمامه ، وفيه نظامه ، وهو تالى درجة النبوة ، قال الله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النبيين والصِّدِّيقينَ .. ﴾ الآية[3] .

والصادق[4] الاسم اللازم[5] من الصدق ، والصدِّيق المبالغة منه : وهو الكثير الصدق ، الذى الصدق غالبه ، كالسِّكير والخمِّير .. وبابه .

وأقلّ الصدق : استواء السر والعلانية . والصادق : مَن صدق فى أقواله .

والصِّديق : مَن صدق فى جميع أقواله ، وأفعاله وأحواله .

وقال أحمد بن خضرويه ؛ من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق ؛ فإن الله تعالى مَعَ الصَّادِقِينَ .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول : الصادق : ينقلب فى اليوم أربعين مرّة ، والمرائى يثبت على حالة واحدة أربعين سنة .

وقال أبو سليمان الدارانى : لو أراد الصادق أن يصف مافى قلبه ما نطق به لسانه .

وقيل الصّدق : القول بالحقِّ فى مواطن الهلكة .

---

(١) آية ١١٩ من سورة التوبة .
(٢) رواه البخارى ومسلم بنحوه .
(٣) آية ٦٩ من سورة النساء .
(٤) أى : لفظه .
(٥) أى : المشتق .

وقيل : الصدق : موافقةُ السرِّ النطق .

وقال القناد : الصدق : منع الحرام من الشِّدْق .

وقال عبد الواحد بن زيد : الصدق : الوفاء لله سبحانه بالعمل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجريرى يقول : سمعت سهل بن عبد الله يقول : لا يشمُّ رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره .

وقال أبو سعيد القرشي : الصادق الذى يتهيأ له أن يموت ولا يستحى من سرّه لو كشف ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوا الْموتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه لله ، يقول : كان أبو علىّ الثقفى يتكلم يوما ، فقال له عبد الله بن منازل : يا أبا علىّ ، استعدَّ للموت فلابدّ منه . فقال أبو علىّ : وأنت يا عبد الله ، استعد للموت فلابد منه . فتوسّد عبد الله ذراعه ، ووضع رأسه ، وقال : قدمِتُ .

فانقطع أبو علىّ ؛ لأنه لم يمكنه أن يقابله بما فعل ، لأنه كان لأبى علىّ علاقات[2] وكان عبد الله مجرّداً لا شغل له .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : كان أبو العباس الدينورى يتكلم .. فصاحت عجوز فى المجلس صيحة ، فقال لها أبو العباس الدينورى : مُوتى .. فقامت وخطت خطوات .. ثم التفتت إليه ، وقالت : قد مِتُّ . ووقعت ميِّتة .

وقال الواسطى : الصَدق : صحَّة التوحيد مع القصد .

وقيل : نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نحَل بدنه ، فقال : يا غلام ، أتديم الصوم ؟

فقال : ولا أديم الإفطار . فقال : أتديم القيام بالليل ؟ فقال : ولا أديم النوم .

فقال : فما الذى أنحلك ؟ فقال : هوى دائم .. وكتمان دائم عليه . فقال عبد الواحد : اسكت ؟ فما أجرأك !! فقام الغلام ، وخطا خطوتين ، وقال : إلهى ، إن كنت صادقا فخذنى ؛ فخرّ ميتا .

---

(١) آية ٩٤ من سورة البقرة .

(٢) أسباب وأمور دنيوية .

وحكى عن أبي عمرو الزجاجيِّ أنه قال : ماتت أمي .. فورثت منها داراً ، فبعتها بخمسين ديناراً .. وخرجت إلى الحجّ ، فلما بلغت « بابل » استقبلني من واحد « القناقنة »[1] وقال : ما معك ؟

فقلت في نفسي : الصدق خير .. ثم قلت : خمسون ديناراً ، فقال : ناولنيها .

فناولته الصُّرَّة .. فعدَّها ؛ فإذا هي خمسون ديناراً . فقال : خذها ؛ فلقد أخذني صدقك .

ثم نزل عن الدابة ، وقال : اركبها . فقلت : لا أريد !! فقال : لا بدّ . وألَحّ عليّ .

فركبتها . فقال : وأنا على أثرك .

فلما كان العام المستقبل لحق بي ، ولا زمني حتى مات .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت جعفرا الخوّاص يقول :

سمعت إبراهيم الخوّاص يقول : الصادق . لا نراه إلا في فرض يؤدّيه ، أو فضل يعمل فيه .

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول : سمعت جعفراً الخوّاص يقول : سمعت الجنيد يقول : حقيقة الصدق : أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب .

وقيل : ثلاثة لا تخطئ الصادق : الحلاوةُ ، والهيبة ، والملاحة .

وقيل : أوحى الله ، سبحانه ، الى داود عليه السلام ، يا داود من صدَّقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته .

وقيل : دخل « إبراهيم بن دوحة » مع « إبراهيم بنِ ستنبة » الباديةَ ، فقال إبراهيم بن ستنبة : اطرح ما معك من العلائق . قال : فطرحت كلَّ شيء إلا ديناراً فقال : يا إبرهيم ، لا تشغل سريّ ، اطرح مامعك من العلائق !! قال : فطرحت الدينار ، ثم قال :

يا إبراهيم ، اطرح ما معك من العلائق !!.. فتذكرت أن معي شسوعاً[2] للنعل ، فطرحتُها ، فما احتجت في الطريق إلى شِسع إلاَّ وجدته بين يديّ .

فقال إبراهيم بن ستنبة : هكذا من عامل الله تعالى بالصِّدق .

وقال ذو النون المصريّ ، رحمه الله : الصدق سيف الله ، ما وُضع على شيء إلا قطعه .

---

(١) القناقنة : جمع قنقن . وهو الدليل الهادى والبصير بالماء فى حفر القنى .

(٢) أربطة .

وقال سهل بن عبد الله : أوَّل خيانة الصِّديقين حديثُهم مع أنفسهم .

وسئل فتحُ الموصليُّ عن الصدق ، فأدخل يده فى كير الحدّاد .. وأخرج الحديدة المحماة .. ووضعها على كفه ، وقال : هذا هو الصدق .

وقال يوسف بن أسباط : لأن أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصّدق أحب إلى من أن أضرب بسيفى فى سبيل الله تعالى .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، يقول : الصدق أن تكون مع الناس كما تَرى من نفسك ، أو أن ترى من نفسك كما تكون[1] .

وسئل الحارث المحاسبى عن علامة الصدق ، فقال :

الصادق : هو الذى لا يبالى لو خرج كلُّ قدْر له فى قلوب الخلق من أجْل صلاح قلبه ، ولا يحبُّ إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ، ولا يكره . أن يُطلع الناس على السيئ من عمله ؛ فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصِّديقين .

وقال بعضهم : من لم يؤدِّ الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت[2] .

قيل له : ما الفرض الدائم ؟ قال ؟ الصّدق .

وقيل : إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تُبصر فيها كلَّ شىء من عجائب الدنيا والآخرة .

وقيل : عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرّك فإنه ينفعك ، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك ؛ فإنه يضرّك .

وقيل : كل شىءٍ شىءٌ ، ومصادقة الكذاب لا شىء .

وقيل : علامة الكذّاب جوده باليمين[3] بغير مستحلِف .

وقال ابن سيرين : الكلامُ أوسع من أن يكذب ظريف .

وقيل : ما أمْلق[4] تاجرٌ صدوق .

---

(١) أى كما تكون معهم ، بأن يستوى عندك السر والعلانية .
(٢) أى المؤقت بوقت ؟ كالصلوات الخمس .
(٣) القسم .
(٤) ما افتقر .

باب الحياء

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ الله يَرى ﴾[١] .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبدوس الحيرىّ المزكى قال : أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد النحويُّ ببغداد قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم قال : حدثنا موسى بن حيان قال : حدثنا المقدميّ ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الحياء من الإيمان » .

وأخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلى قال : حدثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصرى قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب قال . حدثنا يعلى بن عبيد قال : حدثنا أبان بن إسحق ، عن الصباح بن محمد ، عن مُرَّة الهمذانى ، عن ابن مسعود ، رضى الله عنه ، أن نبى الله ﷺ ، قال ذات يوم لأصحابه : « استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : إنا نستحى يا نبى الله ، والحمد لله .

قال : ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وَعَى ، وليحفظ البطن وما حَوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء »[٢] .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : أخبرنا أبو نصر الوزيرى قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال : حدثنا الغلابى قال : حدثنا محمد بن مخلد ، عن أبيه قال : قال بعض الحكماء : أحيوا الحياء بمجالسة من يُستْحا منه .

وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت ابن عطاء يقول : العلم الأكبر : الهيبة والحياء ؛ فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيه خير[٣] .

وسمعته يقول : سمعت أبا الفرج الورثانى يقول : سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول : حدثنى محمد بن عبد الملك قال : سمعت ذا النون المصرى يقول : الحياء وجود الهيبة

---

(١) آية ١٤ من سورة العلق .
(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب .
(٣) أى فى القلب .

فى القلب ، مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى .

وقال ذو النون المصرى : الحبُّ يُنطق ، والحياء يسكب ، والخوف يقْلق .

وقال أبو عثمان : من تكلم فى الحياء ولا يستحى من الله عز وجل فيما يتكلم به ، فهو مسْتَدْرَج .

سمعت أبا بكر بن أشكيب ، يقول : دخل الحسن بن الحداد على عبد الله بن منازل ، فقال : من أين تجىء ؟ فقال : من مجلس أبى القاسم للذكر قال : فبماذا كان يتكلم ؟ فقال : فى الحياء . فقال عبد الله : واعجباه !! من لم يستح من الله تعالى كيف يتكلم فى الحياء ؟!

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادىّ يقول : سمعت أحمد بن صالح يقول : سمعت محمد بن عبدون يقول : سمعت أبا العباس المؤدب يقول : قال السرىَّ :

إنّ الحياء والأنس يطرقان القلب ؛ فإن وجدا فيه الزهدَ والورع حطا ، وإلاّ رحلا .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت الجريرى يقول : تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدِّين ، حتى رق الدِّين .. ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾[1] : البرهان : أنها ألقت ثوباً على وجه صنم فى زاوية البيت ، فقال يوسف عليه السلام : ماذا تفعلين ؟ فقالت : أستحى منه ، قال يوسف عليه السلام : أنا أولى منك أن أستحى من الله تعالى .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾[2] قيل : إنما استحيت منه ؛ لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة ، فاستحيت أن لا يجيب موسى عليه السلام ، فصفة المضيف الاستحياء ، وذلك استحياء الكرم .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله . يقول : سمعت عبد الله بن الحسين يقول . سمعت أبا محمد البلاذرى يقول : سمعت أبا عبد الله العمرى يقول : سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : قال الله تعالى :

---

(١) آية ٢٤ من سورة يوسف .

(٢) آية ٢٥ من سورة القصص .

« يا عبدى إنك ما استحييت منى ؛ أنسيتُ الناس عيوبك ، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ، ومحوت من أمّ الكتاب زلاّتك ، ولا أناقشك فى الحساب يوم القيامة » .

وقيل : رؤى رجل يصلى خارج المسجد ، فقيل له : لم لا تدخل المسجد فتصلى فيه ؟ فقال : أستحى منه تعالى أن أدخل بيته ، وقد عصيته !!

وقيل : من علامات المستحى : أن لا يرى بموضع يستحيا منه .

وقال بعضهم : خرجنا ليلة فمررنا بأجمة[1] ، فإذا رجل نائم ، وفرس عند رأسه ترعى ، فحركناه ، وقلنا له : ألا تخاف أن تنام فى مثل هذا الموضع المخوف وهو مُسْبع[2] ؟

فرفع رأسه ، وقال : أنا أستحى منه تعالى ، أن أخاف غيره ، ووضع رأسه ونام .

وأوحى الله سبحانه إلى عيسى عليه السلام : عظ نفسك ؛ فإن اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستح منى أن تعظ الناس .

وقيل : الحياء على وجوه :

حياء الجناية ؛ كآدم ، عليه السلام ، لما قيل له : أفراراً منا !! فقال : لا ، بل حياء منك .

وحياء التقصير ؛ كالملائكة يقولون : سبحانك ، ما عبدناك حق عبادتك .

وحياء الإجلال ؛ كإسرافيل ، عليه السلام ، تسربل بجانحه حياء من الله عزّ وجلّ .

وحياء الكرم ؛ كالنبى ﷺ ، كان يستحى من أمته أن يقول لهم : اخرجوا ، فقال الله عز وجلّ : ﴿ وَلَامُسْتَأْنِسِينَ لَحَدِيث ﴾[3] .

وحياء حشمة ؛ كعلىّ ، رضى الله عنه ، حين سأل المقداد بن الأسود حتى سأل رسول الله ﷺ عن « حكم خروج المذى » ، لمكان فاطمة رضى الله عنها .

وحياء الاستحقار ؛ كموسى عليه السلام ، قال : إنى لتعْرض لى الحاجة من الدنيا ، فأستحيى أن أسألك يارب ، فقال الله عزّ وجلّ له : سلنى حتى عن ملح عجينك ، وعلف شاتك .

وحياء الإنعام ، هو حياء الرب سبحانه ، يدفع إلى العبد كتابا مختوما بعد ما عبر الصراط ، وإذا فيه : فعلتَ ما فعلتَ ، وقد استحييت أن أظهره عليك ، فاذهب ، فإنى قد غفرت لك .

---

(١) الأجمة : الشجر الملتف .

(٢) كثير السباع .

(٣) آية ٥٣ من سورة الأحزاب .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول فى هذا الخبر : إن يحيى بن معاذ قال : سبحان من يذنب العبد فيستحى هو منه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت زنجوية اللباد يقول : سمعت علىّ بن الحسين الهلالى يقول : سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : خمس من علامات الشقاء : القسوة فى القلب ، وجمود العين ، وقلة الحياء ، والرغبة فى الدنيا ، وطول الأمل .

وفى بعض الكتب : ما أنصفنى عبدى ؛ يدعونى فأستحى أن أردّه ، ويعصينى فلا يستحى منى .

وقال يحيى بن معاذ : من استحيا من الله مطيعا استحيا الله تعالى منه وهو مذنب .

واعلم أن الحياء : يوجب التذويب ، فيقال : الحياء : ذوبان الحشا لاطلاع المولى .

ويقال : الحياء : انقباض القلب ، لتعظيم الربّ .

وقيل : إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه : عظ نفسك بما تعظ به أخاك ، وإلاّ فاتسحى من سيدك ؛ فإنه يراك .

وسئل الجنيد عن الحياء ، فقال : رؤية الآلاء ، ورؤية التقصير ، فيتولد من بينهما حالة تسمى « الحياء » .

وقال الواسطى : لم يذق لذعات الحياء من لابس خرق حدّ[1] أو نقض عهد .

وقال الواسطى أيضاً : المستحى يسيل منه العرق ، وهو الفضل الذى فيه ، وما دام فى النفس شىء فهو مصروف عن الحياء .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الحياء : ترك الدعوى بين يدى الله عزّ وجلّ .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله الصوفى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس بن الوليد الزوزنى يقول : سمعت محمد بن أحمد الجوزجانى يقول : سمعت أبا بكر الوراق يقول : ربما أصلى لله تعالى ركعتين ، فأنصرف عنهما ، وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء .

---

(١) أى أرتكب منهيا عنه واعتدى على حد من حدود الله .

باب الحرية

قال الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[١] .

قال[٢] : إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم[٣] عما خرجوا منه ، وآثروا به .

أخبرنا : على بن أحمد الأهوازى ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال : حدثنا ابن أبى قماش قال : حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال : حدثنا نعيم بن مورع بن توبه ، عن إسماعيل المكى ، عن عمرو بن دينار ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما يكفى أحدكم : ما قنعت به نفسه ، وإنما يصير إلى أربعة أذرع وشبر[٤] ، وإنما يرجع الأمر إلى آخر »[٥] .

قال : الحرية : أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ، ولا يجرى عليه سلطان المكونات ، وعلامة صحته : سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء ، فيتساوى عنده أخطار الأعراض[٦] .

قال حارثة رضى الله عنه لرسول الله ﷺ : عزفت نفسى عن الدنيا ؛ فاستوى عندى حجرها وذهبها .

سمعت الأستاذ أبا على الدَّقاق ، رحمه الله ، يقول : من دخل الدنيا وهو عنها حُرٌّ ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حُر .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا محمد المراغى يحكى عن الرقى ، عن الدَّقاق : يقول : من كان فى الدنيا حرا منها كان فى الآخرة حرا منها .

وأعلم أن حقيقة الحرية فى كمال العبودية ؛ فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رقّ الأغيار حريته .

---

(١) آية ٩ من سورة الحشر .

(٢) الإمام المؤلف .

(٣) فى نسخة لتحررهم .

(٤) أى القبر .

(٥) وروى نحوه ما أخرجه الطبرانى والبيهقى عن خباب أن رسول الله ﷺ قال : (إنما يكفى أحدكم ما كان فى الدنيا مثل زاد الراكب) حديث حسن .

(٦) وفى نسخة « الأعواض » والمراد أن لا يفرق بين نفيس وخسيس فى خاطره .

فأما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتاً عِذار العبودية ، ويحيد بلحظه عن حد الأمر والنهى وهى مميز ، فى دار التكليف ، فذلك انسلاخ من الدين .

قال الله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[١] يعنى : الأجل ، وعليه أجمع المفسرون .

وأن الذى أشار إليه القوم من الحرية هو : أن لا يكون العبد تحت رق شيء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا ، ولا من أعراض الآخرة ؛ فرداً لفرد[٢] لم يسترقه عاجل دنيا ، ولا حاصل هوى ، ولا أجل مِنى ، ولا سؤال ، ولا قصد ولا أرب[٣] ، ولا حظ .

وقيل للشبلى : ألم تعلم أنه تعالى رحمن ؟ فقال : بلى ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أن يرحمنى .

ومقام الحرية عزيز .

سمعت الشيخ أبا علىٍّ ، رحمه الله ، يقول . كان أبو العباس السيارى يقول : لو صحت صلاة بغير قرآن لصَّحت بهذا البيت :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مُقلتاى طلعةَ حُرّ

وأما أقاويل المشايخ فى الحرية ؛ فقال الحسين بن منصور : من أراد الحرية فليصل[٤] العبودية .

وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مصّ نواة ، فقال : المكاتب عبد ما بقى عليه درهم .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول : إنك لا تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية .

وقال بشر الحافى : من أراد أن يذوق طعم الحرية ، ويستريح من العبودية[٥] فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى .

وقال الحسن بن منصور : إذا استوفى العبد مقامات العبودية[٦] كلها يصير حُرا من تعب

---

(١) آية ٩٩ من سورة الحجر .
(٢) أى لله .
(٣) أى حاجة .
(٤) بأن يواليها ويديم عليها .
(٥) لغير الله .
(٦) لله .

العبودية[١] ، فيترسم[٢] بالعبودية بلا عناء ولا كلفة ، وذلك مقام الأنبياء والصديقين ، يعنى يصير محمولا ، لا يلحقه بقلبه مشقة وإن كان متحليا بها شرعا ، أنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن قال : أنشدنا أبو بكر الرازى قال : أنشدنى منصور الفقية لنفسه :

مــابــقــى فى الإنس حــرّ لا ، ولا فى الجــنّ حــرُّ
قــد مضى حــر الفــريقــين فــحــلو الــعــيش مــرّ

وأعلم أن معظم الحرية فى خدمة الفقراء .

سمعت الشيخ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما .

وقال ﷺ : « سيد القوم خادمهم » .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل يقول : سمعت محمد بن الرومى يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد ، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن عثمان بن يحيى يقول : سمعت على بن محمد المصرى يقول : سمعت يوسف بن موسى يقول : سمعت بن خبيق يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : إن الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يُخرج منها .

وقال إبراهيم بن أدهم : لا تصحب إلا حرا كريما ؛ يسمع ولا يتكلم .

---

(١) لغير الله .
(٢) وفى نسخة فيتوسم أى يتصف ويتخلى .

باب الذكر

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّها الَّذِين آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرا ﴾[١] .

أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشر ببغداد ، قال أخبرنا أبو على الحسين بن صفوان البرذعى قال : حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قال : حدّثنا هارون بن معروف قال : حدثنا أنس بن عياض قال : حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبى هند ، عن زياد بن أبى زياد ، عن أبى بحرية ، عن أبى الدرداء ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : . « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورِق ، وأن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟

قالوا : ماذاك يا رسول الله ؟

قال : ذكر الله تعالى » :

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال : حدثنا الديرى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر : عن الزهرى ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله .. الله » .

وأخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا معاذ قال : حدثنا أبى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تقوم الساعة حتى[٢] لا يقال فى الأرض : الله .. الله » .

قال الأستاذ : والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر .

---

(١) آية ٤١ من سورة الأحزاب .

(٢) معنى حتى : إلى أن والحديث أخرجه أحمد فى مسنده والإمام مسلم فى صحيحه والترمذى عن أنس وقال صحيح الإسناد .

والذكر على ضربين :

ذكر اللسان ، وذكر القلب . فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثيرُ لذكر القلب ؛ فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه ، فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الذكر منشور[1] الولاية ؛ فمن وفّق للذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل .

وقيل : إن الشبلى كان فى ابتداء أمره ينزل كلّ يوم سرباً[2] ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان[3] ، فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه ، فربما كانت الحزمة تفنى قبل أن يمسى ، فكان يضرب بيده ورجليه على الحائط .

وقيل : ذكر الله بالقلب سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التى تقصدهم ، وإن البلاء إذا أظل العبد ؛ فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد عنه فى الحال كل ما يكرهه .

وسئل الواسطى عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف ، وشدّة الحبّ له .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله بن الحسين يقول : سمعت أبا محمد البلاذرى يقول : سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول :

من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كلّ شىء ، وحفظ الله تعالى عليه كلّ شىء ، وكان له عِوضا عن كل شىء .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت أحمد المسجدى يقول : سئل أبو عثمان ؛ فقيل له : نحن نذكر الله تعالى ، ولا نجد فى قلوبنا حلاوة ؟

فقال : أحمدوا الله تعالى ، على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته .

وفى الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ ، أنه قال :

---

(١) المنشور ، هو ما يكتب لمن ولى ولاية على جهة من الجهات ، ليعلم أهل تلك الجهة تحقق ولايته عليهم ، والمراد أن الذكر يشهد للذاكر بالولاية كما يشهد المنشور للوالى بولايته على القوم .

(٢) طريقا .

(٣) الخشب .

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها . فقيل له : وما رياض الجنة ؟ فقال : حلق الذكر »[١] .

أخبرنا أبو الحسن علىّ بن بشر ببغداد قال : حدثنا أبو على بن صفوان قال : حدثنا ابن أبى الدنيا قال : حدثنا الهيثم بن خارجة قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عمر بن عبد الله : أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال : « يا أيها الناس ؛ ارتعوا فى رياض الجنة . قلنا يارسول الله ، مارياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » اغدوا ، وروحوا ، واذكروا ، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلةُ الله عنده ؟ فإن الله سبحانه ، ينزل العبدَ منه حيث أنزله من نفسه[٢] .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمدا الفراء يقول : سمعت الشبلى يقول : أليس الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرنى ؟ ما الذى استفدتم من مجالسة الحقّ سبحانه ؟!

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن موسى السلامى يقول : سمعت الشبلى ينشد فى مجلسه :

ذكرتـك ، لا أنى نسيتُـك لمحـةً　　وأيسر ما فى الـذكر ذِكـرُ لسانى
وكدتُ بلا وَجد أموت من الهـ　　ـوى وهام علىّ القلبُ بـالخفقان
فلما رآنى الوجدَ أنـك حاضـرى　　شهـدتُـك مـوجـودا بكـلّ مكـان
فخـاطبت مـوجـوداً بغـير تكلّم　　ولا حـظتُ معلومـاً بغـير عيـان

ومن خصائص الذكر : أنه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله : إما فرضا ، وإما ندبا . والصلاة ، وإن كانت أشرف . العبادات ، فقد لا تجوز فى بعض الأوقات . والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاما وَقُعُودا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[٣] .

---

(١) رواه أنس وأخرجه أحمد فى مسنده والترمذى والبيهقى وقال حديث صحيح وروى بنحوه فيما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس العلم . ورمز له السيوطى الضعف .

(٢) رواه أبى الدنيا وأبو يعلى ، والبزار ، والطبرانى والحاكم ، والبيهقى وقال الحاكم صحيح الإسناد ، وقال الحافظ المنذرى أسانيده ثقات مشهورون محتج بهم والحديث حسن . وروى بنحوه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ . إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل وما رياض الجنة ؟ قال المساجد قال : وما الرتع ؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أخرجه الترمذى .

(٣) آية ١٩١ من سورة آل عمران .

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك ، رحمه الله ، يقول : قياما : بحق الذكر ، وقعوداً : عن الدعوى فيه .

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يسأل الأستاذ أبا على الدقاق ، فقال :

الذكر أتم أم الفكر ؟ فقال الأستاذ أبو على : ما الذى يقول الشيخ فيه ؟

قال الشيخ أبو عبد الرحمن : عندى الذكر أتمّ من الفكر ؛ لأن الحق ، سبحانه ، يوصف بالذكر ، ولا يوصف بالفكر ، وماوصف به الحق سبحانه أتم مما اختصّ به الخلق . فاستحسنه الأستاذ أبو على ، رحمه الله .

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت الكتانىّ يقول ، لولا أنّ ذكره فرض علىّ لما ذكرته إجلالاله ، مثلى يذكُره !! ولم يغسل فمه بألف توبة منقلبة عن ذكره .

وسمعت الأستاذ أبا علىّ ، رحمه الله ، ينشد لبعضهم :

ما إن ذكرْتك إلا همَّ يزجرنى ... قلبى وسرى وروحى عند ذِكْراكا

حتى كأن رقيبا منك يهتف بى ... إياك ، ويحك والتذكار إيَّاكا[1]

ومن خصائص الذكر : أنه جعل فى مقابلته الذكر[2] . قال الله تعالى : ﴿ فاذْكُرُونِى أذْكركم ﴾[5] .

وفى خبر : « أن جبريل عيه السلام قال لرسول الله ﷺ : إن الله تعالى يقول : أعطيت أمتك مالم أعط أمة من الأمم ، فقال : وما ذاك يا جبريل ؟ فقال : قوله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ : لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة » .

وقيل : إن الملك يستأمر الذاكرَ فى قبض روحه .

وفى بعض الكتب : أن موسى ، عليه السلام ، قال يارب : أين تسكن ؟ فأوحى الله تعالى إليه ، فى قلب عبدى المؤمن . ومعناه : سكون الذكر فى القلب فإن الحق سبحانه وتعالى منزه عن كل سكون وحلول ، وإنما هو[3] : إثبات ذكر وتحصيل .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت

---

(١) والمعنى ، كما ذكره الشيخ العروسى أى : إذا شرعت فى ذكرك يا إلهى قام زاجر بقلبى وسرى وروحى يبعدنى عن ذكرك . وكأن محذرًا يحذرنى بقوله : إياك أنْ تقرب الذكر إياك ، لكونى لست أهلاً له .

(٢) أى ذكر الله لمن يذكره .

(٣) أى السكون .

(٥) سورة البقرة الآية ١٥٢ .

فارسًا يقول : سمعت الثورى يقول : سمعت ذا النون ، وقد سألته عن الذكر فقال : هو غيبة الذاكر عن الذكر ، ثم أنشأ يقول :

لا لأنى أنساك أكثرُ ذكرا ـ كَ ، ولكن بذاك يجرى لسانى

وقال سهل بن عبد الله : ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادى : يا عبدى ، ما أنصفتنى ؛ أذكرك وتنسانى ، وأدعوك إلىَّ وتذهب إلى غيرى ، وأذْهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا ، يا بن آدم ، ما تقول غدا إذا جئتنى ؟!

وقال أبو سليمان الدارانى : إن فى الجنة قيعاناً[1] ، فإذا أخذ الذاكر فى الذكر أخذت الملائكة فى غرس الأشجار فيها ، فربما يقف بعض الملائكة ، فيقال له : لم وقفت ؟ فيقول : فتَر صاحبى .

وقال الحسن[2] : تفقّدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء : فى الصلاة ، والذكر ، وقراءة القرآن ، فإن وجدتم ، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق .

وقال حامد الأسود . كنت مع إبراهيم الخواص فى سفر ، فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة .. فوضع رِكوتهُ[3] وجلس ، وجلست ، فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات ، فصحت بالشيخ ، فقال : اذكر الله .. فذكرْت فرَجعت ، ثم عادت ، فصحت به ، فقال مثل ذلك . فلم أزل إلى الصباح فى مثل تلك الحالة .. فلما أصبحنا قام ، ومشى ، ومشيت معه ، فسقطت من وطائة[4] حية عظيمة وقد تطَوقت به ، فقلت : ما أحسست بها ؟

فقال : لا ، منذ زمان مابت ليلة أطيب من البارحة .

قال أبو عثمان : من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر .

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذبيانى يقول : سمعت الجريرى يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول :

مكتوب فى بعض الكتب التى أنزلها الله تعالى : « إذا كان الغالب على عبدى ذكرى عشقنى وعشقته » .

وبإسناده : أنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : « بى فافرحوا » وبذكرى فتنعَّموا » .

---

(١) القيعان : الأمكنة المستوية من الأرض .
(٢) البصرى .
(٣) الركوة : الدلو الصغيرة .
(٤) الوطاء : المهاد الوطىء .

وقال الثورى : لكل شيء عقوبة ، وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر .

وفى الإنجيل اذكرْنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ، وارض بنصرتى لك ؛ فإن نصرتى لك خير لك من نصرتك لنفسك .

وقيل لراهب : أأنت صائم ؟ فقال : صائم بذكره ، فإذا ذكرْت غيره أفطرت .

وقيل : إذا تمكَّن الذكرُ من القلب ، فإن دنا منه الشيطان صرع ، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسَّه الإنس .

وقال سهل : ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب تعالى .

وقيل الذكر الخفى لا يرفعه الملَك ، لأنه لا اطلاع له عليه ، فهو سرٌّ بين العبد وبين الله عز وجل .

وقال بعضهم : وصف لى ذا كِرٌ فى أجمه ، فأتيته ، فبينما هو جالس إذا سبع عظيم ضربه ضربة ، واستلب منه قطعة ، فغشى عليه وعلى ، فلما أفاق ، قلت : ما هذا ؟ فقال : قيض الله هذا السبع علىَّ ، فكلما دخلتنى فترة عضنى عَضَّة ، كما رأيت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجريرى يقول : كان من بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول : الله الله .. فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج رأسه وسقط الدم ، فاكتتب على الأرض : الله .. الله .

باب الفتوة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمنوُا بِربِّهِمْ وَزِدْنَاهُم هُدًى ﴾[1] .

قال الأستاذ : أصل الفتوة[2] أن يكون العبد ساعياً أبداً فى أمر غيره .

قال ﷺ : (لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه المسلم) .

أخبرنا به على بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا به أحمد بن عبيد قال : حدثنا به إسماعيل بن الفضل قال : حدثنا به يعقوب بن حميد بن كاسب قال : حدثنا به ابن أبى حازم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عبد الرحمن بن هومز الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن زيد بن ثابت رضى الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد مادام العبد فى حاجة أخيه المسلم » .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : هذا الخُلق[3] ، لا يكون كماله إلا لرسول الله ﷺ ؛ فإن كلّ أحد فى القيامة يقول : نفسى .. نفسى ، وهو ، ﷺ ، يقول : أمَّتى .. أمتى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول : الفتوّة بالشام ، واللسان بالعراق ، والصدق بخراسان .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول : سمعت محمد بن نصر بن منصور الصائغ يقول : سمعت محمد بن مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل يقول : الفتوّة : الصفح عن عثرات الإخوان .

وقيل : الفتوة : أن لا ترى لنفسك فضلا عن غيرك .

وقال أبو بكر الورّاق : الفتى من لا خَصْم له .

وقال محمد بن على الترمذى : الفتوة : أن تكون خصما لربِّك على نفسك ويقال : الفتى : من لا يكون خصما لأحد .

---

(١) آية ١٣ من سورة الكهف .

(٢) والأولى أن يقال فى معناها ، هى : ملكة فى الشخص تحمل على البذل والجود ، بل تقتضى قوة الإيثار (العروسى) .

(٣) أى الفترة .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصر اباذى يقول : سُمى أصحاب الكهف « فتية » ؛ لأنهم آمنوا بربهم بلا واسطة .

وقيل : الفتى : من كسر الصنم ؛ قال الله تعالى : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾[2] وصنمُ كلّ إنسان نفْسُه ؛ فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة .

وقال الحارث المحاسبى : الفتوة : أن تنْصِفَ ولا تنتصف .

وقال عمر بن عثمان المكّىّ : الفتوة : حسن الخلق .

وسئل الجنيد عن الفتوة ، فقال : أن لا تنافر فقيرا ، ولا تعارض غنيا .

وقال النصر أباذى : المروءة شعبة من الفتوة ، وهو الإعراض عن الكونين ، والانفة منهما .

وقال محمد بن على الترمذى : الفتوة أن يستوى عندك المقيم والطارئ سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت على بن عمر الحافظ يقول : سمعت أبا سهل بن زياد يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سئل أبى : ما الفتوة ؟ فقال : تركُ ما تهوى لما تخشى .

وقيل لبعضهم : ما الفتوّة ؟ فقال : أن لا يُميز بين أن يأكل عنده ولى أو كافر .

سمعت بعض العلماء يقول : استضاف مجوسيًّا إبراهيمُ الخليل عليه السلام ، فقال : بشرط أن تُسلم ، فمرّ المجوسىّ ، فأوحى الله تعالى إليه : منذ خمسين سنة نطعمه على كفره ، فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه !؟! . فمضى إبراهيم عليه السلام ، على أثره ، حتى أدركه .. واعتذر إليه ، فسأله عن السبب ، فذكر له ذلك ؛ فأسلم المجوسى .

وقال الجنيد : الفتوة : كفّ الأذى ، وبذل الندى .

وقال سهل بن عبد الله : الفتوة : اتباع السنّة .

وقيل : الفتوة : الوفاء والحفاظ .

وقيل : الفتوة : فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها .

وقيل : الفتوة : أن لا تهرب إذا أقبل السائل .

---

(١) آية ٦٠ من سورة الأنبياء .

(٢) آية ٥٨ من سورة الأنبياء .

وقيل : أن لا تحتجب من القاصدين .

وقيل : أن لا تدَّخر ولا تعتذر .

وقيل : إظهار النعمة ، وإسرار المحنة .

وقيل : أن تدعو عشرة أنفس فلا تتغير ان جاء تسعة أو أحد عشر .

وقيل : الفتوة : ترك التمييز .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : قال أحمد بن خضوريه لامرأته أم علىّ : أريد أن أتخذ دعوة أدعو فيها « عيارا شاطرا » كان فى بلدهم « رأس الفتيان » .

فقالت : امرأته : إنك لا تهتدى إلى دعوة الفتيان . فقال : لا بدّ .

فقالت : إن فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحُمُر ، وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك .

فقال : أما الأغنام والبقر فأعْلَمُ فما بال الحُمُر ؟

فقالت : تدعو فتى إلى دارك ، فلا أقلّ من أن يكون لكلاب المحلة خير .

وقيل : اتخَذَ بعضهم دعوة ، وفيهم شيخ شيرازى ، فلما أكلوا وقع عليهم النوم فى حال السماع .

فقال الشيخ الشيرازى لصاحب الدعوة : ما السبب فى نومنا ؟ فقال : لا أدرى !! اجتهدت فى جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان ، فلم أسأل عليه .

فلما أصبحوا سألوا بائع الباذنجان ، فقال : لم يكن لى شىء ، فسرقت الباذنجان من الموضع الفلانى « وبعته » فحملوه إلى صاحب الأرض ليجعله فى حلّ ، فقال الرجل : تسألون منى ألف باذنجانة ؟ قد وهبته تلك الأرض . ووهبته ثورين ، وحماراً ، وآلة الحرث ؛ لئلا يعود إلى مثل ما فعل .

وقيل : تزوّج رجل بامرأة .. فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدرى ، فقال الرجل : اشتكتْ عينى ، ثم قال : عميت ، فزفَّت إليه المرأة .. ثم ماتت بعد عشرين سنة .. ففتح الرجل عينيه ، فقيل له فى ذلك فقال : لمْ أعم ، ولكن تعاميت حذار أن تحزن ، فقيل له : سبقتَ الفتيان .

وقال ذو النّون المصرى : من أراد الظّرف فعليه بسقاة الماء ببغداد .

فقيل له : كيف هو[1] ؟ فقال : لما حُملت إلى الخليفة ، فيما نُسب إلىّ من الزندقة ، رأيت سَقاء عليه عمامة ، وهو مترد بمنديل مصرىّ ، وبيده كيزان خزف رقاق ، فقلت : هذا ساقى السلطان ، فقالوا : لا ، هذا ساقى العامة .

فأخذت الكوزَ وشربت . وقلت لمن معى : أعطه ديناراً . فلم يأخذه ، وقال : أنت أسير ، وليس من الفتوّة أن آخذ منك شيئا .

وقيل : ليس من الفتوّة أن تربح على صديقك . قاله بعض أصدقائنا ، رحمه الله تعالى .

وكان فتى يسمى « أحمد بن سهل » التاجر ، وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ الثمنُ رأسَ ماله فقلت له : ألا تأخذ ربحاً ؟ فقال : أما الثمن فآخذه ، ولا أحملك مِنّة ؛ لأنه ليس له من الخَطَر ما أتخلق به معك ، ولكن لا آخذ الربح ؛ إذ ليس من الفتوة أن تربح على صديقك .

وقيل : خرج إنسان يدّعى الفتوة من « نيسابور » إلى « نسا » فاستضافه رجل ، ومعه جماعة من الفتيان ، فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصبّ الماء على أيديهم ، فانقبض النيسابورى عن غسل اليد ، وقال : ليس من الفتوة أن تصبّ النسوان الماء على أيدى الرجال !!

فقال واحد منهم : أنا من سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أم رجلًا .

سمعت منصورا المغربى يقول : أراد واحد أن يمتحن نوحاً النيسابورى العيار[2] .. فباع منه[3] جارية فى زىّ غلام ، وشرط أنه غلام ، وكانت وضيئة الوجه ، فاشتراها نوح على أنها غلام ، ولبثت عنده شهوراً كثيرة ، فقيل للجارية : هل علم أنك جارية ؟ فقالت : لا ، إنه ما مسّنى ، وتوهّم أنى غلام .

وقيل : إن بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان ، فأبى . فضربه ألف سوط ، فلم يُسَلم ، فاتفق أنه احتلم تلك الليلةّ ، وكان برداً شديداً ، فلما أصبح اغتسل بالماء البارد ، فقيل له : خاطرت بروحك ، فقال : استحييت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق ، ولا أصبر على مقاساة برد الاغتسال لأجله .

---

(١) أى حالهم .
(٢) العيار أى الشجاع .
(٣) أى باع له .

وقيل : قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدَّعي الفتوة ، فقال الرجال : يا غلام قدم السفرة . فلم يقدّم . فقال له الرجل ذلك ثانياً وثالثاً .. فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا . ليس من الفتوة أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه فى تقديم السفرة كلَّ هذا !! فقال الرجل : لِمَ أبطأت بالسفرة ؟ فقال الغلام : كان عليها نملٌ ، فلم يكن من الأدب تقديمُ السفرة إلى الفتيان مع النمل ، ولم يكن من الفتوة إلقاء النمل من السفرة ، فلبثت حتى دب النمل ، فقالوا له : دقَّقت ياغلام ، مثلك مَن يخدم الفتيان .

وقيل : إن رَجلًا نام بالمدينة من الحاجّ . فتوهم أن « هميانه »[1] سُرق ، فخرج ، فرأى جعفراً الصادق .. فتعلق به ، وقال له : أنت أخذت هميانى ؟ فقال له : ماذا كان فيه ؟ فقال : ألف دينار .

فأدخله داره .. ووزن له ألف دينار ، فرجع الرجل إلى منزله ، ودخل بيته ، فرأى هميانه فى بيته وقد كان توهم أنه سُرق ؛ فخرج إلى جعفر معتذراً ، ورد عليه الدنانير ، فأبى أن يقبلها ، وقال : شيء أخرجته من يدى لا أسترده .

فقال الرجل : من هذا ؟! فقيل : جعفر الصادق .

وقيل : سأل شقيق البلخيُّ جعفر بن محمد عن الفتوة ، فقال : ما تقول أنت ؟

فقال شقيق : إن أعطينا شكرنا ، وإن منعنا صبرنا .

فقال جعفر : الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل !! .

فقال شقيق : يا ابن بنت رسول الله ، ما الفتوة عندكم ؟

فقال : إن أعطينا آثرنا ، وإن مُنعنا شكرنا .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الجريرى يقول : دعانا الشيخ أبو العباس بن مسروق ليلةً إلى بيته ، فاستقبلنا صديق لنا ، فقلنا له : ارجع معنا ، فنحن فى ضيافة الشيخ ، فقال : إنه لم يدعنى !! فقلنا : نحن نستثنى[2] ، كما استثنى رسولُ الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها .

---

(١) الهميان : بكسر الهاء : الدراهم أو كيس الدراهم .
(٢) أى نستأذن لك عند الدخول .

فرددناه[1] ، فلما بلغ باب الشيخ أخبرناه بما قال ، وقلنا . فقال :

جَعلتَ موضعى من قلبك أن تجىء إلى منزلى من غير دعوة ، على كذا وكذا إن[2] مشيتَ إلى الموضع الذى تقعد فيه منه إلا على خدّى ، وألح عليه .. ووضع خدَّه على الأرض ، وحُمل الرجل ، فوضع قدمه على خدّه من غير أن يوجعه ، وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أن بلغ موضع جلوسه .

وأعلم أن من الفتوة السَّتر على عيوب الأصدقاء ، لا سيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول للنصر أباذى كثيرا : إنَّ عليا القوال يشرب الليل ويحضر مجلسك بالنهار ، وكان لا يسمع فيه ما يقال ، فانفق أنه كان يمشى يوما ومعه واحد ممن يذكر عليا بذلك عنده فوجد علياً مطروحاً فى موضع ، وقد ظهر عليه أثر السكر ، وصار بحيث يغسل فمه ، فقال الرجل : إلى كم تقول فيه للشيخ ولا يسمع ؟! هذا علىٌّ عَلى الوصف الذى نقول . فنظر إليه النصر أباذى وقال للعذول[3] : احمله على رقبتك ، وانقله إلى منزله . فلم يجد بدا من طاعته فيه .

وسمعته يقول : سمعت أبا علىٍّ الفارسى يقول : سمعت المرتعش يقول : دخلنا مع أبى حفص على مريض نعوده ، ونحن جماعة ، فقال للمريض : أتحبُّ أن تبرأ ؟ فقال : نعم فقال لأصحابه : تحملوا عنه .. فقام العليل .. وخرج معنا . وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد .

---

(١) وفى نسخة ، فأخذناه معنا .
(٢) أى : ما مشيت .
(٣) أى : اللائم له .

باب الفراسة

قال الله تعالى ﴿ إنَّ فِي ذلك لآياتٍ لِّلْمُتَوَسِمِين ﴾[١] . قيل : للمتفرِّسين .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله تعالى ، قال : أخبرنا أحمد بن على بن الحسين الرازى قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن السَّكن قال : حدثنا موسى بن داود قال : حدثنا محمد بن كثير الكوفى قال : حدثنا عمرو بن قيس : عن عطية ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله عزّ وجلّ »[٢] .

والفراسة : خاطر على القلب فينفي ما يضادّه . وله على القلب حُكم اشتقاقاً من : فريسة السبع ، وليس فى مقابلة الفراسة مُجَوِّزات[٣] للنفس .

وهى على حسب قوّة الإيمان : فكلّ من كان أقوى إيماناً كان أحدّ فراسة .

وقال أبو سعيد الخرَّاز : من نظر ينور الفراسة نظر بنور الحقّ ، وتكون موادّ عِلمه من الحق بلا سهو ولا غفلة ، بل حُكم حقٍ جرى على لسان عبد .

وقوله : « نظر بنور الحقّ » يعنى : بنور خصّه به الحق سبحانه .

وقال الواسطى : إن الفراسة : سواطع أنوار لمعت فى القلوب ، وتمكين معرفة حملت السرائر فى الغيوب من غيْب إلى غَيب ، حتى يشهد الأشياء من حيثُ أشهده الحق ، سبحانه ، إياها ؛ فيتكلم على ضمير الخلق .

ويحكى عن أبي الحسن الديلمى أنه قال :

دخلت (أنطاكية) لأجل (أسود) قيل لى : إنه يتكلم على الأسرار . فأقمت فيها إلىَ أن خرج من جبل (لِكام)[٤] ومعه شيء من المباح يبيعه ، وكنت جائعا منذ يومين لم آكل شيئا فقلت له : بكم هذا ؟ وأوهمته أنى أشترى ما بين يديه فقال : اقعد ثمَّ ؛ حتى إذا بعناه نعطيك

---

(١) آية ٧٥ من سورة الحجر .

(٢) أخرجه البخارى فى التاريخ والترمذى عن أبي سعيد الحكيم وسمويه والطبرانى فى المعجم الكبير ، وابن عدى فى الكامل عن أبي أمامة وابن جرير عن ابن عمر .

(٣) أى : احتمالات .

(٤) جبل بالشام .

ما تشترى به شيئاً .. فتركته وسرت إلى غيره ؛ أوهمه أنى أساومه . ثم رجعت إليه ، وقلت له :

إن كنتَ تبيع هذا فقل لى بكم ؟ فقال : إنما جعتَ يومين ، اقعد ثم ، حتى إذا بعناه نعطيك ما تشترى به شيئا .. فقعدتُ .. فلما باعه أعطانى شيئاً ومشى ، فتبعته .. فالتفتَ إلىَّ وقال لى : إذا عرضَتْ لك حاجة ، فأنزلها بالله تعالى ، إلا أن يكون لنفسك فيها حظ فتُحجب عن حاجتك .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول . سمعت الكتّانى يقول : الفراسة : مكاشفة اليقين ، ومعاينة الغيب ، وهو[1] من مقامات الإيمان .

وقيل : كان الشافعى ، ومحمد بن الحسن ، رحمهما الله تعالى ، فى المسجد الحرام فدخل رجل ، فقال محمد بن الحسن : أتفرّس أنه نجار ، وقال الشافعى : أتفرّس أنه حدّاد ، فسألاه ، فقال : كنت قبل هذا حدّادا ، والساعة أنجر .

وقال أبو سعيد الخرّاز :

المسْتنبط : مَن يلاحظ الغيب أبدا ، ولا يغيب عنه ، ولا يخفى عليه شىء ، وهو الذى دلّ عليه قوله تعالى :

﴿ لعلِمَهُ الذين يستنبطُونَهُ مِنْهم ﴾[2] .

والمتوسِّم : هو الذى يعرف الوَسْم[3] ، وهو العارف بما فى سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات ، قال الله تعالى : ﴿ إنَّ فى ذَلِكَ لآيات لِلْمُتَوَسِّمين ﴾[4] . أى : للعارفين بالعلامات التى يبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه .

والمتفرّس : ينظر بنور الله تعالى ، وذلك : سواطع أنوار لمعت فى قلبه فأدرك بها المعانى ، وهو[5] من خواص « الإيمان » ، والذين هم أكبر منه[6] حظاً « الرَّبانيون » قال الله تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّانيين ﴾[7] يعنى : علماء ، حكماء ، متخلقين بأخلاق الحقّ نظراً وخُلقًا ، وهم فارغون عن الإخبار عن الخلق ، والنظر إليهم ، والاشتغال بهم .

وقيل : كان أبو القاسم المنادى مريضًا ، وكان كبير الشأن ، من مشايخ (نيسابور) فعاده

---

(١) أى مقام الفراسة .
(٢) آية ٨٣ من سورة النساء .
(٣) أى العلامة .
(٤) آية ٧٥ من سورة الحجر .
(٥) أى نور الله .
(٦) أى من المتوسم .
(٧) آية ٧٩ من سورة آل عمران .

أبو الحسن البوشنجى ، والحسن الحداد ، واشتريا بنصف درهم تفاحا فى الطريق نسيئة ، وحملاه إليه ، فلما قعدا قال أبو القاسم : ما هذه الظلمة ؟ فخرجا . وقالا : ماذا فعلنا ؟. وتفكرا .. فقالا : لعلنا لم نؤد ثمن التفاح ، فأعطياه الثمن ، وعادا إليه ، فلما وقع بصره عليهما قال : هذا عجب ، أيمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة ؟! أخبرانى عن شأنكما .. فذكرا له هذه القصة ، فقال : نعم ، كان يعتمد كلّ واحد منكما على صاحبه فى إعطاء الثمن ، والرجل يستحى منكما فى التقاضى ، فكان تبقى التبعة ، وأنا السبب ، إنما رأيتُ ذلك فيكما وكان أبو القاسم المنادى هذا يدخل السوق كل يوم يُنادى ، فإذا وقع بيده ما فيه كفايته من دانق إلى نصف درهم خرج منه . وعاد إلى رأس وقته ، ومراعاة قلبه .

وقال الحسين بن منصور :

الحقّ إذا استولى على سرّ ملكة الأسرار ؛ فيعاينها ، ويخبر عنها .

وسئل بعضهم عن الفراسة ، فقال : أرواحٌ تتقَلب فى الملكوت ، فتشرف على معانى الغيوب ، فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة ، لا نطق ظنّ وحسبان .

وقيل : كان بين زكريا النخشبى وبين امرأة سببٌ قبل توبته ، فكان يوماً واقفا على رأس أبى عثمان الحيرى ، بعدما صار من خواصِّ تلاميذه ، فتفكر فى شأنها ، فرفع أبو عثمان رأسه إليه وقال : أما تستحى ؟! .

قال الأستاذ الإمام ، رحمه الله :

كنت فى ابتداء وصلتى بالأستاذ أبى على الدّقاق ، رضى الله عنه ، عقد لى المجلس فى مسجد « المطرز » فاستأذنته وقتاً للخروج إلى (نسا) فأذن لى فيه ، فكنت أمشى معه يوماً فى طريق مجلسه ، فخطر ببالى : ليته ينوب عنى فى مجالسى أيام غيبتى . فالتفت إلىَّ ، وقال لى : أنوبُ عنك أيام غيبتك فى عقد المجالس .

فمشيت قليلاً .. فخطر ببالى أنه عليل يشقُّ عليه أن ينوب عنى فى الأسبوع يومين ، فليته يقتصر على يوم واحد فى الأسبوع ؛ فالتفت إلىَّ وقال : إن لم يمكنى فى الأسبوع يومان أنوب عنك فى الأسبوع مرَّة واحدة ، فمشيت معه قليلاً ، فخطر ببالى شىء ثالث ، فالتفت إلىَّ وصرَّح بالإخبار عنه على القطع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدّى أبا عمرو بن نجيد يقول :

كان شاه الكرمانىّ حادّ الفِراسة ، لا يُخطىء ، ويقول : من غضَّ بصره عن المحارم ،

أمسك نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وتعوَّد أكل الحلال ، لم تخطئ فراسته .

وسئل أبو الحسن النورى : من أين تولدتْ فراسة المتفرّسين ؟

فقال : من قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى ﴾[1] ، فمن كان حظه من ذلك النور أتمّ ، كانت مشاهدته أحْكم ، وحكمُه بالفراسة أصدق ، ألا ترى كيف أوجب نفخُ الرّوح فيه[2] السجودَ له بقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[5] .

وهذا الكلام من أبى الحسن النورى فيه أدنى غموض وإيهام ، بذكر نفخ الرُّوح[3] ، لتصويب من يقول بقدم الأرواح ، ولا كما يلوح لقلوب المستضعفين ، فإن الذى يصحُّ عليه النفخ والاتصال والانفصال فهو قابل للتأثير والتغيير ، وذلك من سمات الحدوث ، وأن الله ، سبحانه وتعالى ، خصّ المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفرَّسون ، وهى فى الحقيقة معارف ، وعليه يُحمل قوله ﷺ : « فإنه ينظر بنور الله » أى بعلم وبصيرة يخصُّه الله تعالى به ويفرده به من دون أشكاله . وتسمية العلوم والبصائر أنوارا : غير مستبدع ، ولا يبعد وصف ذلك بالنفخ ، والمراد منه : الخلق .

وقال الحسين بن منصور :

المتفرِّس هو المصيب بأول مرماه إلى مقصده ، ولا يعرِّج على تأويل وظن وحُسبان .

وقيل : فراسة المريدين تكون ظنا يوجب تحقيقاً[4] ، وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة .

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكى :

إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق : فإنهم جواسيس القلوب ؛ يدخلون فى قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسُّون .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت

---

(١) آية ٢٩ من سورة الحجر وآية ٧٢ من سورة ص .

(٢) أى فى آدم . (٥) سورة الحجر الآية ٢٩.

(٣) أى لجعل نفخ الروح هو السبب الموجب لسجود الملائكة .

(٤) أى يقيناً .

الخلدى يقول : سمعت أبا جعفر الحداد يقول : الفراسة أوّلُ خاطر بلا معارض ؛ فإن عارض مُعارضٌ من جنسه فهو خاطر وحديث نفس .

ويُحكى عن أبى عبد الله الرازى (نزيل نيسابور) قال :

كسانى (ابن الأنبارى) صوفًا ، ورأيت على رأس الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف ، فتمنيت فى نفسى أن يكونا جميعًا لى .. فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلىّ .. فتبعته ، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلىّ ، فلما دخل داره دخلت ؛ فقال لى : انزع الصوف . فنزعته .. فلفّه وطرح القلنسوة عليه ، ودعا بنار فأحرقهما .

وقال أبو حفص النيسابورى :

ليس لأحد أن يدّعى الفراسة ، ولكن يتقى الفراسة من الغير ؛ لأن النبى ﷺ قال : (اتقوا فراسة المؤمن) ولم يقل : تفرسوا فكيف يصحُّ دعوى الفراسة لمن هو فى محل اتقاء الفراسة ؟!

وقال أبو العباس بن مسروق :

دخلت على شيخ من أصحابنا أعوده .. فوجدته على حال رثة ، فقلت فى نفسى : من أين يرتزق هذا الشيخ ؟ فقال لى : يا أبا العباس : دع عنك هذه الخواطر الدنيئة ؛ فإن لله ألطافًا خفية .

ويحكى عن الزبيدى قال :

كنت فى مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء ، فلم يفتح علينا بشىء أياما ، فأتيت الخوّاص لأسأله شيئًا ، فلما وقع بصره علىّ قال : الحاجة التى جئت لأجلها يعلمها الله أم لا ؟ فقلت : بلى ؛ فقال : اسكت ولا تبدها لمخلوق ، فرجعت ولم ألبث إلا قليلاً حتى فتح علينا بما فوق الكفاية . وقيل : كان سهل بن عبد الله يومًا فى الجامع ، فوقع حَمَام فى المسجد من شدّة ما لحقه من الحرِّ والمشقة ، فقال سهل : إنَّ شاها الكرمانى مات الساعة ، إن شاء الله تعالى ، فكتبوا ذلك .. فكان كما قال :

وقيل : خرج أبو عبد الله التروغندى – وكان كبير الوقت – إلى « طوس » فلما بلغ « خرّ » وقال لصاحبه : اشتر الخبز . فاشترى ما يكفيهما ، فقال : اشتر أكثر من ذلك . فاشترى صاحبه ما يكفى عشرة أنفس تعمدًا ، فكأنه لم يجعل لقول ذلك الشيخ تحقيقًا قال : فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيَّدتهم اللصوص ، لم يأكلوا منذ مدَّة ، فسألونا الطعام ، فقال : قدّم إليهم السفرة .

وقال الأستاذ الإمام : كُنت بين يدى الأستاذ الإمام أبى علىّ رحمه الله يومًا فجرى حديث الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى رحمه الله ، وأنه يقوم فى السماع موافقة للفقراء ، فقال الأستاذ أبو علىّ : مثله فى حاله ؛ لعل السكون أولى به . ثم قال فى ذلك المجلس امض إليه فستجده وهو قاعد فى بيت كتبه ، وعلى وجه الكتُب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور . فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئًا وجئنى بها . وكان وقت الهاجرة .. فدخلت عليه فإذا هو فى بيت كتبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكَرَ ، فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى فى الحديث وقال : كان بعض الناس[1] ينكر على أحد من العلماء حركته فى السماع ، فرؤى ذلك الإنسان يومًا خاليًا فى بيت وهو يدور كالمتواجد ، فسئل عن حاله فقال : كانت مسألة مشكلةً علىّ ، فتبين لى معناها ، فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور ، فقيل له : مثل هذا يكون حالهم .

فلما رأيت ما أمرنى به الأستاذ أبو على ، وما وصف لى على الوجه الذى قال وجرى على لسان الشيخ أبى عبد الرحمن ما كان قد ذكره به ، تحيرتُ ، وقلت : كيف أفعل بينهما ؟.

ثم فكرت فى نفسى وقلت : لا وجه إلا الصدق ، فقلت : إن الأستاذ أبا على وصف لى هذه المجلدة وقال لى احملها من غير أن تستأذن الشيخ ، وأنا هو ذا أخافك ، وليس يمكننى مخالفته ، فأى شىء تأمرنى به ؟.. فأخرج[2] « مسدسًا » من كلام الحسين ، وفيه تصنيف له سمَّاه : كتاب « الصهيور فى نقض الدهور » وقال : احمل هذا إليه ، وقل له : إنى أطالع تلك المجلدة وأنقل منها أبياتًا إلى مصنفاتى .. فخرجت .

ويحكى عن الحسن الحدَّاد ، رحمه الله ، أنه قال :

كنت عند أبى القاسم المنادى وعنده جماعة من الفقراء ، فقال لى : اخرج وأْتِهم بشىء ، فسررت : حيث أذن لى فى التكلف للفقراء وأن آتيهم بشىء بعد ما علم فقرى ، قال : فأخذت « مِكتلًا »[3] وخرجت .. فلما أتيت سكة « سيار » رأيت شيخًا بهيا فسلمت عليه وقلت : جماعة من الفقراء فى موضع ، فهل لك أن تتخلق[4] معهم بشىء ؟ فأمر .. حتى إذا أخرج إلىّ شيئًا من الخبز واللحم والعنب ، فلما بلغت الباب نادى أبو القاسم المنادى من وراء

---

(١) أى إنسان .

(٢) فأخرج مجلدًا آخر من كلام الحسين بن منصور .

(٣) زنبيلًا .

(٤) تتكرم وتعطى .

الباب : ردّه إلى الموضع الذى أخذته منه . فرجعت واعتذرت إلى الشيخ ، وقلت : لم أجدهم .. وعَرّضت بأنهم تفرّقوا ، ورددت السبب[١] عليه ثم جئت إلى السوق ففتح علىّ بشىء ، فحملته ، فقال : ادخل .

فقصصت عليه القصّة ، فقال : نعم ، ذاك (ابن سيّار) رجل سلطانى[٢] ، إذا جئت للفقراء بشىء فأتهم بمثل هذا ، لا بمثل ذاك .

قال أبو الحسين القرافى : زرت أبا الخير التيناتى ، فلما ودّعته .. خرج معى إلى باب المسجد ، وقال لى : يا أبا الحسين ، أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلومًا ، ولكن احمل معك هاتين التفاحتين .

فأخذتها .. ووضعتها فى جيبى ، وسرت ، فلم يفتح لى بشىء ثلاثة أيام ، فأخرجت واحدة منها ، وأكلتها ، ثم أردت أن أخرج الثانية ، فإذا هما جميعًا فى جيبى ، فكنت آكل منها ويعودان .. إلى[٣] باب الموصل ، فقلت فى نفسى : إنهما يفسدان علىّ حال توكلى ؛ إذ صارتا معلومًا لى !!

فأخرجتها من جيبى بمرّة . فنظرت فإذا فقير ملفوف فى عباءة يقول : أشتهى تفاحة !! فناولتها إياه .. فلما عبرتُ وقع لى : أن الشيخ إنما بعثها إليه . وكنت فى رُفقة فى الطريق .. فانصرفت إلى الفقير ، فلم أجده .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت أبا عمر بن علوان يقول :

كان شاب يصحب الجنيد .. وكان يتكلم على خواطر الناس ، فذُكر للجنيد ، فقال له الجنيد : ما هذا الذى ذُكر عنك ؟ فقال للجنيد : اعتقدْ شيئًا . فقال : اعتقدتُ !! فقال الشاب : اعتقدتَ كذا وكذا ؟ فقال الجنيد : لا . فقال : اعتقدْ ثانيًا ، ففعل ، فقال : اعتقدتَ كذا وكذا . فقال : لا فقال : ثالثًا . فقال : مثله . فقال الشاب هذا عجب ، أنت صدوق ، وأنا أعرف قلبى ؟! فقال الجنيد : صدقتَ فى الأول والثانى والثالث ، ولكنى أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك !!

---

(١) أى الطعام .
(٢) أى منسوب إلى السلطان وطعامه ليس بصاف (العروسى) .
(٣) أى إلى أن وصلت فى سفرى .

وسمعته يقول : سمعت أبا عبد الله الرازى يقول : اعتلّ ابن الرقى ، فحُمل إليه دواء فى قدح ، فأخذه ، ثم قال : وقع اليوم فى المملكة حَدَث : لا آكل ، ولا أشرب حتى أعلم ما هو ؟ فورد الخبر بعدها بأيام : أن القرمطى دخل مكة فى ذلك اليوم ، وقتل بها تلك المقتلة العظيمة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول : سمعت أبا عثمان المغربى يقول :

ذكر الكاتب هذه الحكاية ، فقال : هذا عجب !! فقلت له : هذا ليس بعجب ، فقال لى أبو على بن الكاتب : ما خبر مكة اليوم ؟ فقلت : هو ذا : تحاربَ الطلحيون وبنو الحسن ، ومقدّم الطلحيين أسودُ عليه عمامة حمراء ، وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم ، فكتب أبو على إلى مكة ، فكان كما ذكرت له .

ويروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال :

دخلت على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكنت رأيت فى الطريق امرأة تأملتُ محاسنها ، فقال عثمان رضى الله عنه : يدخل علىّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه ، فقلت له : أَوَحىٌ بعد رسول الله ﷺ ؟!

فقال : لا ، ولكن تبصرةٌ ، وبرهان ، وفراسة صادقة .

وقال أبو سعيد الخرّاز : دخلت المسجد الحرام ، فرأيت فقيرًا عليه خرقتان يسأل الناس شيئًا ، فقلت فى نفسى : مثل هذا كلٌّ على الناس !! فنظر إلىّ وقال :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[1] .

قال : فاستغفرت فى سرّى ، فنادانى ، وقال :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[2] .

وحكى عن إبراهيم الخوّاص أنه قال :

كنت ببغداد فى جامع المدينة ، وهناك جماعة من الفقراء ، فأقبل علينا شاب ظريف ، طيِّب الرائحة ، حسن الحُرمة[3] ، حسن الوجه ، فقلت لأصحابنا : يقع لى أنه يهودى !! فكلهم كرهوا ذلك ، فخرجت ، وخرج الشابّ ، ثم رجع إليهم وقال : ماذا قال الشيخ فىّ ؟!

---

(١) آية ٢٣٥ من سورة البقرة .
(٢) آية ٢٥ من سورة الشورى .
(٣) وفى نسخة « الخدمة » ، وفى أخرى « الجملة » وهى مجتمع شعر الرأس ، وهى الأصوب .

فاحتشموه . فألحّ عليهم ، فقالوا : قال إنك يهودى . قال : فجاءنى وأكبّ على يدّى ، وأسلم . فقيل له : ما السبب ؟ قال :

نجد فى كتبنا أنّ الصدِّيق لا تخطىء فراسته . فقلت : أمتحن المسلمين ؛ فتأملتهم ، وقلت : إن كان فيهم صدّيق ففى هذه الطائفة[1] ؛ لأنهم يقولون[2] حديثه سبحانه ، فلبستُ عليكم .. فلما اطلع هذا الشيخ علىّ ، وتفرّس فىّ علمت أنه صدِّيق ، وصار الشاب من كبار الصوفية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء ، يقول : سمعت محمد بن داود يقول :

كنا عند الجريرى ، فقال : هل فيكم من إذا أراد الحق ، سبحانه ، أن يحدث فى المملكة حدثا أعلمه قبل أن يُبديه ؟ قلنا : لا . فقال : ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيئًا .

وقال أبو موسى الديلمى : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل ، فقال : لو أدخلت يدك فى فم التنين[3] حتى تبلغ الرُّسغ لا تخاف مع الله تعالى شيئًا غيره . قال : فخرجت إلى أبى يزيد لأسأله عن التوكل ، فدققت عليه الباب ، فقال : أليس لك فى قول عبد الرحمن كفاية ؟! فقلت : افتح الباب . فقال : ما زرتنى ، أتاك الجواب من وراء الباب . ولم يفتح لى الباب ؛ فمضيت ، ولبثت سنة ، ثم قصدته ، فقال : مرحبًا ، جئتنى زائرًا . فكنت عنده شهرًا ، فكان لا يخطر بقلبى شىء إلا حدَّثنى عنه . فعند وداعه لى قلت :

أفدنى فائدة . فقال : حدثتنى أمى : أنها كانت حاملاً بى ، فكانت إذا قدّم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه ، وإذا كان فيه شبهة انقبضت يدها عنه .

وقال إبراهيم الخوَّاص :

دخلت البادية ، فأصابتنى شدّة ، فلما بلغت مكة ، داخلنى شىء من الإعجاب ، فنادتنى عجوز : يا إبراهيم ، كنت معك فى البادية فلم أكلمك ؛ لأنى لم أرد أن أشغل سرّك أخرجْ عنك هذا الوسواس !!

وحكى أن الفرغانى كان يخرج كلّ سنة إلى الحج ، ويمر بـ « نيسابور » ، ولا يدخل على أبى عثمان الحيرى قال : فدخلت عليه مرّة ، وسلمت ، فلم يردّ علىّ السلام ، فقلت فى نفسى :

---

(١) أى الصوفية .

(٢) وفى نسخه « يتلون حديثه » أى كلامه .

(٣) نوع من الحيات الكبيرة .

مُسلم يدخل عليه ويسلم عليه فلا يردّ سلامه ؟ فقال أبو عثمان : مثل هذا يحجّ وَيَدع أمه لا يبرُّها ؟!

قال : فرجعت إلى « فرغانة » ولزمتها حتى ماتت . ثم قصدت أبا عثمان ، فلما دخلت استقبلنى ، وأجلسنى ، ثم إنَّ الفرغانى لازمه وسأله سياسة دابته[1] ، فولاه ذلك حتى مات أبو عثمان .

وقال خير النسّاج :

كنت جالسًا فى بيتى ، فوقع لى : أن الجنيد بالباب ، فنفيت عن قلبى ، فوقع لى ثانيًا ، وثالثًا ، فخرجت فإذا بالجنيد ، فقال : لِمَ لم تخرج مع الخاطر الأوّل ؟!

وقال محمد بن الحسين البسطامى :

دخلت على أبى عثمان المغربى ، فقلت فى نفسى : لعله يتشهى[2] علىَّ شيئًا ؟ فقال أبو عثمان : لا يكفى الناس أن آخذ منهم حتى يريدوا مسألتى إياهم .

وقال بعض الفقراء :

كنت ببغداد ، فوقع لى : أن المرتعش يأتينى بخمسة عشر درهمًا ؛ لأشترى بها الركوة[3] ، والحبل ، والنعل ، وأدخل البادية :

قال : فدق علىّ البابُ ، ففتحت ، فإذا أنا بالمرتعش معه خُريقة ، فقال : خذها . فقلت : ياسيدى ، لا أريدها !! فقال : فلم تؤذينا ؟! كم أردتَ ؟ فقلت : خمسة عشر درهمًا . فقال : هى خمسة عشرَ درهمًا .

وقال بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[4] أى : ميت الذهن فأحياه الله تعالى بنور الفراسة ، وجعل له نور التجلى والمشاهدة ، لا يكون كمن يمشى بين أهل الغفلة غافلاً .

وقيل : إذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت أبا العباس بن مسروق يقول :

---

(١) أى خدمتها .

(٢) وفى نسخة : يشتهى أى يسألنى قضاء شىء .

(٣) الركوة : الدلو الصغيرة .

(٤) آية ١٢٢ من سورة الأنعام .

قدم علينا شيخ ، فكان يتكلم علينا فى هذا الشأن[1] بكلام حسن ، وكان عذب اللسان ، جيد الخاطر ، فقال لنا فى بعض كلامه : كلّ ما وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى ، فوقع فى قلبى أنه يهودىّ ، وكان الخاطر يقوى ولا يزول . فذكرت ذلك للجريرى ، فكبر عليه ذلك ، فقلت : لابدّ لى أن أخبر الرجل بذلك ؛ فقلت له : تقول لنا ما وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى ؛ إنه يقع : إنك يهودىّ !! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : صدقت ، أشهد أن لا إلهَ إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله . وقال : قد مارست جميع المذاهب وكنت أقول : إن كان مع قوم[2] منهم شىء فمع هؤلاء ؛ فداخلتكم لأختبركم ، فأنتم على الحقّ . وحَسُن إسلامه .

ويحكى عن الجنيد : أنه كان يقول له السرىّ : تكلم على الناس[3] .

فقال الجنيد : وكان فى قلبى حشمة[4] من الكلام على الناس ؛ فإنى كنت أتهم نفسى فى استحقاق ذلك .. فرأيت ليلة النبى ﷺ فى المنام وكانت ليلة جمعة ، فقال لى : « تكلم على الناس » . فانتبهت .. وأتيت باب السرى قبل أن أصبح ؛ فدققت عليه الباب ، فقال : لم تصدّقنا حتى قيل لك ؟ فقعد للناس فى الجامع بالغد ، فانتشر فى الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس ؛ فوقف عليه غلام نصرانى متنكرًا ، وقال له : أيها الشيخ ، ما معنى قول رسول الله ﷺ :

« اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنَّ المؤمن ينظر بنور الله تعالى»؟

قال : فأطرق الجنيد .. ثم رفع رأسه وقال :

أسلم ؛ فقد حان وقت إسلامك . فأسلم الغلام .

---

(١) أى فى الصوفية .
(٢) وفى نسخة « مع أحد » .
(٣) أى عظهم وذكرهم .
(٤) أى مهابة .

باب الخلق

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١] .

أخبرنا على بن أحمد الأهوازى قال : أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى : قال : حدَّثنا هشام[٢] بن محمد بن غالب قال : حدثنا معلى بن مهدى قال : حدثنا بشار بن إبراهيم النميرى ، قال : حدثنا غيلان بن جرير عن أنس قال :

« قيل يارسول الله : أىُّ المؤمنين أفضل إيمانًا ؟ قال : أحسنهم خُلُقًا »[٣] .

إذ الخُلق الحسن أفضل مناقب العبد ، وبه يظهر جواهر الرِّجال ، والإنسان مستور بخَلْقه مشهودٌ بخُلقه .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : إن الله تعالى ، خصَّ نبيه ﷺ بما خصّه به ، ثم لم يُثن عليه بشىء من خصاله بمثل ما أثنى بخلقه ؛ فقال عزّ من قائل :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٤] .

وقال الواسطى : وَصَفه بالخلق العظيم ؛ لأنه جاد بالكونين[٥] ، واكتفى بالله تعالى .

وقال الواسطى أيضًا : الخلق العظيم : أن لا يُخاصِم ولا يُخاصَم ، من شدَّةِ معرفته بالله تعالى .

وقال الحسين بن منصور : معناه :

لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق ..

وقال أبو سعيد الخراز : لم يكن لك همة غير الله تعالى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت الكتانى يقول :

التصَوّف خُلق ، مَنْ زاد عليك بالخُلق ، فقد زاد عليك فى التصوّف .

---

(١) آية ٤ من سورة القلم .
(٢) وفى نسخة : تمتام .
(٣) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه .
(٤) آية ٤ من سورة القلم .
(٥) بالدنيا والآخرة .

ويروى عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، أنه قال :

إذا سمعتمونى أقول لمملوك : أخزاه الله فاشهدوا أنه حُرّ .

وقال الفضيل :

لو أن العبد أحسن الإحسان كله ، وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين .

وقيل : كان ابن عمر ، رضى الله عنهما ، إذا رأى واحدًا من عبيده يُحْسن الصلاة يعتقه . فعرفوا ذلك من خلقه ، فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له ، وكان يعتقهم ، فقيل له فى ذلك . فقال : من خَدَعنا فى الله انخدعنا له .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا محمد الجريرى يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت الحارث المحاسبى يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول :

الخلق : استصغار ما منك إليه واستعظام ما منه إليك .

وقيل للأحنف : ممن تعلمت الخلق ؟ فقال : من قيس بن عاصم المنقرى . قيل : وما بلغ من خُلقه ؟ قال : بينا هو جالس فى داره إذ جاءت خادم له بِسَفود[1] عليه شواء ، فسقط من يدها ، فوقع على ابن له ، فمات ، فدهِشت الجارية ، فقال : لا رَوْعَة عليك ، أنت حُرَّة لوجه الله تعالى .

وقال شاه الكرمانى :

علامة حُسْن الخلق : كفُّ الأذى ، واحتمال المؤن .

وقال رسول الله ﷺ : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحُسْن الخلق »[2] .

وقيل لذى النون المصرى : من أكثر الناس هما ؟ قال : أسوأهم خُلقًا .

وقال وهب : ما تخلّق عبد بخلق أربعين صباحًا إلا جعله الله طبيعةً فيه .

وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[3] أى : وخلقك فحسِّن ..

---

(١) حديد يشوى عليه اللحم .

(٢) رواه البزار ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب .

(٣) آية ٤ من سورة المدثر .

وقيل : كان لبعض النسَّاك شاة فرآها على ثلاث قوائم[١] . فقال : من فعل بها هذا ؟ فقال غلام له : أنا . فقال : لِمَ ؟ قال : لأغمك بها !! فقال : لا ، بل لأغمنَّ من أمرك بذلك . اذهب فأنت حرٌّ .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : هل فرحتَ فى الدنيا قط ؟. فقال : نعم ، مرتين إحداهما : كنت قاعدًا ذات يوم فجاء إنسان وبال علىَّ ؛ والثانية : كنت قاعدًا فجاء إنسان وصفعنى .

وقيل : كان أويس القرنى إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة ، فيقول : إن كان ولا بُدَّ فارمونى بالصِّغار[٢] : كيلا تدقوا ساقى فتمنعونى عن الصلاة .

وشتم رجل الأحنف بن قيس ... وكان يتبعه ... فلما قرب من الحىّ وقف ، وقال : يافتى ، إن بقى شىء فقله ؛ كيلا يسمعك بعض سفهاء الحىّ فيجيبوك[٣] .

وقيل لحاتم الأصم : أيحتمل الرجل من كلّ أحد ؟.. فقال : نعم ، إلا من نفسه .

وروى أنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب[٤] رضى الله عنه ، دعا غلامًا له ، فلم يجبه ، فدعاه ثانيًا وثالثًا فلم يجبه ، فقام إليه فرآه مضطجعًا ، فقال : أما تسمع يا غلام ؟ فقال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابى ؟ فقال : أمِنتُ عقوبتك فتكاسلت . فقال : امض ؛ فأنت حرّ لوجه الله تعالى .

وقيل : نزل معروف الكرخى الدجلة ليتوضأ ، ووضع مصحفه وملحفته ، فجاءت امرأة وحملتهما، فتبعها معروف ، وقال : يا أختى ، أنا معروف ولا بأس عليك ، ألك ابن يقرأ ؟ قالت : لا . قال : فزوج ؟ قالت : لا ، قال : فهاتى المصحف وخذى الثوب .

ودخل اللصوص مرَّة دار الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى بـ « المكابرة » ، وحملوا ما وجدوا ، فسمعت بعض أصحابنا يقول : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : اجتزت بالسوق ، فوجدت جُبَّتى على منْ يزيد[٥] ، فأعرضت ، ولم ألتفت إليه .

سمعت الشيخ أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السرَّاج الطوسى يقول :

---

(١) والرابعة قطعت .

(٢) أى الصغار من الحجارة .

(٣) وفى نسخة فيؤذوك .

(٤) ابن عم رسول الله ﷺ وكرم الله وجهه ورضى عنه ، وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبينه ، وقال له أنت منى بمنزلة هارون من موسى وله من المواقف المحمودة ما شهدت به السيرة انظر أسد الغابة ، والإصابة والسيرة النبوية .

(٥) أى تباع فى المزاد .

سمعت الوجيهى يقول : قال الجريرى : قدمت من مكة ، حرسها الله تعالى ، فبدأت بالجنيد ، لكيلا يتعنى إلىَّ ، فسلّمت عليه ، ثم مضيت إلى المنزل فلما صليت الصبح فى المسجد إذا أنا به خلفى فى الصفّ ، فقلت : إنما جئتك لئلا تتعنى ، فقال : ذاك فضلك ، وهذا حقك .

وسئل أبو حفص عن الخُلق . فقال : هو ما اختار الله - عزَّ وجلَّ - لنبيه ﷺ فى قوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ... ﴾[1] الآية .

وقيل : الخلق : أن تكون من الناس قريبًا ، وفيما بينهم غريبًا .

وقيل : الخلق قبول ما يَردُ عليك من جفاء الخلق ، وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق .

وقيل : كان أبو ذرّ على حوض يسقى إبلا له ، فأسرع بعض الناس إليه ، فانكسر الحوض ، فجلس ، ثم اضطجع ، فقيل له فى ذلك فقال : إن رسول الله ﷺ أمرنا إذا غضب الرجل أن يجلس فإن ذهب عنه . وإلا فليضطجع .

وقيل : مكتوب فى الإنجيل : عبدى .. اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب .

وقالت امرأة لمالك بن دينار : يا مرائى !! فقال : ياهذه ؛ وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة .

وقال لقمان لابنه : لا تُعرَف ثلاثة إلا عند ثلاثة : الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب ، والأخ عند الحاجة إليه .

وقال موسى ، عليه السلام : إلهى ، أسألك أن لا يقال ما ليس فىَّ ؛ فأوحى الله سبحانه إليه : ما فعلت ذلك لنفسى ، فكيف أفعله لك ؟

وقيل ليحيى بن زياد الحارثى ، وكان له غلام سوء : لِمَ تمسك هذا الغلام ؟ فقال : لأتعلم عليه الحلم .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وبَاطِنَةً ﴾[2] : الظاهرة : تسوية الخلق ، والباطنة : تصفية الخُلُق .

وقال الفضيل[3] : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحبّ إلىّ من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق .

وقيل : الخلق الحسن احتمال الكروه بحسن المداراة .

---

(١) الأعراف آية : ١٩٩ .

(٢) سورة لقمان آية ٢٠ .

(٣) ابن عياض .

وحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البرارى فاستقبله جندى ، فقال : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة ، فضرب رأسه وأوضحه ، فلما جاوزه ، قيل له : إنه إبراهيم بن أدهم زاهد « خراسان » فجاءه يعتذر إليه ، فقال : إنك لما ضربتنى سألت الله تعالى لك الجنة . فقال : لم ؟ فقال علمت أنى أؤجر عليه ، فلم أرد أن يكون نصيبى منك الخير ، ونصيبك منى الشر .

وحكى أن أبا عثمان الحيرى دعاه إنسان إلى ضيافة ، فلما وافى باب داره قال : يا أستاذ ، ليس الآن وقت دخولك ، وقد ندمت ، فانصرف ، فرجع أبو عثمان ، فلما وافى منزله عاد إليه الرجل ، وقال : يا أستاذ ، ندمت !! وأخذ يتعذر إليه ، وقال : احضر الساعة ... فقام أبو عثمان ومضى ، فلما وافى باب داره قال : مثل ما قال فى الأولى ، ثم كذلك فعل فى الثالثة والرابعة ، وأبو عثمان ينصرف ويحضر ، فلما كان بعد مرّات قال : يا أستاذ ، أردت اختبارك . وأخذ يعتذر ويمدحه ، فقال أبو عثمان :

لا تمدحنى على الخُلق تجد مثله مع[1] الكلاب : الكلب إذا دُعى حضر ، وإذا زُجر انزجر .

وقيل : إن أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة ، فألقى عليه من سطح طشت رماد ، فتغير أصحابه ، وبسطوا ألسنتهم فى الملقى ، فقال أبو عثمان :

لا تقولوا شيئًا ، من استحق أن يصبّ عليه النار ، فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب .

وقيل : نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة ، فكان جعفر يخدمه جدًا ، والفقير يقول : نعم الرجل أنت لو لم تكن يهوديًا !! فقال جعفر : عقيدتى لا تقدح فيما تحتاج إليه من الخدمة ؛ فسل لنفسك الشفاء ولى الهداية .

وقيل : كان لعبد الله الخياط حَرِّيف مجوسىّ ، يخيط له ثيابًا ، ويدفع إليه دراهم زيوفًا ، وكان عبد الله يأخذها .. فاتفق أنه قام من حانوته يومًا لشغل ، فجاء بالدراهم الزيوف ، فدفعها إلى تلميذه ، فلم يقبلها ، فدفع إليه الصحاح ، فلما رجع عبد الله قال لتلميذه : أين قميص المجوسى ؟

فذكر له القصة .. فقال : بئسما عملت ؟ إنه منذ مدّة يعاملنى بمثلها ، وأنا أصبر عليه ، وألقيها فى بئر ، لئلا يَغُرّ بها غيرى .

---

(١) وفى نسخة « فى » .

وقيل : الخلق السيئ يضيق قلب صاحبه ؛ لأنه لا يسع فيه غير مراده ، كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه .

وقيل : حسن الخلق : أن لا تتغير ممن يقف فى الصفّ بجنبك .

وقيل : من سوء خلقك : وقوع بصرك على سوء خلق غيرك .

وسئل رسول الله ، ﷺ ، عن الشؤم ، فقال :

« سوء الخلق »[1] .

أخبرنا أبو الحسن علىٌّ بن أحمد الأهوازى ، قال : حدثنا أبو الحسن الصفار البصرى قال : حدَّثنا معاذ بن المثنى قال : حدَّثنا يحيى بن معين قال حدثنا مروان الفزارى قال : حدثنا يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال :

قيل : يارسول الله ، ادع الله تعالى على المشركين .

فقال : « إنما بعثت رحمة ، ولم أبعث عذابًا »[2] .

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى المعجم الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية عن عائشة ، وأخرجه الدار قطنى فى الأفراد ، والطبرانى فى الأوسط عن جابر ، ورمز له السيوطى بالضعف .

(٢) أخرجه البخارى فى التاريخ عن أبى هريرة ورمز له السيوطى بالحسن .

باب الجود والسخاء

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[1] ﴾[2] .

أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا الحسن بن العباس قال : حدثنا سهل قال : حدثنا سعيد بن مسلم ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ :

« السخىّ : قريب من الله تعالى ، قريبٌ من الناس . قريب من الجنة ، بعيد من النار .

والبخيل : بعيد من الله تعالى ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار .

والجاهل السخىّ أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل »[3] .

قال الأستاذ : ولا فرق - على لسان القوم - بين الجود والسخاء ، ولا يوصف الحق ، سبحانه ، بالسخاء والسماحة ، لعدم التوقيف .

وحقيقة الجود : أن لا يصعب عليه البذل .

وعند القوم ، السخاء : هو الرتبة الأولى ، ثم الجود بعده ، ثم الإيثار ، فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ، ومن بذلك الأكثر ، وأبقى لنفسه شيئًا ، فهو صاحب جود ، والذى قاسى الضرر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ، كذلك سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة طلبها منى ، لأنه إن كان كريما أصونُ عرضه ، وإن كان لئيما أصون عنه عرضى .

وقيل : كان مـــ رّق العجلى يتلطف فى إدخال الرفق على إخوانه ، يضع عندهم ألف درهم ، فيقول : أمسكوها عندكم حتى أعود إليكم ، ثم يرسل إليهم : أنتم منها فى حِلّ .

---

(١) خصاصة : فقر وحاجة .

(٢) آية ٩ من سورة الحشر .

(٣) قال كشف الخفا : جـ ٢ ص ٥٤٥ ، رواه الترمذى والعقيلى فى الضعفاء وغيرهما عن أبى هريرة رفعه وقال الترمذى غريب ، وإنما يروى عن عائشة مرسلاً ورواه الطبرانى فى الأوسط بسند فيه سعيد بن محمد الوراق ضعيف عن عائشة ، وقال ابن الجوزى فى الموضوعات لما ذكر هذا الحديث عن الدار قطنى قال لهذا الحديث طرق لا يثبت منها شىء ، قال الحافظ ابن حجر : ولا يلزم من هذه العبارة أن يكون موضوعًا إذ تصدق بالضعيف ، فالحكم عليه بالوضع ليس بجيد ، وقال النجم وفيه زيادة عند الترمذى : والجاهل السخى أحب إلى الله من عابد بخيل ، وزاد الدارقطنى : وأدوأ الداء البخل » ا هـ .

وقيل : لقى رجل من أهل « منبج » رجلاً من أهل المدينة ، فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من أهل المدينة ، فقال له : لقد أتانا رجل منكم يقال له « الحكم بن عبد المطلب » فأغنانا . فقال له المدنى : وكيف ؟ وما أتاكم إلا فى جبة صوف ! فقال ما أغنانا بمال ، ولكنه علمنا الكرم . فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : لمَّا سعى غلام الخليل[1] بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم ، فأما الجنيد فإنه تستر بالفقة ، كان يفتى على مذهب « أبى ثور » ، وأما الشحام ، والرقام ، والنورى . وجماعة ، فقبض عليهم ، فبسط النِّطع لضرب أعناقهم .. فتقدم النورى فقال له السّياف : تدرى إلى ماذا تبادر ؟ . فقال : نعم قال وما يعجلك ؟ .

فقال أوثر علىَّ أصحابى بحياة ساعة .

فتحير السيَّاف ، وأنهى الخبر إلى الخليفة ، فردّهم إلى القاضى ، ليتعرف حالهم ، فألقى القاضى على أبى الحسين النورى مسائل فقهية ، فأجابه الكلّ ، ثم أخد يقول :

وبعد : فإن لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، وسرد ألفاظًا أبكى بها القاضى فأرسل القاضى إلى الخليفة ، وقال : إن كان هؤلاء زنادقة ، فما على وجه الأرض مسلم .

وقيل : كان علىّ بن الفضيل[2] يشترى من باعة المحلّة ، فقيل له : لو دخلت السوق فاسترخصت .

فقال : هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا .

وقيل : بعث رجل إلى « جبلة[3] » بجارية ، وكان بين أصحابه ، فقال : قبيح أن أتخذها لنفسى وأنتم حضور ، وأكره أن أخصّ بها واحدًا وكلكم له حق وحرمة ، وهذه لا تحتمل القسمة ، وكانوا ثمانين : فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف .

وقيل : عطش عبيد الله بن أبى بكرة يومًا فى طريقه ، فاستسقى من منزل امرأة ، فأخرجت له كوزا ، وقامت خلف الباب ، وقالت : تنحوا عن الباب ، وليأخذه بعض غلمانكم ، فإنى امرأة من العرب : مات خادمى منذ أيام ، فشرب عبيد الله الماء ، وقال لغلامه : احمل إليها عشرة آلاف درهم . فقالت : سبحان الله تسخر بى ؟ . فقال ؛ أحمل إليها عشرين ألف

---

(١) ابن أحمد .
(٢) ابن عياض .
(٣) ابن سحيم .

درهم . فقالت : اسأل الله تعالى العافية . فقال : يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم ، فردّت الباب وقالت : أف لك ، فحمل إليها ثلاثين ألف درهم ، فأخذتها فما أمست حتى كثر خطابها .

وقيل : الجود : إجابة الخاطر الأول :

سمعت بعض أصحاب أبى الحسن البوشنجى ، رحمه الله ، يقول : كان أبو الحسن البوشنجى فى الخلاء ، فدعا تلميذًا له ، وقال له : أنزع عنى هذا القميص ، وادفعه إلى فلان ، فقيل له : هلّا صبرت حتى تخرج من الخلاء ؟ فقال : لم آمن على نفسى أن يتغير علىّ ما وقع لى من التخلف منه بذلك القميص .

وقيل لقيس بن سعد بن عبادة : هل رأيت أحدًا أسخى منك ؟ فقال له : نعم ، نزلنا بالبادية على امرأة ، فحضر زوجها ، فقالت له : إنه نزل بك ضيفان ، فجاء بناقة ونحرها ، وقال ؛ شأنكم بها ..

فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال : شأنكم بها ، فقلنا : ما أكلنا من التى نحرت لنا بالبارحة إلا اليسير ..

فقال : إنى لا أطعم أضيافى الغابّ[1] . فبقينا عنده يومين أو ثلاثة ، والسماء تمطر ، وهو يفعل كذلك ..

فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار فى بيته ، وقلنا للمرأة : اعتذرى لنا إليه .. ومضينا ، فلما متع[2] النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام : أعطيتمونى ثمن قراى .. ثم إنه لحقنا وقال : لتأخذنه ، وإلا طعنتكم برمحى هذا ، فأخذناه وانصرف ، فأنشأ يقول :

وإذا أخذت ثوابَ ما أعطيته فكفى بذاك لنائلٍ تكديرا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : دخل أبو عبد الله الروزبارى دار بعض أصحابه ، فوجده غائبًا ، وباب بيتٍ له مقفل ، فقال : صوفى وله باب بيت مقفل !! اكسروا القفل ، فكسروا القفل وأمر بجميع ما وجد فى الدار والبيت ، وأنفذه إلى السوق ، وباعوه ، وأصلحوا وقتًا من[3] الثمن ، وقعدوا فى الدار .. فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئاً .

---

(١) البائت .

(٢) ارتفع وقوى .

(٣) أى واشتروا بعض حاجات لهم من الثمن الذى باعوا به .

فدخلت امرأته بعدهم الدار ، وعليها كساء ، فدخلت بيتًا ، ورمت الكساء ، وقالت : يا أصحابنا ، هذا أيضاً من جملة المتاع فبيعوه . فقال الزوج لها : لم تكلفت هذا باختيارك ؟ .

فقالت : له اسكت ، مثل هذا الشيخ يباسطنا ، ويحكم علينا ، ويبقى لنا شيء ندخره عنه ؟ .

وقال بشر بن الحارث : النظر إلى البخيل يقسى القلب

وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة ، فاستبطأ إخوانه . فسأل عنهم ، فقيل له : إنهم يستحيون ممّا لك عليهم من الدَّين ، فقال : أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة !! ، ثم أمر من ينادى[1] من كان لقيس عليه دين فهو منه فى حلّ ، فكسرت عتبته بالعشى ، لكثرة من عاده .

وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك تبذل الكثير إذا سئلت ، وتضنُّ فى القليل إذا نُوجزتَ .

فقال : إنى أبذل مالى وأضِنُّ بعقلى .

وقيل : خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له .. فنزل على نخيل قوم ، وفيها غلام أسود يعمل فيها ، إذ أتى الغلام بقوته ، فدخل كلب الحائط[2] ودنا من الغلام ، فرمى إليه الغلام بقرص ، فأكله ، ثم رمى إليه الثانى ، والثالث ، فأكله ، وعبدالله بن جعفر ينظر إليه فقال له : يا غلام ، كم قُوتك كلَّ يوم ؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت هذا الكلب ؟ .

قال : ما هى بأرض كلاب ، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت رده .

قال : فما أنت صانع اليوم ؟ . قال له : أطوى يومى هذا . فقال عبد الله بن جعفر : أؤلام على السخاء ؟ ؟! إنَّ هذا لأسخى منى ، فاشترى الحائط والغلام وما فيها من آلات ، فأعتق الغلام ووهبها له .

وقيل : أتى رجلٌ صديقًا له ، ودقّ عليه الباب ، فلما خرج إليه قال : لماذا جئتنى ؟ .

قال لأربعمائة درهم دين ركبتنى ، فدخل الدار ، ووزن له أربعمائه درهم وأخرجها إليه ، ودخل الدار باكيًا ، فقالت له امرأته : هلّا تعللت حين شقَّ عليك الإجابة ؟!.

فقال : إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتى به .

---

(١) وفى نسخة « مناديا » .

(٢) الحديقة التى بها النخيل .

وقال مطرف بن الشخير : إذا أراد أحدكم منى حاجة فليرفعها فى رقعة ؟ فإنىِّ أكره أن أرى فى وجهه ذلّ الحاجة .

وقيل : أراد رجل أن يضارَّ عبدالله بن العباس ، فأتى وجوه البلد ، وقال لهم : يقول لكم ابن العباس تغدُّوا عندى اليوم ، فأتوه ، فملئوا الدار ، فقال : ما هذا ؟ فأخبر الخبر : فأمر بشراء الفواكه فى الوقت ، وأمر بالخبز ، والطبخ ، وأصلح أمراً ، فلما فرغوا قال لوكلائه : أموجود لنا كل يوم هذا ؟ فقالوا : نعم . فقال : فليتغد هؤلاء كلهم عندما كلَّ يوم .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكى يتوضأ يومًا فى صحن داره ، فدخل إليه إنسان وسأله شيئاً من الدنيا ، ولم يحضره شىء . فقال : اصبر حتى أفرغ .

فصبر .. فلما فرغ قال له : خذ القمقمة واخرج ، فأخذها ، وخرج ، ثم صبر حتى علم أنه بعُد ، فصاح وقال : دخل إنسان وأخذ القمقمة . فمشوا خلفه ، فلم يدركوه .

وإنما فعل ذلك : لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل .

وسمعته يقول : وهَبَ الأستاذ أبو سهل جبّته من إنسان فى الشتاء ، وكان يلبس جبّة النساء حين يخرج إلى التدريس ، إذ لم تكن له جبة أخرى ، فقدم الوفد المعروفون من فارس ، فيهم من كلّ نوع : إمام من الفقهاء ، والمتكلمين ، والنحويين ، فأرسل إليه صاحب الجيش أبو الحسن وأمره بأن يركب للاستقبال فلبس دُراعةً فوق تلك الجبة التى للنساء ، وركب ، فقال صاحب الجيش : إنه يستخفٌ بى أمام البلد : يركب فى جبة النساء !!.. ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم فى كل فن .

وسمعته يقول : لم يناول الأستاذ أبو سهل أحدًا شيئا بيده ، وكان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض ، وكان يقول : الدنيا أقل خطرًا من أن أرى لأجلها يدى فوق يد أحد .

وقد قال ﷺ : « اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى »[1] .

وقيل : كان أبو مرثد ، رحمه الله ، أحد الكرام ، فمدحه بعض الشعراء ، فقال : ما عندى ما أعطيك ، ولكن قدمنى إلى القاضى ، وأدَّع علىّ عشرة آلاف درهم ، حتى أقرّ لك بها ، ثم

---

(١) حديث صحيح وتمامه وابدأ بمن تعول أخرجه أحمد فى مسنده والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عمر .

أحبسني ، فإن أهلي لا يتركوني مسجونًا . ففعل ذلك ، فلم يُمس حتى دُفع إليه عشرة آلاف درهم ، وخرج من السجن .

وقيل : سأل رجل الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، شيئًا فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار ، وقال : أئت بحمال يحمله لك . فأتى بحمال فأعطاه « طيلسانه » وقال : يكون كِراءُ الحمّال من قِبلي .

وسألت امرأةٌ الليث بن سعد « سكرجة » عسل ، فأمر لها بزقٍ من عسل فقيل له في ذلك ، فقال : إنها سألت على قدر حاجتها ، ونحن نعطيها على قدر نعمنا .

وقال بعضهم .. صليت في مسجد الأشعث بالكوفة الصبح أطلب غريمًا لي ، فلما سلمت وُضِع بين يدي كلٍّ واحد حُلة ونعلين[1] . وكذلك وضع بين يديّ فقلت : ما هذا ؟ .

فقالوا : إن الأشعث قدم من مكة ، فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده .

فقلت : إنما جئت أطلب غريمًا لي ، ولست من جماعته .

فقالوا : هو لكلّ من حضر .

وقيل : لمَّا قربت وفاة الشافعي ، رضي الله تعالى عنه ، قال : مُروا فلانًا يغسلني .

وكان الرجل غائبًا .. فلما قدم أخبر بذلك ، فدعا بتذكرته[2] فوجد عليه سبعين ألف درهم دينًا ، فقضاها ، وقال : هذا غسلي إياه .

وقيل : لما قدم الشافعي من « صنعاء » إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار ، فقيل له : تشتري بها « قنية »[3] فضرب خيمته خارج مكة ، وصبَّ الدنانير ، فكلّ من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة ، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء .

وقيل : خرج السريّ يوم عيد ، فاستقبله رجل كبير الشأن ، فسلم السريّ عليه سلامًا ناقصاً . فقيل له : هذا رجل كبير الشأن . فقال : قد عرفته ، ولكن روى مسندًا : أنه إذا التقى المسلمان قُسمت بينهما مائة رحمة : تسعون لأبشّهما ، فأردت أن يكون معه الأكثر .

وقيل : بكى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومًا ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام ، وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني .

---

(١) وفي نسخه « ونعلان » وهي الأصوب .
(٢) أي بدفتر الشافعي .
(٣) أي شيئًا يقتني .

وروى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، أنه قال : زكاةُ[1] الدّار أن يتخذ فيها بيت للضيافة .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ .. ﴾[2] قيل قيامه عليهم بنفسه ، وقيل : لأن ضيف الكريم كريم .

وقال إبراهيم بن الجنيد : كان يقال : أربعة لا ينبغى للشريف أن يأنف منهن ، وإن كان أميرًا : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وخدمته لعالم يتعلم منه ، والسؤال عما لم يعلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتاً ﴾[3] : إنهم كانوا يتحرَّجون فى أن يأكل أحدهم وحده ، فرخص لهم فى ذلك .

وقيل : أضاف « عبد الله بن عامر بن كريز » رجلًا ، فأحسن قراه ، فلما أراد الرجل أن يرتحل عنه لم يُعنه غلمانه ، فقيل له فى ذلك . فقال عبد الله ، إنهم لا يعينون من يرتحل عنا .

أنشد عبد الله بن باكوية الصوفىّ قال : أنشدنا المتنبى فى معناه :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

وقال عبد الله بن المبارك : سخاء النفس عمّا فى أيدى الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل .

وقال بعضهم : دخلت على بشر بن الحارث فى يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب وهو ينتفض ، فقلت : يا أبا نَصْر ، الناس يزيدون فى الثياب فى مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت ؟!!.

فقال : ذكرت الفقراء وما هم فيه ، ولم يكن لى ما أواسيهم به ، فأردت أن أرافقهم بنفسى فى مقاساة البرد .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الدقاق يقول : ليس السخاء أن يعطى الواجدُ المعدم ، إنما السخاء أن يُعطى المعدمُ الواجد .

---

(١) أى بركتها ونحوها .

(٢) آية ٢٤ من سورة الذاريات .

(٣) آية ٦١ من سورة النور .

باب الغيرة

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[١] .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى قال : أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزاز ببغداد قال : حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال : حدثنا عبد الله بن مسلم ، قال : حدثنا محمد بن الفرات ، عن إبراهيم الهجرى ، عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أحدٌ أغير من الله تعالى ، ومن غيرته حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن »[٢] .

أخبرنا علىٌّ بن أحمد الأهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال : حدثنا على بن الحسن بن بنان قال : حدثنا عبد الله بن رجاء قال : أخبرنا حرب بن شداد قال : حدثنا يحيى ابن أبى كثير عن أبى سلمة : أن أبا هريرة ، رضى الله عنه ، حدَّثهم أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله تعالى : أن يأتى العبد المؤمن ما حرَّم الله عليه »[٣] .

والغيرة : كراهية مشاركة الغير ، وإذا وُصف الله سبحانه بالغيرة ، فمعناه : أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له .

حكى عن السرىّ السقطى : أنه قرئ بين يديه : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[٤] فقال السرىّ لأصحابه : أتدرون ما هذا الحجاب ؟! هذا حجاب الغيرة ، ولا أحد أغيرُ من الله تعالى .

ومعنى قوله : « هذا حجاب الغيْرة » يعنى : أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين .

---

(١) آية ٣٣ من سورة الأعراف .

(٢) وروى بنحوه عن عائشة فيما أخرجه البخارى : عن النبى ﷺ قال : ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزنى ، يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا » :

(٣) والمراد بالغيرة هنا عدم الرضا والحديث أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم فى صحيحيهما ، والترمذى وقال حديث صحيح .

(٤) آية ٤٥ من سورة الإسراء .

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ، رحمه الله : يقول : إن أصحاب الكسل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان[1] ، فاختار لهم البعد عنه ، وأخرهم عن محل القرب؛ ولذلك تأخروا .

وأنشدوا :

أنـــا صـبٌّ هَـــويتُ ولـكـن ... ما احتيالى لسوء رأى الموالى

وفى معناه أيضًا قالوا : سقيم ليس يُعادُ . ومريد ولا يُراد .

سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول : سمعت العباس الزوزنى يقول : كان لى بداية حسنة .. وكنت أعرف كم بقى بينى وبين الوصول إلى مقصودى من الظفر بمرادى ، فرأيت ليلة من الليالى فى المنام : كأنى أتدهده[2] من حالق جبل ، فأردت الوصول إلى ذروته ، قال : فحزنت ، فأخذنى النوم فرأيت قائلاً يقول : يا عباس ، الحقّ لم يُرد منك أن تصل إلى ما كنت تطلب ، ولكنه فتح على لسانك الحكمة ، قال : فأصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة .

وسمعت الأستاذ أبا علىّ ، رحمه الله ، يقول : كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله ، فخفى مدَّة لم يُر بين الفقراء ، ثم إنه ظهر بعد ذلك لا على ما كان عليه من الوقت . فسئل عنه فقال : آه . وقع حجاب .

وكان الأستاذ أبو على ، رحمه الله تعالى ، إذا وقع شىء فى خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين يقول : هذا من غيرة الحق سبحانه ، يريد أن لا يجرى عليهم ما يجرى من صفاء هذا الوقت .

وأنشدوا فى معناه :

همتْ بـإتيـاننـا حتى إذا نـظرَتْ ... إلى المـرآة نهاها وجههـا الحسنُ

وقيل لبعضهم : تريد أن تراه ؟ فقال : لا ، فقيل : لِمَ ؟

فقال : أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى .

وفى معناه أنشدوا :

إنى لأحْسـدُ نـاظـرَّى عليكـا ... حتى أغضُّ إذا نـظرتُ إليكـا

وأراك تخـطرُ فى شـمائـلك التى ... هى فتنتى فـأغـارُ منـك عليكـا

---

(١) والمعنى كما قاله الإمام العروسى يعنى ربط أقدامهم بثقلات الخذلان عن العبادة بحيث يتمنونها ولا يجدون عليها عونًا

(٢) أتدحرج .

وسئل الشبلى : متى تستريح؟[1] فقال : إذا لم أر له ذاكرًا .

سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول فى قول النبى ﷺ فى مبايعته فرسًا من أعرابى ، وأنه استقاله فأقاله ، فقال الأعرابى : عمرُك الله تعالى ، ممن أنت ؟

فقال له النبى ﷺ : امرؤ من قريش .

فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابى : كفاك جفاء أن لا تعرف نبيك !

وكان رحمه الله يقول : إنما قال امرؤ من قريش غيرة ، وإلا كان واجبًا عليه التعرّف إلى كلِّ أحد : أنه من هو ؟ .. ثم إن الله ؛ سبحانه ، أجرى على لسان ذلك الصحابى التعريف للأعرابى بقوله : كفاك جفاء أن لا تعرف نبيك ..!!

ومن الناس من قال : إن الغيرة من صفات أهل البداية ، وإنَّ الموحد لا يشهد الغيرة ، ولا يتصف بالاختيار ، وليس له فيما يجرى فى المملكة تحكم ، بل الحق سبحانه ، أولى بالأشياء فيما يقضى على ما يقضى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول : الغيرة عمل المريدين ، فأما أهل الحقائق فلا .

وسمعته يقول : سمعت أبا نصر الاصبهانى يقول : سمعت الشبلى يقول : الغيرة غيرتان : غيرة البشرية على النفوس ، وغيرة الإلهية على القلوب .

وقال الشبلى أيضًا : غير الإلهية على الأنفاس أن تضيع فيما سوى الله تعالى ، والواجب أن يقال : الغيرة غيرتان :

غيرة الحق ، سبحانه ، على العبد : وهو أن لا يجعله للخلق ، فيضنَّ به عليهم وغيرة العبد للحق ، وهو أن لا يجعل شيئًا من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى فلا يقال : أنا أغار على الله تعالى ، ولكن يقال : أنا أغار لله ، فإذن الغيرة على الله تعالى جهل ، وربما تؤدى إلى ترك الدين ، والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له .

واعلموا أنَّ من سنة الحق ، تعالى ، مع أوليائه : أنهم إذا ساكنوا غيرًا ، أو لاحظوا شيئا ، أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً ، شوش عليهم ذلك ، فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه ، فارغة عما ساكنوه أو لاحظوه أو ضاجعوه ، كآدم ، عليه السلام ، لمَّا وطن نفسه على الخلود فى الجنة أخرجه منها .

---

(١) أى من الغيرة .

وإبراهيم ، عليه السلام ، لما أعجبه إسماعيل ، عليه السلام ، أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبة ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[1] وصفا سره منه أمره بالفداء عنه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا زيد المروزى ، رحمه الله ، يقول : سمعت ابراهيم بن شيبان يقول . سمعت محمد بن حسان يقول : بينا أنا أدور فى جبل لبنان ، إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقته السموم[2] والرياح ، فلما نظر إلىَّ وَلى هاربًا ، فتبعته ، وقلت له تعظنى بكلمة ؟

فقال لى : أحذر ، فأنه غيور ، لا يحب أن يرى فى قلب عبده سواه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن ، رحمه الله ، يقول : قال النصر اباذى : الحق تعالى غيور ، ومن غيرته : أنه لمْ يجعل إليه طريقًا سواه .

وقيل : أوحى الله ، سبحانه ، إلى بعض أنبيائه : أنَّ لفلان إلىَّ حاجة ، ولى أيضًا إليه حاجة ، فإن قضى حاجتى قضيت حاجته ؛ فقال ذلك النبى ، عليه السلام فى مناجاته : إلهى ؛ كيف يكون لك حاجة ؟ فقال : إنه ساكن بقلبه غيرى فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته .

وقيل : إن أبا يزيد البسطامى رأى جماعة من الحور العين فى منامه .. فنظر إليهنَّ ، فسلب وقته أياما ، ثم إنه رأى فى منامه جماعة منهنَّ ، فلم يلتفت إليهن وقال : إنكنَّ شواغل .

وقيل : مرضت رابعة العدوية ، فقيلَ لها : ما سبب علتك ؟

فقالت : نظرت بقلبى إلى الجنة فأدّبنى ، فله العتبى ، لا أعود .

ويحكى عن السرى أنه قال : كنت أطلب رجلًا صديقًا لى مدة من الأوقات فمررت فى بعض الجبال ، فإذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى ، فسألت عن حالهم ، فقالوا : هاهنا رجل يخرج فى السنة مرة يدعو لهم فيجدون الشفاء ، فصبرت حتى خرج .. ودعا لهم فوجدوا الشفاء ، فقفوت أثره وتعلقت به ، وقلت له : بى علة باطنة !! فما دواؤها ؟ .

فقال : ياسرىّ ، خلّ عنى ، فإنه – تعالى – غيور لايراك تساكن غيره فتسقط من عينه .

قال الأستاذ : ومنهم من غيرته ، حين يرى الناس يذكرونه ، تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك وتشقّ عليه .

---

(١) آية ١٠٣ من سورة الصافات .

(٢) الريح الحارة .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : لما دخل الأعرابى مسجد رسول الله ﷺ ، وبالَ فيه[١] ، وتبادر إليه الصحابة لإخراجه ، قال : رحمه الله ، إنما أساء الأعرابى الأدب ، ولكن الخجل وقع على أصحابه ، والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وصع حشمته ، كذلك العبد إذا عرف جلال قدره ، سبحانه يشق عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة ، وطاعة من لايعبده بالحرمة .

حكى أن أبا بكر الشبلى مات له ابن كان اسمه « أبا الحسن » فجزعت أمه عليه ، وقطعت شعر رأسها ، فدخل الشبلى الحمام وتنور[٢] بلحيته ، فكل من أتاه معزِّيًا قال : ما هذا يا أبا بكر ؟ .

فكان يقول : موافقة لأهلى .

فقال له بعضهم : أخبرنى يا أبا بكر لِمَ فعلت هذا ؟ .

فقال : علمت أنهم يعزوننى على الغفلة[٣] ويقولون : آجرك الله تعالى ، ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة[٤] بلحيتى .

وسمع النورى رجلًا يؤذّن ، فقال[٥] : طعنة وسم الموت ، وسمع كلبًا ينبح فقال : لبيك وسعديك . فقيل له : إن هذا تركٌ للدِّين .. فإنه يقول للمؤمن فى تشهده طعنة وسم الموت ، ويلبى عند نباح الكلاب ، فسئل عن ذلك فقال أما ذلك فكان ذكره لله على رأس الغفلة ، وأما الكلب فقال تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[٦] .

وأذن الشبلى مرّة ، فلما انتهى إلى الشهادتين قال : لولا أنك أمرتنى ما ذكرتُ معك غيرك .

وسمع رجل رجلًا يقول : جلَّ الله . فقال له : أحبُّ أن تجلّه عن هذا .

---

(١) أخرج البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ رأى أعرابيًا يبول فى المسجد فقال : دعوه حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه . وفيما رواه أبو هريرة قال : قام أعرابى فبال فى المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبى ﷺ : دعوه وهريقوا على بوله سجلًا من ماء أو ذنوبًا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين » أخرجه البخارى .

(٢) أى أنه حلقها .

(٣) أى وهم غافلون عن تعظيم الله .

(٤) أى مع الغفلة .

(٥) داعيًا عليه .

(٦) آية ٤٤ من سورة الإسراء .

سمعت بعض الفقراء يقول : سمعت أبا الحسن الخزفانى رحمه الله يقول :

لا إلهَ إلا الله من داخل القلب[١] . محمد رسول الله من القرط[٢] ومن نظر إلى ظاهر هذا لفظ توهم أنه استصغر الشرع ، ولا كما يخطر بالبال ، إذ الإخطار للأغيار بالإضافة إلى قدر لحق سبحانه متصاغرة فى التحقيق[٣] .

---

(١) أى يقولها من يقولها من داخل قلبه .

(٢) والذى يقول محمد رسول الله يقولها من خلف القرط : أى بغير اختيار . والقرط (بضم القاف وإسكان الراء) هو ما يعلق فى شحمة الأذن .

(٣) وقد عقب شيخ الإسلام زكريا الأنصارى على هذا التأويل بقوله « وإذا كان التأويل محتملاً إلا أن بشاعة هذا القول وشناعته وقبح ظاهره لا يخفى على من له أدنى ذوق فى طريق الأدب ، لأن تعظيم رسل الله بأمر الله تعظيم لله .

باب الولاية

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيهم وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [1].

أخبرنا حمزة بن يوسف السَّهمى ، رحمه الله ، قال : حدثنا عبد الله بن عدى الحافظ ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن هارون بن حميد ، قال : حدثنا محمد بن هارون المقرى قال : حدثنا حمّاد الخياط ، عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبى ﷺ قال : « يقول الله تعالى : من آذى وليًا فقد استحلّ محاربتى ، وما تقرّب إلىّ العبد بمثل أداء ما افترضت عليه ، وما يزال العبد يتقرّب إلى بالنوافل حتى أحبه ، وما تردّدت فى شىء أنا فاعله كترددى فى قبض روح عبدى المؤمن ؛ لأنه يكره الموت وأكره مساءته ولابدّ له منه » [2].

الولّى : له معنيان : أحدهما : فعيل بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [3] فلا يكله إلى نفسه لحظة ، بل يتولّى الحق ، سبحانه ، رعايته .

والثانى : فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى ، من غير أن يتخللها عصيان .

وكلا الوصفين واجب [4] حتى يكون الولى وليًا : يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ، ودوام حفظ الله تعالى إيّاه فى السرَّاء والضرَّاء .

ومن شرط الولى : أن يكون محفوظًا ، كما أنَّ من شرط النبىّ أن يكون معصومًا ، فكلُّ من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق رحمه الله ، يقول : قصد أبو يزيد البسطامى بعض من

---

(١) آية ٦٢ من سورة يونس .

(٢) وروى : ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت فى شىء أنا فاعله انظر الجامع الصغير ورياض الصالحين باب المجاهدة ... إلخ .

(٣) من آية ١٩٦ من سورة الأعراف .

(٤) أى وكلا المعنيين واجب تحققه .

وصُف بالولاية ، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه ، فخرج الرجل ، وتنخّم فى المسجد ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة ، فكيف يكون أمينًا على أسرار الحقّ ؟!

واختلفوا فى أن الولىّ : هل يجوز أن يعلم أنه ولىّ ، أم لا ؟ .

فمنهم من قال : لا يجوز ذلك ، وقال : إن الولىّ يلاحظ نفسه بعين التصغير ، وإن ظهر عليه شىء من الكرامات خاف أن يكُون مكرْاً ، وهو يستشعر الخوف دائمًا أبداً ، لخوف سقوطه عمّا هو فيه ، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله ، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية : وفاء المآل .

وقد ورد فى هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ ، وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون ، ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حدّ الاختصار ، وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فورك ، رحمه الله .

ومنهم من قال : يجوز أن يعلم الولىٌّ أنه ولىّ ، وليس من شرط تحقيق الولاية فى الحال الوفاءُ فى المآل .

ثم إن كان ذلك من[1] شرطه أيضًا فيجوز أن يكون هذا الولىُّ خُصّ بكرامة هى : تعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة ، إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب ، وهو وإن قارفه[2] خوف العاقبة ، فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال فى الحال أتم وأشدّ ، فإن اليسير من التعظيم والهيبة أهدأ للقلوب من كثير من الخوف .

ولما قال ﷺ : « عشرة فى الجنة من أصحابى » ، فالعشرة - لا محالة - صدَّقوا الرسول ﷺ وعرفوا سلامة عاقبتهم ، ثم لم يقدح ذلك فى حالهم .

ولأن من شرط صحة المعرفة بالنبوّة : الوقوف على حدِّ المعجزة ، ويدخل فى جملته العلمُ بحقيقة الكرامات ، فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أن لا يميز بينها وبين غيرها ، فإذا رأى شيئًا من ذلك علم أنه فى الحال على الحق ، ثم يجوز أن يعرف أنه فى المآل يبقى على هذه الحالة ، ويكون هذا التعريف كرامة له ، والقول بكرامات الأولياء صحيح .

---

(١) أى الوفاء فى المآل .

(٢) أى خالطه .

وكثير من حكايات القوم يدل على ذلك (كما نذكر طرفًا من ذلك فى باب كرامات الأولياء إن شاء الله تعالى) .

وإلى هذا القول كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم ، الأستاذ أبو على الدقاق ، رحمه الله .

وقيل : إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل : أتحبُّ أن تكون لله وليا ؟ فقال : نعم ، فقال : لا ترغب فى شىء من الدنيا والآخرة ، وفرّغ نفسك لله تعالى ، وأقبلْ بوجهك عليه ليُقبْل عليك ويواليك .

وقال يحيى بن معاذ فى صفة الأولياء : هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة ، واعتنقوا الرَّوْح[1] بعد المجاهدة ، بوصولهم إلى مقام الولاية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : أولياء الله تعالى عرائس الله ... ولا يرى العرائس إلا المحرومون .. وهم مخدّرون[2] عنده فى حجاب الأنس ، لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة .

سمعت أبا بكر الصيدلانى - كان رجلًا صالحًا - قال : كنت أصلح اللوح فى قبر « أبى بكر الطمستانى » أنقر فيه اسمه فى مقبرة « الحيرة » كثيرًا ، وكان يُقلع ذلك اللوح ويُسرق !! ولم يقع مثله فى غيره من القبور ، فكنت أتعجب منه ، فسألت أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يومًا عن ذلك فقال : إن ذلك الشيخ آثر الخفاء فى الدنيا ، وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذى تصلحه فيه ، وإن الحق سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره ، كما آثر هو ستر نفسه .

وقال أبو عثمان المغربى : الولىُّ قد يكون مشهورًا ، ولكن لا يكون مفتونًا ..

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصر اباذى يقول : ليس للأولياء سؤال ، إنما هو الذبول والخمول .

قال : وسمعته يقول : نهايات الأولياء بدايات الأنبياء .

وقال سهل بن عبد الله : الولىّ : هو الذى توالت أفعاله على الموافقة .

---

(١) أى الراحة والنعيم .

(٢) أى وعرائس الله محجوبون .

وقال يحيى بن معاذ : الولىُّ لا يرائى ، ولا ينافق ، وما أقلّ صديق من كان هذا خلقُه !!

وقال أبو علىّ الجوزجانى : الولىّ هو الفانى فى حاله ، الباقى فى مشاهدة الحق سبحانه ، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولى ، لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار .

وقال أبو يزيد : حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء ، وقيام كل فريق منهم باسم ؛ وهو : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، فمتى فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام ، فمن كان حظه من اسمه تعالى « الظاهر » لاحظ عجائب قدرته . ومن كان حظه من اسمه « الباطن » لاحظ ما جرى فى السرائر من أنواره . ومن كان حظه من اسمه « الأول » كان شغله بما سبق ، ومن كان حظه من اسمه « الآخر » كان مرتبطًا بما يستقبله ، وكلٌّ كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق ، سبحانه ببرّه ، وقام عنه بنفسه :

وهذا الذى قاله أبو يزيد يشير إلى أن الخواصّ من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام ، فلا العواقب هم فى ذكرها ،ولا السوابق هم فى فكرها ، ولا الطوارق هم فى أسرها .. وكذا أصحاب الحقائق يكونون محواً عن نعوت الخلائق كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسبهم أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[1] .

وقال يحيى بن معاذ : الولىّ ريحان الله ، تعالى ، فى الأرض ، يشمُّه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم .

وسئل الواسطى : كيف يُغَذَّى[2] الولى فى ولايته ؟ فقال : فى بدايته بعبادته وفى كهولته بستره بلطافته ، ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته ، ثم يذيقه طعم قيامه به فى أوقاته .

وقيل : علامة الولىّ ثلاثة : شغله بالله ، وفراره إلى الله ، وهمه إلى الله .

وقال الخرَّاز : إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدًا من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذَّ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية . وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلاهو فحينئذ صار العبد زَمِنًا فانيًا ، فوقع فى حفظه سبحانه ، وبرئ من دعاوى نفسه ..

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت

---

(١) آية ١٨ من سورة الكهف .

(٢) أى يربى .

أبا علىّ الروزبارى يقول : قال أبو تراب النخشبى : إذا ألف القلبُ الإعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى .

وقالوا : من صفة الولىّ أن لا يكون له خوف ، لأن الخوف ترقب مكروه يحلّ فى المستقبل ، أو انتظار محبوب يفوت فى المستأنف[1] ، والولىّ ابن وقته ، ليس له مستقبل فيخاف شيئًا .

وكما لا خوف له لا رجاء له ، لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يُكشف ، وذلك فى الثانى من الوقت[2] .

وكذلك لا حزن له ، لأن الحزن من حزونة[3] القلب ، ومن كان فى ضياء الرضا وبرَدَ الموافقة فأنى يكون له حزن ؟! قال الله تعالى : ﴿ ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

---

(١) أى المستقبل .

(٢) أى المستقبل .

(٣) صعوبة .

باب الدعاء

قال الله تعالى : ﴿ ادعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[١]

وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢] .

وأخبرنا علىّ بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أبو الحسين الصفار البصرى قال : حدثنا محمد بن أحمد العودى قال : حدثنا كامل ، قال : حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « الدعاء مخّ العبادة »[٣] .

والدعاء : مفتاح الحاجة ، وهو مستروح أصحاب الفاقات ، وملجأ المضطرين ، ومتنفس ذوى المآرب ، وقد ذمّ الله سبحانه وتعالى . قومًا تركوا الدعاء فقال ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾[٤] قيل : لا يمدونها إلينا فى السؤال .

وقال سهل بن عبد الله : « خلق الله تعالى الخلق وقال ناجونى ، فإن لم تفعلوا فانظروا إلىّ ، فإن لم تفعلوا فاسمعوا منى ، فإن لم تفعلوا فكونوا ببابى ، فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بى » .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال سهل بن عبد الله : أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال .

ودعاء الحال : أن يكون صاحبه مضطراً لابد له مما يدعو لأجله .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى ، رحمه الله ، قال سمعت أبا عبد الله المكانسى يقول : كنت عند الجنيد ، فأتت امرأة إليه وقالت : ادع الله أن يردّ علىّ ابنى ؛ فإن ابنًا لى ضاع فقال لها : اذهبى واصبرى ، فمضت ، ثم عادت فقالت له مثل ذلك ، فقال لها الجنيد : اذهبى واصبرى فمضت ثم عادت ، ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها اصبرى ، فقالت له : عيل

---

(١) آية ٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٦٠ من سورة غافر .

(٣) أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

(٤) من آية ٦٧ من سورة التوبة .

صبرى ، ولم يبق لى طاقة عليه ، فادع لى . فقال لها الجنيد : إن كان الأمر كما قلت فاذهبى ، فقد رجع ابنك ، فمضت ، فوجدته ، ثم عادت تشكر له فقيل للجنيد : بم عرفت ذلك ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[1] .

وقد اختلف الناس فى أن : الأفضل الدعاء ، أم السكوت والرضا ؟ فمنهم من قال : الدعاء فى نفسه عبادة ، قال ﷺ « الدعاء مخ العبادة » والإتيان بما هو عبادة أولى من تركه[2] ، ثم هو حق الله تعالى فإن لم يستجب للعبد ، ولم يصل [3] إلى حظّ نفسه فلقد قام بحق ربه ؛ لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية : وقد قال أبو حازم الأعرج : لئن أحرم الدعاء أشدُّ علىّ من أن أحرم الإجابة . وطائفة قالوا : السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتمُّ ، والرضا بما سبق من اختيار الحقّ أولى ، ولهذا قال الواسطى : اختيار ما جرى لك فى الأزل خير لك من معارضة الوقت ، وقد قال ﷺ خبرًا عن الله تعالى .

« من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »[4] وقال قوم : يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه : ليأتى بالأمرين جميعا .

والأولى أن يقال : إن الأوقات مختلفة ، ففى بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت ، وهو الأدب ، وفى بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء ، وهو الأدب ، وإنما يعرف ذلك فى الوقت ، لأن علم الوقت إنما يحصل فى الوقت فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى ، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أولى .

ويصحّ أن يقال : ينبغى للعبد أن لا يكون ساهيًا عن شهود ربه تعالى فى حال دعائه ، ثم يجب عليه أن يراعى حاله ، فإن وجد من الدعاء زيادة بَسط[5] فى وقته فالدعاء له أولى .. وإن عاد إلى قلبه فى وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض ، فالأولى له ترك الدعاء فى هذا الوقت ، وإن لم يجد فى قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه هاهنا سيّان ، فإذا كان الغالب عليه فى هذا الوقت العلْم ، فالدعاء أولى ؛ لكونه عبادة ، وإن كان الغالب عليه فى هذا الوقت المعرفة والحال والسكوت ، فالسكوت أولى ، ويصح أن يقال : ما كان للمسلمين فيه نصيب ،

---

(١) آية ٦٢ من سورة النمل .

(٢) وفى نسخة تركها .

(٣) أى العبد .

(٤) أخرجه الدارمى فى فضائل القرآن وأخرجه الترمذى فى أبواب فضائل القرآن ولفظه ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ يقول الرب تبارك وتعالى : « من شغله القرآن عن ذكرى ، ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » وقال الترمذى حديث حسن غريب .

(٥) وفى نسخة « بسيطة » .

أو للحق سبحانه فيه حقّ ، فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتمّ . وفى الخبر المروى « أن العبد يدعو الله سبحانه وهو يحبُّه ، فيقول : يا جبريل أخِّر حاجة عبدى ، فإنى أحبُّ أن أسمع صوته ، وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول : يا جبريل ، اقض لعبدى حاجته ، فإنى أكره أن أسمع صوته »[١] .

ويحكى عن يحيى بن سعيد القطان ، رحمه الله تعالى ، أنه رأى الحقَّ ، سبحانه فى المنام ، فقال : إلهى ، كم أدعوك فلا تجيبنى !! .

فقال يايحيى ، لأنى أحبُّ أن أسمع صوتك .

وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إن العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان ، فيعرض عنه ، ثم يدعوه ، فيعرض عنه ، ثم يدعوه ، فيعرض عنه ، ثم يدعوه ، فيقول الله تعالى لملائكته : أبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له »[٢] .

أخبرنا أبو الحسين علىّ بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد قال : حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال : أخبرنا محمد بن عبد ربه الحضرمىّ قال : أخبرنا بشر بن عبد الملك قال : حدثنا موسى بن الحجاج قال : قال مالك بن دينار : حدثنا الحسن عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ، ومن المدينة إلى بلاد الشام ، ولا يصحب القوافل توكلاً منه على الله ، عز وجل ، قال :

بينما هو جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لص على فرس .. فصاح بالتاجر : قف . قف !! فوقف له التاجر ، وقال له : شأنك بمالى وخلّ سبيلى . فقال له اللص : المال مالى ، وإنما أريد نفسك . فقال له التاجر : ما تريد بنفسى ؟! شأنك والمال وخلّ سبيلى . قال : فردّ عليه اللص مثل المقالة الأولى ، قال له التاجر : أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعو ربى عزّ وجل .

قال افعل ما بدالك . قال فقام التاجر ، وتوضّأ ، وصلى أربع ركعات ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فكان من دعائه أن قال : « ياودود .. ياودود .. ياذا العرش المجيد ، يامبدئ يامعيد ، يافعَّال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ، وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كلّ شىء ، لا إله إلا أنت ، يا مغيث أغثنى (ثلاث

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى السنن ، والبيهقى فى الدلائل .

(٢) أخرجه ابن ماجة .

مرات) . فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب .. عليه ثياب خضر ، بيده حربة من نور ، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومرّ نحو الفارس ، فلما دنا منه شد الفارس على اللص ، فطعنه طعنة أذراه[1] عن فرسه .. قم جاء إلى التاجر فقال له قم فاقتله ، فقال له التاجر : من أنت ؟ فما قتلت أحدًا قط ولا تطيب نفسى بقتله !! قال ، فرجع الفارس إلى اللص وقتله ، ثم جاء إلى التاجر ، وقال : اعلم أنى ملك من السماء الثالثة ، حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة ، فقلنا أمرٌ حدث !! ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ، ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قِبل السماء وهو ينادى : من لهذا المكروب ؟ فدعوت ربى أن يُولينى قتله ، واعلم - ياعبد الله - أنه من دعا بدعائك هذا فى كلّ كربّة ، وكل شدّة ، وكلّ نازلة فرّج الله تعالى عنه ، وأعانه . قال وجاء التاجر سالمًا غانماً حتى دخل المدينة وجاء إلى النبى ﷺ فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبى ﷺ : « لقد لقنك الله عزّ وجلّ ، أسماءه الحسنى التى إذا دُعى بها أجاب ، وإذا سئل بها أعطى » .

ومن آداب الدعاء : حضورُ القلب ، وأن لا يكون ساهيًا ؛ فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى ، لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه»[2] .

ومن شرائطه : أن يكون مطعمه حلالا ؛ فلقد قال ﷺ لسعد : « أطب كسبك تُستجب دعوتك »[3] .

وقد قيل : الدعاء : مفتاح الحاجة ، وأسنانها[4] : لقم الحلال .

وكان يحيى بن معاذ يقول : إلهى ، كيف أدعوك وأنا عاص ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم ؟!.

وقيل : مرّ موسى ، عليه السلام ، برجل يدعو ويتضرّع ، فقال موسى عليه السلام : إلهى ، لو كانت حاجته بيدى قضيتُها ؛ فأوحى الله ، تعالى إليه : أنا أرحم به منك ، ولكنه يدعونى ، وله غنم وقلبه عند غنمه ، وإنى لا أستجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غيرى . فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك ، فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته .

وقيل لجعفر الصادق : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ .

---

(١) ألقاه .

(٢) البخارى ومسلم .

(٣) البخارى وأحمد فى مسنده .

(٤) الأولى أن يقال « وأسنانه » أى أسنان المفتاح .

فقال : لأنكم تدعون من لا تعرفونه .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول : ظهر بيعقوب بن الليث علة أعيت الأطباء ، فقالوا له : فى ولايتك رجل صالح يسمَّى « سهل بن عبد الله » لو دعا لك لعلّ الله سبحانه يستجيب له ؛ فاستحضر سهلاً وقال : ادع الله عزّ وجلّ لى . فقال سهل : كيف يستجاب دعائى فيك ، وفى محبسك[1] مظلومون ؟ فأطلق كلَّ من كان فى حبسه ، فقال سهل : اللهم كما أريته ذلَّ المعصية[2] فأره عزّ الطاعة وفرّج عنه . فعوفى ، فعرض مالاً على سهل فأبى أن يقبله ، فقيل له : لو قبلته ودفعته إلى الفقراء .

فنظر إلى الحصباء فى الصحراء فإذا هى جواهر ، فقال لأصحابه : من يعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث ؟!.

وقيل : كان صالح المرّى يقول كثيرا : من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له . فقالت له رابعة : إلى متى تقول هذا ؟ متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح ؟ فقال صالح : شيخ جهل وامرأة علمت .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا بكر الحربى يقول : سمعت السرىّ يقول : حضرت مجلس معروف الكرخى . فقام اليه رجل فقال : يا أبا محفوظ ، ادع الله تعالى أن يردَّ علىَّ كيسى ، فإنه سرق وفيه ألف دينار . فسكت ، فأعاد ، ثم سكت فأعاد ، فقال معروف : ماذا أقول ؟ أقول مازويته [3] عن أنبيائك وأصفيائك . فردّه عليه . فقال الرجل : فادع الله تعالى لى . فقال : اللهم خرْ له[4] .

وحكى عن الليث أنه قال : رأيت عقبة بن نافع ضريرا ، ثم رأيته بصيراً ، فقلت له : بم ردّ عليك بصرك ؟ .

فقال : أتيت[5] فى منامى ، فقيل قل : ياقريب ، يامجيب ، ياسميع الدعاء ، يالطيفا لما يشاء ، ردّ علىّ بصرى . فقلتها ، فردّ عزّ وجلّ علىّ بصرى .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : كان بى وجع العين ابتداء ما رجعت إلى « نيسابور » من « مرو » ، وكنت مدّة أيام لم أجد النوم ، فتناعست صباحاً ، فسمعت قائلاً

---

(١) وفى نسخة « حبسك » .
(٢) وفى نسخة « المصيبة » .
(٣) أى قبضته .
(٤) أى افعل له خير الأمرين عندك .
(٥) أى أتانى آت فى منامى .

يقول لى ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَه ﴾[1] ؟ فانتبهت ، وقد فارقني الرمد ، وزال فى الوقت الوجع ، ولم يصبنى بعد ذلك وجع العين .

وحكى عن محمد بن خزيمة ، أنه قال : لما مات أحمد بن حنبل كنت فى الاسكندرية ، فاغتممت .. فرأيت فى المنام أحمد بن حنبل وهو يتبختر ، فقلت : يا أبا عبد الله ، أى مشية هذه ؟ فقال : مشية الخدّام فى دار السلام . فقلت : ما فعل الله عزّ وجلّ بك ؟ فقال : غفر لى . وتوجنى ، وألبسنى نعلين من ذهب ، وقال : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى . ثم قال : يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان الثورى وكنت تدعو بها فى دار الدنيا . فقلت : ياربّ كل شىء بقدرتك على كل شىء ، اغفر لى كلَّ شىء ، ولا تسألنى عن شىء ، فقال : يا أحمد ، هذه الجنة فادخلها ، فدخلتها .

وقيل : تعلق شاب بأستار الكعبة ، وقال : إلهى ، لاشريك لك فيؤتى ، ولا وزير لك فيرشى ، إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد ، وإن عصيتك فبجهلى ولك الحجّة علىّ ، فبإثبات حجتك علىّ وانقطاع حجتى لديك إلا غفرت لى . فسمع هاتفًا يقول : الفتى عتيق من النار .

وقيل : فائدة الدُّعاء : إظهار الفاقة بين يديه تعالى ، وإلّا فالربّ يفعل ما يشاء .

وقيل : دعاء العامّة بالأقوال ، ودعاء الزهاد بالأفعال ، ودعاء العارفين بالأحوال .

وقيل : خير الدعاء ، ما هيجته الأحزان .

وقال بعضهم : إذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت ، فاسأل الله عقب ذلك الجنّة ، فلعل ذلك يوم إجابتك .

وقيل : ألسنة المبتدئين منطلقة بالدعاء ، وألسنة المتحققين[2] خرست عن ذلك .

وسئل الواسطى أن يدعو ، فقال : أخشى أنى إن دعوتُ أن يُقال لى : إن سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا[3] ، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا ، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به فى الدهور .

وروى عن عبد الله بن منازل أنه قال : ما دعوت منذ خمسين سنة ، ولا أريد أن يدعو لى أحد .

وقيل : الدعاء سلم[4] المذنبين .

---

(١) آية ٣٦ من سورة الزمر .

(٢) أى العارفين بالله .

(٣) أى بسبب تأخيره .

(٤) أى وسيلتهم .

وقيل : الدعاء : المراسلة ، وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعد .

وقيل : لسان المذنبين دعاؤهم[1] .

وسمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : إذا بكى المذنب فقد راسل الله عزّ وجلّ .

وفى معناه أنشدوا :

دموع الفتى عما يجنُّ تُترجم   وأنفاسه يبدين ما القلب يكتم

وقال بعضهم : الدعاء ترك الذنوب .

وقيل : الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب .

وقيل : الإذن فى الدعاء خير للعبد من العطاء .

وقال الكتانىّ لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة .

وقيل : الدعاء يوجب الحضور ، والعطاء يوجب الصرف[2] ، والمقام على الباب أتمُّ من الانصراف بالمثاب .

وقيل : الدعاء مواجهة الحق ، تعالى ، بلسان الحياء .

وقيل : شرط الدعاء الوقوف مع القضا بوصف الرضا .

وقيل : كيف تنتظر إجابه الدعوة وقد سَدَدْتَ طريقها بالهفوة ؟!.

وقيل لبعضهم : ادع لى . فقال : كفاك من الأجنبية[3] أن تجعل بينك وبينه واسطة .

سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول : سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول : سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول : سمعت أبى يقول : جاءت امرأة إلى بقىّ بن مخلد ، فقالت : إن ابنى قد أسره الروم ، ولا أقدر على مال أكثر من « دويرة » ، ولا أقدر على بيعها ، فلو أشرت إلى من يفديه بشىء فإنه ليس لى ليل ولا نهار ، ولا نوم ولا قرار !!.

فقال لها : نعم ، انصرفى حتى أنظر فى أمره إن شاء الله تعالى .

قال : فأطرق الشيخ وحرّك شفتيه ، قال : فلبثنا مدّة ، فجاءت المرأة ومعها ابنها ، وأخذت

---

(١) وفى نسخة دموعهم وهى الأنسب .

(٢) وفى نسخة : الانصراف .

(٣) أى البعد عن الله تعالى .

تدعو له وتقول : قد رجع سالمًا ، وله حديث يحدثك به . فقال الشاب : كنت في[1] يدى بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى ، وكان له إنسان يستخدمنا كلّ يوم ، فكان يخرجنا إلى الصحراء للخدمة ، ثم يردنا وعلينا قيودنا ، فبينا نحن نجىء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذى كان يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ، ووصف اليوم والساعة ، فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة ، ودعا الشيخ ، قال : فنهض إلى الذى كان يحفظنى وصاح علىّ وقال لى : كسرتَ القيد !! قلت : لا ، إنه سقط من رجلى قال : فتحيّر .. وأحضر أصحابه ، وأحضروا الحداد ، وقيّدونى .. فلما مشيت خطوات سقط القَيد من رجلى ، فتحيّروا فى أمرى !! فدعوا رهبانهم ، فقالوا لى : ألك والدة ؟ قلت : نعم فقالوا : وافق دعاؤها الإجابة . وقد أطلقك الله عزّ وجلّ ، فلا يمكننا تقييدك .

فزوّدونى ، وأصحبونى بمن أوصلنى إلى ناحية المسلمين .

---

(١) وفى نسخة : بين يدى .

باب الفقر

قال الله تعالى :
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِروا فى سبيل الله ، لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِياء مِنَ التَّعفف تَعْرِفُهم بِسيماهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فإنَّ الله بِهِ عَليمٌ﴾[1] .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسين بن موسى البزّار ببغداد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنبارى قال : حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال : حدثنا قبيصة قال : حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى ، ﷺ ، قال : « يدخل الفقراء[2] الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام : نصف يوم »[3] .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى ببغداد ، قال : حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزّاز ببغداد ، قال : حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال : حدثنا عبد الله بن مسلم قال : حدثنا محمد بن أبى الفرات . عن إبراهيم الهجرى ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن المسكين ليس بالطوّاف الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، قال : فقيل : من المسكين يارسول الله ؟ .

قال : « الذى لا يجد ما يغنيه ويستحى أن يسأل الناس ولا يفطن له فيُتصدَّق عليه »[4] .

قال الاستاذ : معنى قوله : يستحى أن يسأل الناس : أى يستحى من الله ، تعالى . أن يسأل الناس ، لا أنه يستحى من الناس .

---

(١) آية ٢٧٣ من سورة البقرة .
(٢) يقول الإمام العروسى : لعل المراد بالفقراء فى الحديث الشريف المتجردون عن الدنيا رغبة فيما عند ربهم ، لا مطلق الخلى عن المال والكسب .
(٣) وتلك الأعوام بمثابة نصف يوم من أيام الآخرة .
(٤) انظر رياض الصالحين للنووى .

والفقر شعار الأولياء ؛ وحلية الأصفياء ؛ واختيار الحقّ ، سبحانه ، لخواصِّه من الأتقياء والأنبياء .

والفقراء : صفوة الله عزّ وجلّ من عباده ، ومواضع أسراره بين خلقه ، بهم يصون الحقُّ الخلق ، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق .

والفقراء الصُّبر[١] جلساء الله تعالى ، يوم القيامة ، بذلك ورد الخبر عن النبى ، ﷺ .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : حدثنا إبراهيم بن أحمد بن حمد بن رجاء الفزارى ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن حشيش البغدادى قال : حدثنا عثمان بن معبد قال : حدَّثنا عمر بن راشد . عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر ابن الخطاب ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة : حبُّ المساكين ، و الفقراء الصُّبر : هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » .

وقيل : إن رجلا أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها منه . وقال له : تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم : لا أفعل !!

وقال معاذ النسفى : ما أهلك الله ، تعالى ، قومًا وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم .

وقيل : لو لم يكن للفقراء إلى الله فضيلة غير إرادته وتمنيه سعة أرزاق المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك ، لأنه يحتاج إلى شرائها والغنى يحتاج إلى بيعها ، هذا لعوامِّ الفقراء[٢] ، فكيف حال خواصهم ؟ .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت أبا بكر بن سمعان يقول : سمعت أبا بكر بن مسعود يقول : سئل يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

حقيقته : أن لا يستغنى العبد إلا بالله ، ورسمه[٣] عدم الأسباب كلها .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت إبراهيم القصَّار يقول : الفقر

---

(١) الكثيرو الصبر .

(٢) وفى نسخة هذا « حال العوام من الفقراء » .

(٣) أى تعريف الفقر بجهة أخرى من جهات التعريف وهى : الرسم .

لباس يورث الرضا إذا تحقق[1] العبد فيه .

وقَدِم على الأستاذ أبى على الدّقاق فقير فى سنة : خمس ، أو أربع وتسعين وثلاثمائة من « زوزن » وعليه « مسْح »[2] وقلنسوة مسح ، فقال له بعض أصحابه : بكم اشتريت هذا المسح ؟ (على وجه المطايبة)[3] .

فقال : اشتريته بالدنيا وطلب منى بالآخرة فلم أبعه بها !!

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : قام فقير فى مجلس يطلب شيئاً ، فقال : إنى جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال : كذبت !! إن الفقر سرُّ الله وهو لا يضع سره عند من يحمله إلى من يريد .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن الفراء يقول سمعت زكريا النخشبى يقول : سمعت حمدون القصار يقول : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء كفرحهم بثلاثة أشياء :

رجل مؤمن قتل مؤمنًا ، ورجل يموت على الكفر ، وقلب فيه خوف الفقر .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن عطاء يقول : سمعت أبا جعفر الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول :

(يا معشر الفقراء : إنكم تعرفون بالله ، وتكرمون الله ، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به ؟) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول : سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى ، يقول : سمعت الجنيد ، وقد سئل عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى : أهو أتمُّ أم الاستغناء بالله تعالى ؟ فقال :

إذا صحَّ الافتقار إلى الله عز وجل ، فقد صح الاستغناء بالله تعالى ، وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به ، فلا يقال : أيهما أتمُّ الافتقار أم الغنى !! لأنهما حالتان لاتتم إحداهما إلا بالأخرى .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت جعفرًا يقول : سمعت رويمًا يقول وقد سئل عن نعت الفقير ، فقال :

---

(١) أى تمكن .
(٢) ثوب .
(٣) أى المداعبة .

« إرسال النفس فى أحكام الله تعالى » .

وقيل : نعت الفقير ثلاثة أشياء : حفظ سره ، وأداء فرضه ، وصيانة فقره .

وقيل لأبى سعيد الخزاز : لم تأخر عن الفقراء رفقُ الأغنياء ؟

فقال لثلاث خصال :

لأن ما فى أيديهم غير طيب ، ولأنهم[1] غير موفقين ، ولأن الفقراء مرادون بالبلاء .

وقيل : أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى ، عليه السلام :

إذا رأيت الفقراء فسائلهم[2] ، كما تسائل الأغنياء ، فإن لم تفعل فاجعل كل شىء علمتُك تحت التراب .

وروى عن أبى الدرداء ، أنه قال :

لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحبُّ إلىَّ من مجالسة الغنىّ ، لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إياكم ومجالسة الموتى !! قيل : يارسول الله ، ومن الموتى ؟ قال : الأغنياء » .

وقيل للربيع بن خيثم : قد غلا السعر !!.

فقال : نحن أهون على الله من أن يجيعنا ، إنما يجيع أولياءه .

وقال إبراهيم بن أدهم : طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى ، وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن علىّ يقول سمعت الحسن بن علوية يقول : قيل ليحيى بن معاذ : ما الفقر ؟ قال : خوف الفقر .

قيل : فما الغنى ؟ قال : الأمن بالله تعالى .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الجريرى يقول : سمعت ابن الكرينى يقول :

إن الفقير الصادق ، ليحترز من الغنى حذرًا أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره ، كما أن الغنىّ يحترز من الفقر حذرًا أن يدخل عليه فيفسد عليه غناه .

---

(١) أى الأغنياء .

(٢) أى حدثهم .

وسئل أبو حفص : بماذا يقدم الفقير على ربه عز وجل ؟

فقال : وما للفقير أن يقدم به على ربه تعالى سوى فقره .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام :

أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الناس أجمع ؟ .

قال : نعم .

قال عِدِ المريضَ ، وكنْ لثياب الفقراء فاليًا ، فجعلَ موسى ، عليه السلام ، على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم ويعود المرضى .

وقال سهل بنْ عبد الله : خمسة أشياء من جوهر النفس :

فقير يُظهرْ الغنى ، وجائع يظهر الشبع ، ومحزون يظهر الفرح ، ورجل بينه وبين رجل عداوة يظهر المحبة ، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولايُظهر ضعفًا .

وقال بشر بن الحارث : أفضل المقامات :

اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر .

وقال ذو النون : علامة سخط الله على العبد : خوفه من الفقر .

وقال الشبلى : أدْنى علامات الفقر[1] : أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها فى يوم ثم خطر بباله ، أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق فى فقره .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : تكلم الناس فى الفقر والغنى أيها أفضل ؟ وعندى : أنَّ الأفضل : أن يُعطى الرجل كفايته ثم يُصان فيه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا محمد بن ياسين يقول : سمعت ابن الجلاء يقول : وقد سألته عن الفقر ، فسكت ، حتى خلا ، ثم ذهب ورجع عن قريب ، ثم قال :

كان عندى أربعة دوانيق[2] فاستحييت من الله عز وجل ، أن أتكلم فى الفقر فذهبت أوخرجتها ثم قعد وتكلم فى الفقر .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقى ، يقول : سمعت إبراهيم ابن المولد يقول : سألت ابن الجلاَّء :

---

(١) أى الافتقار إلى الله .

(٢) جمع دانق : وهو سدس الدرهم .

متى يستحق الفقير اسم الفقر ؟ .

فقال : إذا لم يبق عليه بقية منه .

فقلت : كيف ذاك ؟ .

فقال : إذا كان[1] له فليس له ، وإذا لم يكن له فهو له .

وقيل : صحة الفقر : أن لا يستغنى الفقير فى فقره بشىء إلا بمن إليه فقره .

وقال عبد الله بن المبارك : إظهار الغنى فى الفقر أحسن من الفقر .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى ، يقول : سمعت هلال بن محمد يقول : سمعت النقاش يقول : سمعت بنانا المصرى يقول : كنت بمكة قاعدًا وشاب بين يدى ، فجاءه إنسان وحمل إليه كيسًا فيه دراهم ووضعه بين يديه ، فقال : لا حاجة لى فيه ، فقال : فرِّقه على المساكين ، فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيئاً لنفسه !

فقلت : لو تركت لنفسك مما كان معك شيئًا ؟ !

قال : لم أعلم أنى أعيش إلى هذا الوقت !!

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت علىَّ بن بندار الصيرفى ، يقول : سمعت محفوظًا يقول : سمعت أبا حفص يقول : أحسن ما يتوسل[2] به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال ، وملازمة السنة فى جميع الأفعال ، وطلب القوت من وجه حلال .

وسمعته يقول : سمعت الحسين بن أحمد يقول : سمعت المرتعش يقول : ينبغى للفقير أن لا تسبق همته خطوته .

وسمعته يقول : سمعت أبا الفرج الورثانى يقول : سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : كان أربعة فى زمانهم :

واحد : كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان شيئًا ، وهو : يوسف بن أسباط ، ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئًا وكان يعمل الخوص بيده .

وآخر : كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعا ، وهو : أبو إسحاق الفزارى فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه فى المستورين الذى لا يتحركون ، والذى يأخذه من السلطان كان يخرجه إلى مستحقيه من أهل « طرسوس » .

---

(١) أى الفقر .

(٢) وفى نسخة أخرى « أحسن ما يتوصل » .

والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو : عبد الله بن المبارك ، وكان يأخذ من الإخوان ويكافئ عليه .

والرابع : كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو : مخلد بن الحسين كان يقول : السلطان لا يمن والإخوان يمنون .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : جاء فى الخبر : « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » .

إنما كان ذلك ، لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه ، فإذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه ، فلو اعتقد فضله[1] بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله .

وقيل : أقلُّ ما يلزم الفقير فى فقره أربعة أشياء :

عِلم يسوسه ، وورع يحجزه ؛ ويقين يحمله ؛ وذكر يؤنسه .

وقيل : من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرًا ؛ ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى مات غنيا .

وقال المزيِّن : كانت الطرق الموصلة إلى الله أكثر من نجوم السماء ، فما بقى منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصحُّ الطرق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسين بن يوسف القزوينى يقول : سمعت إبراهيم ابن المولد يقول : سمعت الحسن بن على يقول : سمعت النورى يقول :

نعتُ الفقير : السكون عند العدم ، والإيثار عند الوجود .

سئل الشبلى عن حقيقة الفقر فقال : ألا يستغنى العبد بشىء دون الله عز وجلَّ .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن خلف المغربى يقول : قال لى أبو سهل الخشاب الكبير : الفقر : فقر وذلّ[2] فقلت : لا بل فقر وعزّ[3] ، فقال : فقر وثرى[4] ، فقلت : لا ، بل فقر وعرش[5] .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : سئلت عن معنى قوله ﷺ : « كاد الفقر أن يكون كفرْا »[6] .

---

(١) أى تواضع له .

(٢) أى لله .

(٣) أى بالله .

(٤) أى تواضع ونزول إلى الأرض

(٥) أى إرتفاع .

(٦) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أنس وتمامه (.. وكاد الحسد أن يكون سبق القدر .

قال : فقلت : آفة الشيء وضده على حسب فضيلته وقدره ، فكلما كان فى نفسه أفضل فضدُّه وآفته أنقص : كالإيمان ، لما كان أشرف الخصال كان ضدُّه الكفرُ ، فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله دلّ على أنه[1] أشرف الأوصاف .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا نصر الهروى يقول : سمعت المرتعش يقول : سمعت الجنيد يقول :

إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ، ولا تلقه بالعلم ؛ فإن الرفق يؤنسه ، والعلم يوحشه ، فقلت له : يا أبا القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم ؟ .

فقال : نعم ، الفقير إذا كان صادقا فى فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

وسمعته يقول : سمعت أبا عبد الله الرازى ، يقول : سمعت مظفر القرمسينى يقول :

الفقير : هو الذى لا يكون له إلى الله حاجة .

قال الأستاذ أبو القاسم :

وهذا اللفظ فيه أدنى غموض لمن سمعه على وجه الغفلة عن مرمى القوم ، وإنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار ، والرضا بما يجريه الحق سبحانه .

وقال ابن خفيف :

الفقر : عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات .

وقال أبو حفص :

لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العَطاء أحب إليه من الأخذ ، وليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم : إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت الدقى يقول : سمعت ابن الجلاء يقول :

لولا شرف التواضع لله لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر .

وقال يوسف بن اسباط :

منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين .

---

(١) أى الفقر إلى الله .

وقال بعضهم :

رأيت كأن القيامة قد قامت ، وقيل : أدخلوا مالك بن دينار ، ومحمد بن واسع الجنة ، فنظرت أيهما يتقدم : فتقدم محمد بن واسع ، فسألت عن سبب تقدمه ، فقيل لى : إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان .

وقال محمد المسوحى :

الفقير : الذى لا يرى لنفسه حاجة إلى شىء من الأسباب .

وسئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير ؟ .

فقال : إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذى هو فيه .

وتذاكروا عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى ، فقال :

لا يوزن غدا لا الفقر ولا الغنى ، وإنما يوزن الصبر والشكر ؛ فيقال : يشكر ويصبر .

وقيل : أوحى الله تعالى ، إلى بعض الأنبياء عليهم السلام ؛ إن أردت أن تعرف رضاى عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك ؟ .

وقال أبو بكر الزقاق : من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام المحض .

وقيل : كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى : كأنهم الأمراء .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول : سمعت أبا بكر بن طاهر يقول :

من حكم الفقير أن لا يكون له رغبة فى الدنيا ، فإن كان ولابد فلا تجاوز رغبته كفايته .

وأنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : أنشدنى عبد الله بن إبراهيم بن العلاء قال : أنشدنى أحمد بن عطاء لبعضهم ؛ قال :

قالوا : غداً العيد ماذا أنت لابسه ؟ فقلت : خلعة ساق حبه جرعا[1]
فقـر وصبر ، همـا ثوبـاى تحتهما قلب يرى إلفه الأعيـاد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم إن غبت يا أملى والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

وقيل : إن هذه الأبيات لأبى على الروذبارى .

---

(١) أى : كسوة حبيب لى سقانى محبته جرعًا .

وقال أبو بكر المصرى ، وقد سئل عن الفقير الصادق ، فقال :

الذى لا يملك ولا يميل .

وقال ذو النون المصرى :

دوام الفقر إلى الله تعالى ، مع التخليط أحب إلى من دوام الصفاء مع العجب .

سمعت أبا عبد الله الشيرازى ، يقول : سمعت عبد الواحد بن أحمد ، يقول : سمعت أبا بكر الجوال ، يقول : سمعت أبا عبد الله الحصرى ، يقول :

مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار ، وينفقه على الفقراء ، ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق عليه من الأبواب .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت أبا على الحسين بن يوسف القزوينى يقول : سمعت إبراهيم بن المولد ، يقول : سمعت الحسن بن على ، يقول : سمعت النورى ، يقول :

نعت الفقير السكون عند العدم ، والبذل والإيثار عند الوجود .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبد الله ، يقول : سمعت محمد بن على الكتانى ، يقول :

كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار[1] رثة ، وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا ، فوقعت محبته فى قلبى ، ففتح لى بمائتى درهم من وجه حلال ، فحملتها إليه ، ووضعتها على طرف سجادته وقلت له : إنه فتح لى ذلك من وجه حلال ، تصرفه فى بعض أمورك ، فنظر إلى شزرا ، ثم كشف عما هومستور عنى ، وقال : اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى ، على الفراغ سبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات ، تريد أن تخدعنى عنها[2] بهذه !! وقام وبددها وقعدت ألتقطها فما رأيت كعزه حين مرَّ ، ولا كذلىِّ حين كنت ألتقطها .

وقال أبو عبد الله بن خفيف :

ما وجبت على زكاة الفطر أربعين سنة ولى قبولٌ عظيم بن الخاص والعام .

سمعت الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الصوفى ، يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ذلك .

وسمعته يقول : سمعت أبا أحمد الصغير ، يقول :

---

(١) أى أثواب .

(٢) تفسدها على .

سألت أبا عبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام وبعد ثلاثة أيام يخرج ويسأل مقدار كفايته : إيش يقال فيه ؟! فقال : يقال فيه : مُكد .. كلوا واسكتوا ، فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم ..

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت عبد الله بن على الصوفى ، يقول : سمعت الدقى يقول - وقد سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى ، فى أحوالهم - فقال :

هو انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله الطبرى ، يقول : سمعت خيرًا النساج يقول :

دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير ، فلما رآنى تعلق بى ..

وقال : أيها الشيخ تعطف علىّ ؛ فإن محنتى عظيمة !!

فقلت : وما هى ؟ .

فقال : فقدت البلاء وقويت بالعافية ، فنظرت فإذا قد فتح عليه بشىء من الدنيا .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن محمد بن أحمد يقول : سمعت أبا بكر الوراق ، يقول :

طوبى للفقير فى الدنيا والآخرة .

فسألوه عنه ، فقال : لا يطلب السلطانُ منه فى الدنيا : الخراج ، ولا الجبار فى الآخرة : الحساب .

باب التصوف

الصفاء محمود بكل لسان ، وضدّه : الكدورة ، وهى مذمومة .

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانى قال : أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحى قال : حدثنا الحسين بن جعفر قال : حدثنا عبد الله بن نوفل قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن يزيد ابن أبي زياد ، عن أبي جحيفة قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ متغيّر اللون فقال : « ذهب صفو الدنيا وبقى الكدر ، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم » .

ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ، فيقال : « رجلٌ صوفى » ، وللجماعة « صوفيَّة » ، ومن يتوصلً إلى ذلك[1] يقال له : « متصوف » ، وللجماعة : « المتصوّفة » .

وليس يشهد لهذا الاسم من حيثُ العربية قياس ولا اشتقاق . والأظهر فيه : أنه كاللقب ، فأما قول من قال : إنه من الصوف ، ولهذا يقال : تَصَّوف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمَّص إذا لبس القميص ، فذلك وجه . ولكن القوم لم يختصُّوا بلبس : الصوف !!.

ومن قال : إنهم منسوبون إلى صُفّة مسجد رسول الله ﷺ ، فالنسبة إلى الصُّفة لا تجىء على نحو الصوفى !!.

ومن قال : إنه مشتق من الصفاء ، فاشتقاق الصوفىّ من الصفاء بعيدٌ فى مقتضى اللغة .

وقول من قال : إنه مشتق من الصفّ ، فكأنهم[2] فى الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصفّ .

ثم إنَّ هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج فى تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق .

وتكلم الناس فى التصوّف : ما معناه ؟ وفى الصوفى : من هو ؟ .

فكل عبرً بما وقع له . واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز وسنذكر هنا بعض مقالاتهم فيه على حدِّ التلويح ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) بالتشبه بهم .

(٢) والأولى « لأنهم » .

سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمي يقول : سئل أبو محمد الجريرى عن التصوُّف ، فقال : الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنىّ .

سمعت عبد الرحمن بن يوسف الأصبهانى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمدانى يقول : سمعت أبا محمد المرعشى يقول : سئل شيخى عن التصوف ، فقال : سمعت الجنيد وقد سئل عنه فقال : هو أن يميتك الحق عنك ، ويحييك به .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الرحمن بن محمد الفارسى يقول : سمعت أبا الفاتك يقول : سمعت الحسين بن منصور ، وقد سئل عن الصوفى ، فقال : وحدانى الذات لا يقبله أحد ، ولا يقبل أحدًا .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن محمد يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت أبا علىّ الورّاق يقول : سمعت أبا حمزة البغدادى يقول : علامة الصوفى الصادق : أن يفتقر بعد الغنى ، ويذلّ بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة ، وعلامة الصوفى الكاذب : أن يستغنى بالدنيا بعد الفقر ، ويعز بعد الذلّ ، ويشتهر بعد الخفاء .

وسُئل عمرو بن عثمان المكىّ عن التصوّف ، فقال : أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت .

وقال محمد بن علىّ القصاب : التصوّف : أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وسئل سمنون عن التصوف فقال : أن لا تملك شيئًا ولا يملكك شىء .

وسئل رويمٌ عن التصوف فقال : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده .

وسئل الجنيد عن التصوف فقال : هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانى يقول : سمعت أبا نصر السَّراج الطوسى يقول : أخبرنى محمد بن الفضل قال : سمعت علىّ بن عبد الرحيم الواسطى يقول : سمعت رويم بن أحمد البغدادى يقولُ : التصوف مبنى على ثلاث خصال :

التمسك بالفقر والافتقار إلى الله ، والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار .

وقال معروف الكرخىّ : التصوف الأخذ بالحقائق[1] ، واليأس مما فى أيدى الخلائق .

---

(١) أى التمسك بها والعمل على مقتضاها .

قال حمدون القصَّار : اصحب الصوفيَّة ، فإن للقبيح عندهم وجوها من المعاذير .

وُسئل الخرّاز عن أهل التصوُّف فقال : قوم أعطوا حتى بسطوا[١] ، ومنعوا حتى فقدوا[٢] ، ثم نودوا من أسرار قريبة ألا فابكوا علينا[٣] .

وقال الجنيد : التصوف : عنوة لا صلح فيها .

وقال أيضا : هم أهل بيت واحد ، لا يدخل فيهم غيرهم .

وقال أيضا : التصوّف : ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعملٌ مع اتباع .

وقال أيضا : الصوفىّ كالأرض ، يطرح عليها كل قبيح ، ولا يخرج منها إلا كل مليح .

وقال أيضا : إنه كالأرض ، يطؤها البرُّ والفاجر ، وكالسحاب يظل كلَّ شىء وكالقطر يسقى كل شىء .

وقال : إذا رأيت الصوفى يعنى بظاهره ، فاعلم أن باطنه خراب .

وقال سهل بن عبد الله : الصوفىّ : من يرى دمه هدرًا ، وملكه مباحاً .

وقال النورىّ : نعت الصوفى السكون عند العدم ، والإيثار عند الوجود .

وقال الكتَّانى : التصوفُ خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء .

وقال أبو على الرّوذبارى التصوفُ : الإناخة على باب الحبيب وإن طرد عنه .

وقال أيضا : صفوة القرب بعد كدورة البعد .

وقيل أقبح من كلّ قبيح صوفى شحيح .

وقيل : التصوّف : كفّ فارغ ، وقلب طيب .

وقال الشبلىّ : التصوف الجلوس مع الله[٤] بلاهّم .

وقال أبو منصور : الصوفىّ : هو المشير عن الله تعالى ؛ فإن الخلق أشاروا إلى الله تعالى .

وقال الشبلى : الصوفى منقطع عن الخلق ، متصل بالحق ، كقوله تعالى : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾[٥] قطعه عن كل غير ، ثم قال له ﴿ لَنْ تَرَانِى ﴾ .

---

(١) أى فرحوا وانشرحت صدورهم .

(٢) قال العروسى : أى منعوا عن الالتفات إلى غير الله حتى فنوا عن أنفسهم فلم يلتفتوا إليها .

(٣) أى أشير إليهم فى سرائرهم أن يقولوا لغيرهم : ابكوا علينا لعدم وصولنا إلى مقصودنا .

(٤) أى ملازمة طاعة الله .

(٥) آية ٤١ من سورة طه .

وقال : الصوفية أطفالٌ فى حجر الحق .

وقال أيضا : التصوف بَرْقة محرقةٌ .

وقال أيضا : هو العصمة عن رؤية الكون[١] .

وقال رويم : ما تزال الصوفية بخير ما تنافروا[٢] ، فإذا اصطلحوا[٣] فلا خير فيهم[٤] .

وقال الجريرى : التصوف مراقبة الأحوال ، ولزومُ الأدب .

وقال المزين : التصوف : الانقياد للحق .

وقال أبو تراب النخشبى : الصوفى لا يكدره شىء ، ويصفو به كل شىء .

وقيل : الصوفى لا يتعبه طلب ، ولا يزعجه سبب .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السرَّاج يقول : سئل ذو النون المصرى عن أهل التصوف فقال : هم قوم آثروا الله ، عز وجل ، على كل شىء فآثرهم الله ، عز وجل ، على كل شىء .

وقال الواسطى رحمه الله : كان للقوم إشارات .. ثم صارت حركات .. ثم لم يبق إلا حسرات !!.

وسئل النورى عن الصوفى ، فقال : من سمع السماع وآثر الأسباب[٥] .

سمعت أباحاتم السجستانى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : قلت للحصرى : من الصوفى عندك ؟ فقال : الذى لا تقله الأرض[٦] ، ولا تظله السماء .

قال الاستاذ أبو القاسم : إنما أشار إلى حال « المحو » .

وقيل : الصوفى من إذا استقبله حالان ، أو خُلقان كلاهما حسن ، كان مع الأحسن منهما .

وسئل الشبلى : لم سميت الصوفية بهذه التسمية ؟ .

فقال : لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل ابن الجلاء :

---

(١) رؤية استحسان وميل لا رؤية بحث وعلم .

(٢) أى مدة إرشاد بعضهم بعضًا .

(٣) أى فتروا عن الإرشاد والتنبيه .

(٤) فقد خرجوا عن معنى التصوف .

(٥) الأسباب : هى فعل المأمورات وترك المنهيات .

(٦) أى لا تطيق حمله .

ما معنى قولهم صوفى ؟ فقال : ليس نعرفه فى شرط العلم ، ولكن نعرف أن من كان فقيرًا مجردًا من الأسباب ، وكان مع الله تعالى بلا مكان ، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى « صوفيًا » .

وقال بعضهم : التصوف : إسقاط الجاه ، وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة[1] .

وقال أبو يعقوب المزايلى : التصوف : حال تضمحل فيها معالم الإنسانية .

وقال أبو الحسن السيروانى : الصوفى : من يكون من الواردات لامع الأوراد .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : أحسن ما قيل فى هذا الباب قول من قال : هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل ، ولهذا قال رحمه الله يومًا : لو لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها .

وقال الاستاذ أبو سهل الصعلوكى : التصوف : الإعراض عن الاعتراض .

وقال الحصرى : الصوفى لا يوجد بعد عدمه ، ولا يعدَم بعد وجوده .

قال الاستاذ القشيرى : وهذا فيه إشكال . ومعنى قوله : لا يوجد بعد عدمه أى إذا فنيت آفاته لا تعود تلك الآفات . وقوله : ولا يعدم بعد وجوده ، يعنى : إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق ، فالحادثات لا تؤثر فيه .

ويقال : الصوفى : المصطلم عنه[2] بما لاح له من الحق .

ويقال : الصوفى : مقهور بتصريف الربوبية . مستور بتصرف العبودية .

ويقال : الصوفى لا يتغير ، فإن تغير لا يتكدَّر .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن أحمد الرازى يقول : سمعت أبا بكر المصرى يقول : سمعت الخرّاز يقول : كنت فى جامع « قيروان » يوم جمعة ، فرأيت رجلا يدور فى الصف ، ويقول :

تصدّقوا علىَّ ، فقد كنت صوفيًا فضعفتُ ..

فرفقته[3] بشىء ، فقال لى مُر[4] ، ويلك !! ليس هذا من ذلك !! ولم يقبل الرفق .

---

(١) سواد بالجر عطفا على الجاه ويكون المعنى إسقاط الجاه وإسقاط سواد الوجه يعنى ترك كل فعل يؤدى إلى سواد الوجه فى الدنيا والآخرة .

(٢) أى المستغرق عن نفسه .

(٣) أعطيته .

(٤) اتركنى .

باب الأدب

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[1]

قيل : حفظ آداب الحضرة .

وقال تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[2] . جاء فى التفسير عن ابن عباس : فقهوهم ، وأدّبوهم .

أخبرنا : على بن أحمد الأهوازى ، قال : أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال : حدثنا غنام قال : حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال : حدثنا عبد الملك بن الحسين ، عن عبد الملك ابن عمير ، عن مصعب بن شيبة ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، عن النبى ﷺ قال :

« حقّ الولد على والده : أن يحسن اسمه ، ويحسن مرضعه ، ويحسن أدبه » .

ويحكى عن سعيد بن المسيب أنه قال : من لم يعرف ما لله عزّ وجلّ ، عليه فى نفسه ، ولم يتأدب بأمره ونهيه كان من الأدب فى عزلة .

وروى عن النبى ﷺ . أنه قال :

« إن الله ، عزّ وجلّ ، أدّبنى فأحسن تأديبى »[3] .

وحقيقة الأدب : اجتماع جميع خصال الخير ؛ فالأديب : هو الذى اجتمع فيه خصال الخير ومنه أخذت « المأدبة » اسم للمجمع[4] .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : العبد يصل بطاعته إلى الجنة ، وبأدبه فى طاعته إلى الله .

وسمعته أيضا يقول : رأيت من أراد أن يمد يده فى الصلاة بين يدى الله إلى أنفه ، ليزيل ما به ، فقبض على يده .

---

(١) آية ١٧ من سورة النجم .

(٢) آية ٦ من سورة التحريم .

(٣) حديث صحيح أخرجه السمعانى فى أدب الإملاء عن ابن مسعود .

(٤) أى للاجتماع للطعام .

قال الأستاذ : وإنما أشار بذلك إلى نفسه ، لأنه لا يمكن الإنسان أن يعرف من غيره أنه قبض على يده .

وكان الأستاذ أبو على ، رحمه الله ، لا يستند إلى شىء ، وكان يومًا فى مجمع ، فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره ، لأنى رأيته غير مستند .. فتنحى عن الوسادة قليلاً .. فتوهمت أنه توقى الوسادة ، لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة ، فقال : لا أريد الاستناد .

فتأملت بعده حالة ؛ فكان لا يستند إلى شىء .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج ، يقول : سمعت أحمد بن محمد البصرى يقول : سمعت الجلاجلى البصرى يقول : التوحيد موجب يوجب الايمان ؛ فمن لا إيمان له فلا توحيد له ، والإيمان موجب يوجب الشريعة ، فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد ، والشريعة موجب يوجب الأدب ؛ فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد .

وقال ابن عطاء : الأدب : الوقوف مع المستحسنات[1] ، فقيل : وما معناه ؟

قال : أن تعامل الله بالأدب سرا وعلنًا ، فإذا كنت كذلك كنت أديبًا وإن كنت أعجميًا .

ثم أنشد :

إذا نطقتْ جاءت بكل ملاحة وإن سكتت جاءت بكل مليح

أخبرنا . محمد بن الحسين ، قال : سمعت عبدالله الرازىّ يقول : سمعت عبد الله الجريرى يقول : منذ عشرين سنة ما مددت رجلى وقت جلوسى فى الخلوة فإن حُسن الأدب مع الله أولى .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل .

وروى عن ابن سيرين أنه سئل : أىّ الآداب أقرب إلى الله تعالى ؟ .

فقال : معرفة بربوبيته ، وعملٌ بطاعته ، والحمد لله على السراء ، والصبر على الضراء .

وقال يحيى بن معاذ : إذا ترك العارف أدبه مع معروفه[2] ، فقد هلك مع الهالكين .

سمعت الأستاذ أبا على رحمه الله ، يقول : ترك الأدب موجب يوجب الطرد ؛ فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ، ومن أساء الأدب على الباب ردّ إلى سياسة[3] الدواب .

---

(١) وفى نسخة المحسنات أى ما يصير به العمل حسنًا .

(٢) أى مع الله .

(٣) خدمة .

وقيل للحسن البصرى : قد أكثر الناس فى علم الأدب ، فما أنفعها عاجلاً وأوصلها آجلاً ؟ .

فقال : التفقه فى الدين ، والزهد فى الدنيا ، والمعرفة بما لله ، عز وجل عليك .

وقال يحيى بن معاذ : من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى .

وقال سهل : القوم الذين استعانوا بالله ، على أمر الله ، وصبروا على آداب الله .

وروى عن ابن المبارك أنه قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منّا إلى كثير من العلم .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول : سمعت العباس بن حمزة يقول : حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال : قال الوليد بن عتبة : قال : ابن المبارك : طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدِّبون :

وقيل : ثلاث خصال ليس معهن غُربة :

مجانبةُ أهل الرِّيب ، وحسن الأدب ، وكف الأذى :

وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله المغربى ، رضى الله عنه ، فى هذا المعنى :

يزين الغريبَ إذا ما اغترب ثلاثٌ : فمنهن حسنُ الأدب

وثانيه : حُسن أخلاقه وثالثه : اجتناب الرِّيب

ولما دخل أبو حفص بغداد قال له الجنيد : لقد أدَّبت أصحابك أدب السلاطين .

فقال له أبو حفص : حسن الأدب فى الظاهر عنوان حسن الأدب فى الباطن .

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال : الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف[1] .

سمعت منصور بن خلف المغربى يقول : قيل لبعضهم : ياسىء الأدب .

فقال : لست بسىء الأدب ، فقيل له : من أدّبك ؟ فقال : أدَّبنى الصوفية .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا النصر الطوسى السرّاج يقول : الناس فى الأدب على ثلاث طبقات :

أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب .

---

(١) أى المبتدئ .

وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات .

وأما أهل الخصوصية[1] فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر ، وحسن الأدب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب .

وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال : من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بالإخلاص .

وقيل : كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين .

وقال عبد الله بن المبارك : قد أكثر الناس فى الأدب ، ونحن نقول : هو معرفة النفس .

وقال الشبلى : الانبساط بالقول مع الحق سبحانه ترك الأدب .

وقال ذو النون المصرى : أدب العارف فوق كل أدب ، لأن معروفه مؤدِّب قلبه .

وقال بعضهم : يقول الحق ، سبحانه : من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ، ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب ، فاختر أيَّهما شئت : الأدب أو العطب .

وقيل : مدّ ابن عطاء رجله يومًا بين أصحابه وقال : ترك الأدب بين أهل الأدب أدب .

ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذى روى « أن النبى ﷺ كان عنده أبو بكر ، وعمر ، فدخل عثمان فغطى فخذه وقال : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة »[2] نبه ﷺ : أن حشمة عثمان ، رضى الله عنه ، وإن عظمت عنده ، فالحالة التى بينه وبين أبى بكر وعمر كانت أصفى .

وفى قريب من معناه أنشدوا :

فىّ انقباض وحشمة فإذا ... جالست أهل الوفاء والكرم
أرسلتُ نفسى على سجيتها ... وقلت ما قلت غيرَ محتشم

وقال الجنيد : إذا صحّت المحبَّة سقطت شروط الأدب .

وقال أبو عثمان : إذا صحّت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب .

وقال النورى : من لم يتأدب للوقت فوقته[3] المقت .

---

(١) وهم العارفون بالله .

(٢) أخرجه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها .

(٣) أى حاله .

وقال ذو النون المصرى : إذا خرج المريد عن استعمال الأدب ، فإنه يرجع من حيث جاء .

سمعت الأستاذ أبا على . رحمه الله يقول فى قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[1] قال : لم يقل « ارحمنى » .

لأنه حفظ آداب الخطاب .

وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[2] وقال : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾[3] ولم يقل « لم أقل » ؛ رعاية لآداب الحضرة .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول : سمعت الجنيد يقول : جاءنى بعض الصالحين يوم جمعة فقال لى : ابعث معى فقيراً يُدخل علىّ سرورا ، ويأكل معى شيئًا ، فالتفت ، فإذا أنا بفقير شهدْت فيه الفاقة .. فدعوته .. وقلت له : امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سروراً ، فلم ألبث أن جاءنى الرجل فقال لى : يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة ، وخرج !!.

فقلت : لعلك قلت كلمة جفاء عليه ، فقال لى : لم أقل شيئاً .

فالتفت فإذا أنا بالفقير جالس ، فقلت له : لم لَمْ تُتم عليه السرور ؟ .

فقال : ياسيدى ، خرجت من الكوفة وقدمت « بغداد » ولم آكل شيئًا .. وكرهت أن يبدو سوء أدب منى من جهة الفاقة فى حضرتك .. فلما دعوتنى سررتُ إذ جرى ذلك ابتداء منك ، فمضيتُ وأنا لا أرضى له الجنان .. فلما جلست على مائدته سوَّى لقمة وقال لى : كل ، فهذا أحبّ إلىّ من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنىء الهمّة ، فتطرفت[4] أن آكل طعامه ، فقال الجنيد : ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه ، فقال : يا أبا القاسم .. التوبة ، فسأله أن يمضى معه ويفرحه .

---

(١) آية ٨٣ من سورة الأنبياء .

(٢) آية ١١٨ من سورة المائدة .

(٣) آية ١١٦ من سورة المائدة .

(٤) فتجنبت .

باب أحكامهم فى السفر

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ هُوَ الَّذى يُسَيِّرُكُمْ فى الْبَرِّ وَالبحْرِ ...﴾ الآية[١] .

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال : حدثنا محمد ابن الفرج الأزرق قال : حدثنا حجاج قال : قال ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير : أن عليًّا الأزدىّ أخبره : أنّ ابن عمر أعلمهم « أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على البعير خارجًا إلى سفر كبّر ثلاثًا ، ثم قال :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هذَا ، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ .[٢] وَإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنقلِبُونَ ﴾[٣] ثم يقول : اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى[٤] ، اللهم هوّن علينا سفرنا .

اللهمّ أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل .. اللهّم إنى أعوذ بك من وَعْثاء[٥] السفر ، وكآبة المنقلب[٦] ، وسوء المنظر فى المال والأهل ، وإذا رجع قالهن ، وزاد فيهن : آيبون .. تائبون .. لربنا حامدون » .

ولما كان رأى كثير من أهل هذه الطائفة اختيار « السفر » أفردنا لذكر « السَّفر » فى هذه الرسالة بابا ، لكونه من أعظم شأنهم ؛ وهذه الطائفة مختلفون : فمنهم من آثر الإقامة ، على السفر ، ولم يسافر إلا لفرض ، كحجة الإسلام ، والغالب عليهم الإقامة ، مثل : الجنيد ، وسهل بن عبد الله ، وأبى يزيد البسطامى ، وابن حفص ، وغيرهم .

ومنهم من آثر السفر ، وكانوا على ذلك ، إلى أن أخرجوا من الدنيا ، مثل : أبى عبد الله المغربى ، وإبراهيم بن أدهم ، وغيرهم .

وكثير منهم سافروا فى ابتداء أمورهم فى حال شبابهم أسفارًا كثيرة ثم قعدوا عن السفر فى

---

(١) آية ٢٢ من سورة يونس .
(٢) مطيقين .
(٣) آية ١٣ وآية ١٤ من سورة الزخرف .
(٤) شدته ومشاقه .
(٥) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .
(٦) أى الحزن والغم فى العودة .

آخر أحوالهم ، مثل : أبي عثمان الحيرى ، والشبلى ، وغيرهم ، ولكل منهم أصول بنوا عليها طريقتهم .

واعلم أن السفر على قسمين :

سفر بالبدن : وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة .

وسفر بالقلب : وهو الارتقاء من صفة إلى صفة ، فترى ألفًا يُسافر بنفسه[١] وقليل من يسافر بقلبه .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : كان بـ «فَرَخْك» (قرية بظاهر « نيسابور ») شيخ من شيوخ هذه الطائفة ، وله على هذا اللسان تصانيف ، سأله بعض الناس : هل سافرت أيها الشيخ ؟ .

فقال : سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض لا ، وسفر السماء ، بلى[٢] . وسمعته . رحمه الله ، يقول : جاءنى بعض الفقراء يومًا ، وأنا بمرو ، فقال لى : قطعت إليك شقة بعيدة ، والمقصود لقاؤك .

فقلت له : كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك .

وحكاياتهم فى السفر تختلف على ما ذكرنا من أقسامهم وأحوالهم .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن على العلوى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت أحنف الهمذانى يقول :

كنت فى البادية وحدى ، فأعييتُ ، فرفعت يدى وقلت : يارب ، إنى ضعيف زمن ، وقد جئت إلى ضيافتك ، فوقع فى قلبى أن يقال لى : من دعاك ؟ فقلت يارب هى مملكة تحتمل الطفيلى .. فإذا أنا بهاتف من ورائى .. فالتفت إليه فإذا أعرابى على راحلة ، فقال : يا أعجمى ، إلى أين ؟ .. قلت : إلى مكة ، قال : أو دعاك ؟ قلت : لا أدرى ، فقال : أليس قال : ﴿ من اسْتَطَاعَ إلَيْه سَبيلا ﴾[٣] فقلت : المملكة واسعة تحتمل الطفيلى ، فقال : نِعم الطفيلى أنت ، يمكنك أن تخدم الجمل ؟ قلت : نعم ، فنزل عن راحلته وأعطانيها ، وقال : سر عليها .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت محمد بن أحمد النجار يقول : سمعت

---

(١) أى ببدنه .

(٢) الصواب : نعم .

(٣) من آية ٩٧ من سورة آل عمران .

الكتانى يقول ؛ وقد قال له بعض الفقراء ، أوصنى ، فقال : اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد ، وأن لا تموت إلا بين منزلين[1] .

ويحكى عن الحصرى أنه كان يقول : جلسة خير من ألف حجة .

وإنما أراد جلسة تجمع الهًّم[2] على نعت الشهود[3] .

ولعمرى ، إنها أتمُّ[4] من ألف حجة ، على وصف الغيبة عنه .

سمعت محمد بن أحمد الصوفى ، رحمه الله ، يقول : سمعت على بن عبد الله التميمى يقول : حكى عن محمد بن اسماعيل الفرغانى أنه قال : كنَّا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الزَّقاق ، والكتَّانى ، لا نختلط بأحد ، ولا نعاشر أحداً ، فإذا قدمنا بلدا ، فإن كان فيه شيخ سلمنا عليه ، وجالسناه إلى الليل .. ثم نرجع إلى مسجد ، فيصلى الكتَّانى من أول الليل إلى آخره ويختم القرآن ؛ ويجلس الزقاق مستقبل القبلة ، وكنت استلقى متفكرًا ، ثم نصبح ونصلى صلاة الفجر على وضوء العتمة[5] ، فإذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضلنا .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن على يقول سمعت عيسى القصّار يقول : سئل رويم عن أدب السفر ، فقال : أن لايجاوز همه قدمه ؛ وحيثما وقف قلبه يكون منزله .

وحكى عن مالك بن دينار أنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : اتخذ نعلين من حديد ، وعصًا من حديد ، ثم سِحْ فى الأرض ، فاطلب الآثار والعبر ، حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصا .

وقيل : كان أبو عبد الله المغربى يسافر أبدًا ومعه أصحابه ، وكان يكون محرمًا : فإذا تحلل من إحرامه أحرم ثانيًا ، ولم يتسخ له ثوب ، ولا طال له ظفر ولا شعر .

وكان يمشى معه أصحابه بالليل وراءه ، فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق ، يقول : يمينك يا فلان ، يسارك يا فلان ، وكان لا يمد يده إلى ما وصلت اليه يد الآدميين ، وكان طعامه أصل شيء من النبات يؤخذ فيُقلع لأجله .

وقيل : كلُّ صاحب تقول له « قم » ، فيقول : إلى أين ؟ فليس بصاحب .

وفى معناه أنشدوا .

---

(١) وفى نسخة « منزلتين » أى المنزلة التى أنت فيها والمنزلة التى تطلبها .

(٢) أى الهمة .

(٣) أى حضور القلب .

(٤) أى أفضل .

(٥) أى العشاء .

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأيـة حـرب أم لأيِّ مكـان

وحكى عن أبى علىٍّ الرباطى قال : صحبت عبد الله المروزى ، وكان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلا زاد ولا راحلة . فلما صحبته ، قال لى : أيما أحبُّ إليك ، أن تكون أنت الأمير أم أنا ؟ فقلت : لا ، بل أنت ، فقال : وعليك الطاعة ؟ فقلت : نعم .

فأخذ مخلاة ، ووضع فيها زاداً ، وحملها على ظهره ، فإذا قلت ، أعطنى حتى أحملها .

قال : الأمير أنا وعليك الطاعة .

قال : فأخذنا المطر ليلة .. فوقف إلى الصباح على رأسى وعليه كساء يمنع عنى المطر ، فكنت أقول فى نفسى : ياليتنى متُّ ولم أقل له أنت الأمير .

ثم قال لى : إذا صحبتَ إنسانًا فاصحبه كما رأيتنى صحبتك .

وقدم شاب على أبى علىٍّ الروذبارى ، فلما أراد الخروج ، قال : يقول الشيخ شيئًا ، فقال : يافتى كانوا لا يجتمعون عن موعد ، ولا يتفرَّقون عن مشورة[1] .

وعن المزين الكبير قال : كنت يومًا مع إبراهيم الخوَّاص فى بعض أسفاره ، فإذا عقرب تسعى على فخذه . فقمت لأقتلها ، فمنعنى وقال : دعها ، كلُّ شىء مفتقر إلينا . ولسنا مفتقرين إلى شىء .

وقال أبو عبد الله النصيبنى : سافرت ثلاثين سنه ما خطت قطّ خرقة على مرقعتى ، ولا عدلت إلى موضع علمت أن لى فيه رفيقًا ، ولا تركت أحدًا يحمل معى شيئًا .

واعلموا أن القوم استوفوا آداب الحضور من المجاهدات ، ثم أرادوا أن يضيفوا إليها شيئًا ، فأضافوا أحكام السفر إلى ذلك ؛ رياضة لنفوسهم ، حتى[2] أخرجوها عن المعلومات[3] ، وحملوها على مفارقة المعارف ، كى يعيشوا مع الله بلا علاقة ولا واسطة ، فلم يتركوا شيئًا من أورادهم فى أسفارهم .

وقالوا : الرُّخص لمن كان سفره ضرورة ، ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة فى أسفارنا علينا .

سمعت أبا صادق بن حبيب قال : سمعت النصر أباذى يقول : ضعفت فى البادية مرّة ، فأيست من نفسى ، فوقع بصرى على القمر ، وكان ذلك بالنهار ، فرأيت مكتوبًا عليه : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾[4] فاستقللت[5] ، وفتح علىّ من ذلك الوقت هذا الحديث .

---

(١) أى لا يتعلقون بغير الله فى الاجتماع ولا فى الافتراق .

(٢) وفى نسخة « حين » .

(٣) أى المألوفات .

(٤) من آية ١٣٧ من سورة البقرة .

(٥) أى : قويت .

وقال أبو يعقوب السوسى : يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء فى سفره :
عِلم يسوسه ، وورع يحجزه ، ووجد يحمله ، وخُلق يصونه .
وقيل : سُمى السفر سفرًا ؛ لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال .

وكان الكتانىّ إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرّة أخرى يأمر بهجرانه ؛ وإنما كان يفعل ذلك ؛ لأنهم كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الرفق .

وقيل : كان إبراهيم الخوّاص لا يحمل شيئًا فى السفر ، وكان لا يفارقه « الإبرة » و « الركوة »[1] أما الأبرة فلخياطة ثوبه إن تمزّق سترًا للعورة ، وأما الركوة فللطهارة ، وكان لا يرى ذلك علاقة ولا معلومًا .

وحكى عن أبى عبد الله الرازى قال : خرجت من « طرسوس » حافيًا ، وكان معى رفيق ، فدخلنا بعض قرى الشام ، فجاءنى فقير بحذاء فامتنعت من قبوله ؛ فقال لى رفيقى : البس هذا ، فقد عييتَ ، فإنه قد فتح عليك بهذا النعل بسببى . فقلت : مالك ؟ فقال : نزعت نعلى[2] موافقة لك ، ورعاية لحق الصحبة .

وقيل : كان الخوّاص فى سفر ، ومعه ثلاثة نفر ، فبلغوا مسجدًا فى بعض المفاوز وباتوا فيه ، ولم يكن عليه باب .. وكان برد شديد فناموا ، فلما أصبحوا رأوه واقفًا على الباب ، فقالوا : له فى ذلك فقال : خشيت أن تجدوا البرد . وكان قد وقف طول ليلته .

وقيل : إن الكتانى استأذن أمه فى الحج مرة فأذنت له ، فخرج ، فأصاب ثوبه البول فى البادية ، فقال : إن هذا لخلل فى حالى ، فانصرف .. فلما دق باب داره أجابته أمه ، ففتحت .. فرآها جالسة خلف الباب .. فسألها عن سبب جلوسها فقالت : مذ خرجتَ اعتقدت[3] أن لا أبرح من هذا الموضع حتى أراك .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقى يقول : سمعت إبراهيم ابن المولد يقول : سمعت إبراهيم القصار يقول : سافرت ثلاثين سنة أصلح قلوب الناس للفقراء .

وقيل : زار رجل داود الطائىَّ فقال : يا أبا سليمان ، كانت نفسى تنازعنى إلى لقائك منذ زمان ، لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة فالتلاقى أيسر .

---

(١) القربة .
(٢) منذ بدء السفر .
(٣) عزمت .

سمعت أبا نصر الصوفى ، وكان من أصحاب النصرابـاذى ، يقول : خرجت من البحر ـ « عمان » وقد أثر فىّ الجوع ، فكنت أمرّ فى السوق .. فبلغت حانوت حلاوى .. فرأيت فيه حملانًا[1] مشوية ، وحلواء .. فتعلقت برجل وقلت : اشتر لى من هذه الأشياء .

فقال : لماذا ؟ ألك علىّ شىء ، أو علىّ دين ؟ .

فقلت : لابد أن تشترى لى من هذا .

فرآنى رجل فقال : خله يا فتى (إن الذى يجب عليه أن يشترى لك ما تريد) أنا لا هو ، اقترح علىّ ، واحكم بما تريد .

ثم اشترى لى ما أردتُ ، ومضى .

وحكى عن أبى الحسين المصرى قال : اتفقت مع الشجرى فى[2] السفر من « طرابلس » .. فسرنا أيامًا لم نأكل شيئًا ، فرأيت قرعًا مطروحًا .. فأخذت آكله ، فالتفت إلىّ الشيخ ولم يقل شيئًا ، فرميت به ، وعلمت أنه كره ذلك .. ثم فتح علينا بخمسة دنانير .. فدخلنا قرية ، فقلت : يشترى الشيخ (لنا شيئًا) لا محالة .

فمر .. ولم يفعل .. ثم قال : لعلك تقول نمشى جياعًا ولم يشتر لنا شيئاً ، هو ذا . فوافى « اليهودية » (قرية على الطريق) ، وثم رجلٌ صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا ، فادفعها إليه ، لينفقها علينا وعلى عياله .

فوصلنا إليه ، ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها ، فلما خرجنا قال لى : إلى أين يا أبا الحسين ؟ .

فقلت : أسير معك . فقال : لا ، إنك تخوننى فى قرعة وتصحبنى ، لا تفعل وأبى أن أصحبه .

سمعت محمد بن عبد الله الشيرازى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا أحمد الصغير يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : كنت فى حال حداثتى استقبلنى بعض الفقراء .. فرأى فى أثر الضرّ والجوع ، فأدخلنى داره وقدّم لى لحمًا طبخ بالكشك واللحم متغير . فكنت آكل الثريد وأتجنب اللحم لتغيره فلقمنى لقمة ، فأكلتها بجهد .. ثم لقمنى ثانية فبلغتنى مشقة .. فرأى ذلك فىّ ، وخجل ، وخجلت لأجله ، فخرجت وأنزعجت[3] فى الحال للسفر .

---

(١) خريفًا .

(٢) أى على السفر .

(٣) أى تحركت .

فأرسلت إلى والدتى من يخبرها ويحمل إلىّ مرقعتى . فلم تعارضنى الوالدة .. ورضيت بخروجى ، فارتحلت من « القادسية » مع جماعة من الفقراء .. فتهنا .. ونفد ما كان معنا .. وأشرفنا على التلف ، فوصلنا إلى حى من أحياء العرب ، ولم نجد شيئا ، فاضطررنا إلى أن اشترينا منهم كلبا بدنانير ، وشووه ، وأعطونى قطعة من لحمه .. فلما أردت أكله فكرت فى حالى ، فوقع لى أنه عقوبة خجل ذلك الفقير . فتبت فى نفسى .. فدلونا على الطريق .. فمضيت .. وحججت .. ثم رجعت معتذرًا إلى الفقير .

باب الصحبة

قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] .

لما أثبت الله سبحانه للصدِّيق الصحبة بين أنه أظهر عليه الشفقة ، فقال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

فالحُرُّ شفيقٌ على من يصحبه .

أخبرنا عليّ بن أحمد الإهوازى ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرّى ، قال : حدّثنا يحيى بن محمد الجيانى قال : حدّثنا عثمان بن عبدالله القرشى ، عن نعيم بن سالم ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« متى ألقى أحبابى ؟ فقال أصحابه : بأبينا أنت وأمنا ، أو لسنا أحبابك ؟

فقال : أنتم أصحابى ، أحبابى : قوم لم يرونى ، وآمنوا بى ، وأنا إليهم بالأشواق أكثر »[2] .

والصحبة على ثلاثة أقسام :

صحبة مع من فوقك : وهى فى الحقيقة خدمة ، وصحبة مع من دونك : وهى تقضى على المتبوع بالشفقة والرحمة ، وعلى التابع بالوفاق والحزمة .

وصحبة الأكفاء والنظراء : وهى مبنية على الإيثار والفتوة ؛ فمن صحب شيخًا فوقه فى الرتبة ، فأدبه ترك الاعتراض ، وحمل ما يبدو منه على وجه جميل ، وتلقى أحواله بالإيمان به .

سمعت منصور بن خلف المغربى وسأله بعض أصحابنا : كم سنة صحبت أبا عثمان المغربى ؟ فنظر إليه شزرًا[3] وقال : إنى لم أصحبه ، بل خدمته مدة . وأما إذا صحبك من هو دونك ، فالخيانة منك فى حق صحبته أن لا تنبهه على ما فيه من نقصان فى حالته ؛ ولهذا كتب أبو الخير التينانى إلى جعفر بن محمد بن نصير : وزر جهل الفقراء عليكم ؛ لأنكم اشتغلتم

---

(١) آية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) أخرجه الترمذى فى صحيحه .

(٣) أى بمؤخر العين .

بنفوسكم عن تأديبهم ، فبقوا جهلة .

وأما إذا صحبت من هو فى درجتك ، فسبيلك التعامى[1] عن عيوبه ، وحملُ ما ترى منه على وجه من التأويل جميلٍ ، ما أمكنك ، فإن لم تجد تأويلًا عدت إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام اللائمة .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال أحمد بن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان الدارانى : إن فلانًا لايقع من قلبى !! فقال أبو سليمان : وليس يقع أيضًا من قلبى ، ولكن يا أحمد ، لعلنا أتينا مِنْ قِبلنا ، لسنا من جملة الصالحين ؛ فلسنا نحبهم .

وقيل : صحب رجلٌ إبراهيم بن أدهم ، فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل : إن رأيت فىَّ عيبًا فنبهنى عليه . فقال إبراهيم : إنى لم أر بك عيبًا ؛ لأنى لاحظتك بعين الوداد ؛ فاستحسنت منك ما رأيت ، فسل غيرى عن عيبك .

وفى معناه أنشدوا :

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ولكنَّ عين السخط تبدى المساويا

وحكى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال : كنا لا نصحب من يقول «نَعلى»[2].

سمعت أبا حاتم الصوفى ، يقول : سمعت أبا نصر السراج ، يقول : قال أبو أحمد القلانسى ، وكان من أستاتذة الجنيد : صحبت أقواما بـ « البصرة » فأكرمونى .. فقلت مرّة لبعضهم : أين إزارى ؟ فسقطت من أعينهم[3] .

وسمعت أبا حاتم يقول : سمعت أبا نصر السرّاج يقول : سمعت الدقى يقول : سمعت الزقاق يقول :

منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء . فما رأيت رفقا لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض ، أو ممن يحبهم ، ومن لم يصحبه التقوى والورع فى هذا الأمر أكل الحرام النص[4].

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : قال رجل لسهل بن عبدالله : أريد أن أصحبك يا أبا محمد . فقال : إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقى ؟

---

(١) وفى نسخة « التغاضى » .

(٢) فإنه أضاف الشىء إلى نفسه ، فقال : « نعلى » والإضافة تؤذن بالملك أو الاستحقاق أو الاختصاص وذلك غير مذهبهم .

(٣) لأنهم كما قال الإمام العروسى : يرون أن الدنيا إنما هى زاد يستعان بها على سلوك طريق الآخرة فلا يليق بأحد منهم ، لكون أيديهم متساوية فيما يحتاجونه أن يختص بشىء دون بقيتهم فلا يقول : نعلى ولا إزارى ولا طعامى بل إذ سأل قال : أين النعل وأين الإزار وأين الطعام ، فإن خالطهم من يدعى ملكًا لنفسه سقط من أعينهم لمخالفته ما هم عليه .

(٤) أى الخالص .

فقال : الله . فقال له : فليصحبه الآن .

وصحب رجل رجلًا مدّة ، ثم بدا لأحدهما المفارقة ، فاستأذن صاحبه ، فقال : بشرط ألا تصحب أحدًا إلا إذا كان فوقنا ، وإن كان أيضا فوقنا فلا تصحبه ؛ لأنك صحبتنا أولًا . فقال الرجل : زال من قلبى إرادة المفارقة .

سمعت أبا حاتم الصوفى ، يقول : سمعت أبا نصر السراج ، يقول : سمعت الدُّقى يقول : سمعت الكتانى يقول : صحبنى رجل ، وكان على قلبى ثقيلًا ، فوهبت له شيئًا ، ليزول ما فى قلبى ، فلم يَزُل !! .. فحملته إلى بيتى ، وقلت له : ضع رجلك على خدّى . فأبى ، فقلت : لابدّ . ففعل ، واعتقدتُ[1] أن لا يرفع رجله من خدّى حتى يرفع الله من قلبى ما كنت أجده ، فلما زال عن قلبى ما كنت أجده ، قلت له : ارفع رجلك الآن .

وكان إبراهيم بن أدهم يعمل فى الحصاد وحفظ البساتين وغيره ، وينفق على أصحابه .

وقيل : كان مع جماعة من أصحابه ، فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ، ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام[2] ، فكان يبطئ فى الرجوع من العمل ، فقالوا ليلة : تعالوا نأكل فطورنا دونه ، حتى يعود بعد هذا أسرع ، فأفطروا ، وناموا ، فلما رجع إبراهيم وجدهم نيامًا ، فقال : مساكين ، لعلهم لم يكن لهم طعام ؛ فَعَمد إلى شىء من الدقيق كان هناك ، فعجنه ، وأوقد على النار ، وطرح الملَّة[3] ، فانتبهوا ، وهو ينفخ فى النار واضعًا محاسنه على التراب ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : قلت لعلكم لم تجدوا فطورًا .. فنمتم .. فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت[4].

فقال بعضهم لبعض : انظروا ما الذى عملنا ، وما الذى به يعاملنا .

وقيل : كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه أحد شارطه على ثلاثة أشياء :

أن تكون الخدمةُ والأذان له[5]، وأن تكون يده فى جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدهم .

فقال له يومًا رجل من أصحابه : أنا لا أقدر على هذا ؟

فقال : أعجبنى صدقك .

وقال يوسف بن الحسين : قلت لذى النون : مع من أصحب ؟

فقال : مع من لا تكتمه شيئًا يعلمه الله تعالى منك .

وقال سهل بن عبدالله لرجل : إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبنى .

---

(١) أى عزمت .

(٢) الأولى أن يقال صوام .

(٣) الملة بفتح الميم : الرماد الحار .

(٤) أى نضج خبزها .

(٥) وهذان هما الشرطان الأولان .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن الحسن العلوى يقول : حدثنا عبدالرحمن ابن حمدان قال : حدثنا أبو القاسم بن منبه قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : صحبة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار .

وحكى الجنيد قال : لما دخل أبو حفص بغداد كان معه إنسان أصلع لا يتكلم بشيء .. فسألت أصحاب أبي حفص عن حاله ، فقالوا : هذا رجل أنفق عليه مائة ألف درهم ، واستدان مائة ألف درهم أنفقها عليه ، ولا يُرخص له أبو حَفص أن يتكلم بحرف .

وقال ذو النون : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة .

وقال رجل لذى النون : مع من أصحب ؟ فقال :

مع من إذا مرضت عادك ، وإذا أذنبت تاب عليك .

سمعت الأستاذ أبا علىّ ، رحمه الله ، يقول : الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكنه لا يثمر ، كذاك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء .

وكان الأستاذ أبو علىّ ، يقول : أخذت هذا الطريق عن النصراباذى ، والنصراباذى عن الشبلى ، والشبلى عن الجنيد ، والجنيد عن السرىّ ، والسرىّ عن معروف الكرخىّ ، ومعروف الكرخىّ ، عن داود الطائى ، وداود الطائى لقى التابعين .

وسمعته يقول : لم أختلف إلى مجلس النصراباذى قط إلا اغتسلت قبله .

قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : ولم أدخل أنا على الأستاذ أبى علىّ فى وقت بدايتى إلا صائمًا ، وكنت أغتسل قبله ، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب ؛ احتشامًا منه أن أدخل عليه ، فإذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدَرٍ ، حتى لو غرز فىَّ إبرة – مثلا – لعلى كنت لا أحسّ بها ، ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة[1] ، فكما كنت أجلس كان يبتدئ بشرح واقعتى ، وغير مرة رأيت منه هذا عيانًا ، وكنت أفكر فى نفسى كثيرًا أنه لو بعث الله فى وقتى رسولاً إلى الخلق هل يمكننى أن أزيد من حشمته على قلبى فوق ما كان منه ، رحمه الله ، فكان لا يتصوَّر لى أن ذلك ممكن ، ولا أذكر أنى فى طول اختلافى إلى مجلسه ، ثم كونى معه بعد حصول الوصلة ، أن جرى فى قلبى أو خطر ببالى عليه قط اعتراض ، إلى أن خرج رحمه الله من الدنيا .

---

(١) أى : الواقعة .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى ، رحمه الله ، قال : أخبرنا محمد بن أحمد العبدى ، قال : أخبرنا أبو عوانة ، قال : حدثنا يونس ، قال : حدثنا خلف بن تميم أبو الأحوص ، عن محمد بن النضر الحارثى ، قال : أوحى الله سبحانه ، إلى موسى عليه السلام :

كن يقظانًا .. مرتادًا[1] لنفسك أخدانًا . وكلُّ خدن لا يؤاتيك[2] على مسرَّة فاقصه[3]. ولا تصحبه ؛ فإنه يقسى قلبك ، وهو لك عدو ، وأكثر من ذكرى تستوجب على شكرى والمزيد من فضلى .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبدالله بن المعلم يقول : سمعت أبا بكر الطمستانى يقول :

اصحبوا مع الله ، فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ، لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله عزّ وجلّ .

---

(١) طالبًا .
(٢) يوافقك ويطيعك .
(٣) فأبعده وفى نسخة فارفعه .

باب التوحيد

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[1] .

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رضى الله عنه ، قال : حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال : حدثنا مسيح بن حاتم العكى قال : حدثنا الحجبى عبدالله بن عبدالوهاب قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن سعيد بن سعد بن حاتم العتكى ، عن أبى صدقة : عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيرًا قط إلا التوحيد ، فقال لأهله : إذا مت فأحرقونى ، ثم اسحقونى ، ثم ذروا نصفى فى البرّ ونصفى فى البحر فى يوم ريح . ففعلوا ... فقال الله عزّ وجلّ للريح : أدّى ما أخذتِ ، فإذا هو بين يديه ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : استحياءً منك ، فغفر له » ..

التوحيد : هو الحكم بأن الله[2] واحد ، والعلم بأن الشىء واحد أيضًا توحيد ، ويقال[3]: وحدته : إذا وصفته بالوحدانية ، كما يقال : شجعت فلانا إذا نسبته إلى الشجاعة ، يقال فى اللغة : وَحَد يحد فهو واحد ووَحْد ، ووحيد ؛ كما يقال : فَرَد فهو فارد ، وفَرْد ، وفريد .

وأصل أحد « وحد » فقلبت الواو همزة ، والواو المفتوحة قد تقلب همزة ، كما تقلب المكسورة والمضمومة ، ومنه امرأة أسماء ، بمعنى وسماء ، من الوسامة ، ومعنى كونه ، سبحانه ، واحدًا على لسان العلم ، قيل : هو الذى لا يصحّ فى وصفه الوضع والرفع ، بخلاف قولك : إنسان واحد ؛ لأنك تقول إنسان بلا يد ولا رجل ، فيصح رفع شىء منه ، والحق ، سبحانه ، أحدىّ الذات ، بخلاف الاسم الجملة[4] الحاملة .

وقال بعض أهل التحقيق فى معنى أنه واحد : نفى التقسيم لذاته ، ونفى التشبيه عن حقه وصفاته ، ونفى الشريك معه فى أفعاله ومصنوعاته .

---

(١) آية ١٦٣ من سورة البقرة .

(٢) وفى بعض النسخ « الشىء » .

(٣) أى فى اللغة .

(٤) قال الإمام العروسى : أى الاسم الموضوع للدلالة على جملة مركبة من حيوانية وناطقية وحاملة لأجزاء تركبت منها الشخصية التى هى تحت النوعية .

والتوحيد ثلاثة :

توحيد الحق للحق ، وهو علمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد .

والثانى : توحيد الحق ، سبحانه ، للخلق ، وهو حكمه ، سبحانه : بأن العبد موحد ، وخلقه توحيد العبد .

والثالث : توحيد الخلق للحق ، سبحانه ، وهو علم العبد بأن الله ، عز وجل ، واحد ، وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد .

فهذه جملة فى معنى التوحيد على شرط[1] الإيجاز والتحديد .

واختلفت عبارات الشيوخ عن[2] معنى التوحيد : سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى رحمه الله ، يقول سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول : وقد سئل عن التوحيد ، فقال : أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج[3]، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلةُ كلِّ شىء صَنَعه ، ولا علة لصُنعه ، ومهما تصور فى نفسك شىءٌ فالله بخلافه .

وسمعته يقول : سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت عبدالله بن صالح يقول : قال الجريرى : ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد .

وسئل الجنيد عن التوحيد فقال : إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال[4] أحديته أنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد ، بنفى[5] الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[6].

وقال الجنيد : إذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت إلى الحيرة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول ذلك ، وسئل الجنيد عن التوحيد ، فقال :

معنى تضمحل فيه الرسوم ، وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل[7] وقال

---

(١) أى طريقة .
(٢) وفى نسخة « فى » .
(٣) طباع .
(٤) أى مع كمال .
(٥) أى مع نفى .
(٦) آية ١١ من سورة الشورى .
(٧) قال الشيخ زكريا « أى هو معنى يخلقه الله فى قلب الموحد العارف به ويغلب على قلبه حتى لا يرى غيره تعالى كما كان فى الأزل » .

الحصرى : أصولنا فى التوحيد خمسة أشياء .

رفع الحدث[١]، وإفراد القدم[٢] وهجر الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما عُلم وجُهل[٣].

سمعت منصور بن خلف المغربى يقول كنت[٤] فى صحن « الجامع » ببغداد [يعنى جامع المنصور] والحصرىّ يتكلم فى التوحيد ، فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء ، فقال أحدهما لصاحبه : الذى يقول هذا الرجل عِلم التوحيد والتوحيد غيرُه ، يعنى [٥] كنت بين اليقظة والنوم .

وقال فارس . التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام ، وأن الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر بن شاذان يقول : سمعت الشبلى يقول : التوحيد : صفة الموحد حقيقة وحلية الموحِّد رسمًا .

وسئل الجنيد عن توحيد الخاصّ فقال : أن يكون العبد شبحًا[٦] بين يدى الله ، سبحانه ، تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته ، فى لجج بحار توحيده ، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته ، فى حقيقة قربه بذهاب حسّه وحركته ، لقيام الحق ، سبحانه له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوّله ، فيكون كما كان قبل أن يكون[٧].

وسئل البوشنجى عن التوحيد فقال : غير مشبه الذوات ولا منفى الصفات .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت أبا الحسين العنبرى يقول : سمعت سهل بن عبدالله يقول ، وقد سئل عن ذات الله ، عزّ وجلّ ، فقال : ذات الله تعالى موصوفة بالعلم ، غيرُ مدركة بالإحاطة ، ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا ، وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حدّ ولا إحاطة ولا حلول ، وتراه العيون فى العقبى ظاهرًا فى ملكه وقدرته ، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ؛

---

(١) أى الإعراض عن غير الله .

(٢) أى كمال الاشتغال بالله .

(٣) المراد بالجهل الإعراض عن المعلوم .

(٤) أى بين اليقظة والنوم .

(٥) أى بقوله « كنت » .

(٦) أى شخصًا ملقى .

(٧) والمراد ، كما قال الإمام الأنصارى ، أن حق العبد أن يكون راضيًا بما يجريه الله عليه مما يرضاه له وتشهد بصحته الشريعة ، وربه – حينئذ – لكمال حفظه ومحبته له لا يجرى عليه إلا ما ينفعه .

فالقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وقال الجنيد : أشرف كلمة فى التوحيد : ما قاله أبو بكر الصّديق ، رضى الله عنه : سبحانه من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

قال الأستاذ أبو القاسم : ليس يريد الصّديق ، رضى الله عنه ، أنه لا يعرف ؛ لأن عند المحققين : العجز عجز عن الموجود ، دون المعدوم ، كالمقعد عاجزٌ عن قعوده ؛ إذ ليس بكسب له ولا فعل ، والقعود موجود فيه ، كذلك العارف عاجز عن معرفته ، والمعرفة موجودة فيه ؛ لأنها ضرورية .

وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه فى الانتهاء ضرورية .

فالمعرفة الكسبية فى الابتداء ، وإن كانت معرفة على التحقيق ، فلم يعدّها الصديق رضى الله عنه شيئًا بالإضافة إلى المعرفة الضرورية ، كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن سعيد البصرى بالكوفة يقول : سمعت ابن الأعرابى يقول : قال الجنيد : التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو : إفراد القدم عن الحدث[1] والخروج عن الأوطان ، وقطع المحاب[2] وترك ما علم وجهل ، وأن يكون الحق ، سبحانه ، مكان الجميع .

وقال يوسف بن الحسين : من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد على مر الأوقات إلا عطشًا :

وقال الجنيد : علم التوحيد مباين لوجوده ، ووجوده مفارق[3] لعلمه .

وقال الجنيد أيضًا : علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة ، والناس يتكلمون فى حواشيه !! .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد الأصبهانى يقول : وقف رجل على الحسين بن منصور ، فقال : من الحق الذى يشيرون إليه ؟ فقال : معل الأنام ولا يعتل[4] .

---

(١) أى الحدوث .
(٢) أى محبوبات النفوس .
(٣) مباين .
(٤) أى الذى وجوده علة كل موجود ولا علة لوجوده .

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت الشبلى يقول : من اطلع على ذرّة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة[١] لثقل ما حمله .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سئل الشبلى ؛ فقيل له أخبرنا عن توحيد مجرّد[٢] ، وبلسان حق مفرد .

فقال : ويحك !! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار[٣] إليه فهو ثنوى[٤] ، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه[٥] فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكل ماميزتوه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم ، محدَث مصنوع مثلكم .

وقال يوسف بن الحسين : توحيد الخاصة أن يكون بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدى الله تعالى يجرى عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته فى بحار توحيده[٦] بالفناء عن نفسه وذهاب حسه ، بقيام الحقِّ سبحانه له فى مراده منه ، فيكون كما هو قيل أن يكون فى جريان حكمه سبحانه عليه .

وقيل : التوحيد للحق[٧] سبحانه ، والخلق[٨] طفيلى .

وقيل : التوحيد : إسقاط الياءات ؛ لا تقول لى بى ومنىِّ وإلىّ .

وقيل : لأبى بكر الطمستانى : ما التوحيد ؟ فقال ، توحيد ، وموحِّد ، وموحَّد ، هذه ثلاثة .

قال رويم : التوحيد هو آثار البشرية وتجرد الألوهية .

سمعت أبا على الدقاق يقول فى آخر عمره ، وكان قد اشتدت به العلة ، فقال : من أمارات التأييد حفظ التوحيد فى أوقات الحكم ، ثم قال ، كالمفسر لقوله مشيرا إلى ما كان من حاله ، هو : أن يقرضك بمقاريض القدرة فى إمضاء الأحكام قطعةً قطعةً وأنت شاكر حامد .

---

(١) وفى نسخة « نفسه » .
(٢) خالص .
(٣) أى أجاب بالإشارة .
(٤) ثنوى : نسبة إلى « اثنين » أى فهو مدرك نفسه وربه فلم يكمل استغراقه ، فلم يكمل توحيده .
(٥) أى فى الجواب .
(٦) أى مع الفناء .
(٧) أى صفة قديمة له .
(٨) أى والتوحيد فى الخلق طفيلى أى حادث كائن بعد أن لم يكن .

وقال الشبلى : ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد .

وقال أبو سعيد الخراز : أول مقام لمن وجد علم التوحيد ، وتحقق بذلك ، فناء ذكر الأشياء عن قلبه ، وانفراده بالله عزّ وجلّ .

وقال الشبلى لرجل : أتدرى لم لا يصح توحيدك ؟ .

فقال : لا !! فقال : لأنك تطلبه بك .

وقال ابن عطاء : علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد ، وهو أن يكون القائم به واحدًا .

ويقال من الناس من يكون مكاشفًا بالأفعال ، يرى الحادثات بالله تعالى ، ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة ، فيضمحل إحساسه بما سواه ، فهو يشاهد الجمع سرا بسرّ ، وظاهره بوصف التفرقة .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت على بن محمد القزوينى يقول : سمعت القنفذ يقول : سئل الجنيد عن التوحيد ، فقال سمعت قائلًا يقول :

وغـنّى لى مـن قـلبـى
وغـنـيـت كـما غـنى
وكـنـا حـيـثـما كـانـوا
وكـانـوا حـيـثـما كـنـا

فقال السائل : أهَلك القرآن والأخبار ؟! .

فقال : لا ، ولكن الموحِّد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره .

باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِين تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[1] .

يعنى : طيبة نفوسهم ، ببذلهم مُهجهم لا يثقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم .

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانى قال : أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن عقبة الشيبانى بالكوفة قال : حدثنا الخضر بن أبان الهاشمى قال : حدثنا أبو هدبة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ .

« إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت ، وإن مفاصله ليسلِّم بعضها على بعض ؛ تقول : عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة » .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال : حدثنا أبو العباس الأصم قال : حدثنا الخضر ابن أبان الهاشمى قال : حدثنا سوار قال : حدثنا جعفر ، عن ثابت ، عن أنس :

« أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت ، فقال : كيف تجدك ؟ فقال : أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبى ، فقال رسول الله ﷺ : شيئان لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف » .

وأعلم أن أحوالهم فى حال النزع مختلفة ؛ فبعضهم الغالب عليه الهَيْبَة ، وبعضهم الغالب عليه الرجاء ، ومنهم من كشف له فى تلك الحالة ما أوجب له السكون ، وجميل الثقة .

حكى أبو محمد الجريرى قال : كنت عند الجنيد فى حال نزعه ، وكان يوم الجمعة ، ويوم نيروز ، وهو يقرأ القرآن ، فختمه . فقلت : فى هذه الحالة يا أبا القاسم ؟ .

فقال : ومنْ أولى بذلك منى وهو ذا تطوى صحيفتى .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول بلغنى عن أبى محمد الهروى أنه قال : مكثت عند الشبلى الليلة التى مات فيها فكان يقول طول ليلته هذين البيتين :

---

(١) آية ٣٢ من سورة النحل .

كلُّ بيت[1] أنت ساكنه غير محتاج إلى السُرج
وجهك المأمول حجتنا يوم تأتى الناس بالحجج

وحكى عن عبد الله بن منازل أنه قال : إن حمدون القصار أوصى إلى أصحابه أن لا يتركوه فى حال الموت بين النسوان .

وقيل لبشر الحافى ، وقد احتضر : كأنك يا أبا نصر تحبّ الحياة ؟

فقال : القدوم على الله ، عزّ وجلَّ ، شديد .

وقيل : كان سفيان الثورى إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر : أتأمر بشغل ؟؟ .

يقول : إن وجدتَ الموتَ فاشتره لى !.

فلما قربت وفاته كان يقول : كنا نتمناه .. فإذا هو شديد !! .

وقيل : لما حضرت الحسن بن على بن أبى طالب الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ .

فقال : أقدم على سيد لم أره .

ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته : واحزناه !!

فقال : بل وا طرباه .. غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه .

وقيل : فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك . وقال : لمثل هذا فليعمل العاملون .

وقيل : كان مكحول الشامى الغالب عليه الحزن ، فدخلوا عليه فى مرض موته وهو يضحك ، فقيلَ له فى ذلك ، فقال : ولم لا أضحك وقد دنا فراق ما كنت أحذره ، وسرعة القدوم على ما[2] كنت أرجوه وآمله .

وقال رويم : حضرتُ وفاة أبى سعيد الخراز ، وهو يقول فى آخر نفسه :

حنينُ قلوب العارفين إلى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم فأغْفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
هُمُومهم جَوَّالة بمعسكرٍ به أهل ودّ الله كالأنجم الزُّهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبّهِ وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عَرَّسوا[3] إلا بقرب حبيبهم وما عَرَّجوا عن مس بؤس ولا ضر

---

(١) يريد به قلب المؤمن .
(٢) وفى نسخة « من » .
(٣) أى نزلوا فى سفرهم .

وقيل للجنيد : إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت . فقال : لم يكن بعجيب أن تطير روحه اشتياقًا .

وقال بعضهم وقد قربت وفاته : يا غلام اشدد كتافى وعَفِّر خدى ، ثم قال : دنا الرحيل ولا براءة لى من ذنب ، ولا عذر أعتذر به ، ولا قوة أنتصر بها .. أنت لى ، أنت لى .. ثم صاح صيحة ومات ، فسمعوا صوتًا[1] : « استكان العبدُ لمولاه ، فقبله » .

وقيل لذى النون المصرى عند موته : ما تشتهى ؟ قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة .

وقيل لبعضهم وهو فى النزع : قل الله ، فقال : إلى متى تقولون : قل الله ، وأنا محترق بالله ؟!!.

وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى ، فقدم فقير وقال السلام عليكم ، فردوا عليه السلام ، فقال : هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه ؟ فأشاروا عليه بمكان ، وكان ثَمَّ عين ماء .. فجدَّد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله تعالى ، ومضى إلى المكان الذى أشاروا إليه .. ومد رجليه ، ومات .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : كان أبو العباس الدينورى يتكلم يوما فى مجلسه .. فصاحت امرأة تواجدًا ، فقال لها : موتى .. فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت : قد متُّ . ووقعت ميتة .

وقال بعضهم : كنت عند ممشاد الدينورى عند وفاته ، فقيل له : كيف تجد العلة ؟!. فقال سلوا العلة عنى كيف تجدنى ، فقيل له . قل لا إله إلا الله . فحوّل وجهه إلى الجدار وقال : أفنيت كُلى بكلك هذا جزاء من يحبك .

وقيل لأبى محمد الدبيلى ، وقد حضرته الوفاة ، قل : لا إله إلا الله .

فقال هذا شىء قد عرفناه ، وبه نفنى ، ثم أنشأ يقول :

تسربل ثوبُ النية لما هويتُه وَصدَّ ولم يرض بأن أكُ عبده

وقيل للشبلى عند وفاته : قل لا إله إلا الله . فقال :

قال سلطان حبه أنا لا أقبل الرِّشا
فسلوه بحقه[2] لِمْ بقتلى تحرّشا

---

(١) لقائل يقول .

(٢) وفى نسخة « فديته » .

سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول : سمعت بعض الفقراء يقول : لما مات[1] يحيى الاصطخرى جلسنا حوله ، فقال له رجل منا : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فجلس مستويًا .. ثم أخذ بيد واحد منا ، وقال له : قل أشهد أن لا إله إلا الله .. ثم أخذ بيد آخر .. حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ، ثم مات .

ويحكى عن فاطمة أخت أبى علىّ الروذبارى ، أنها قالت : لما قرب أجل أخى أبى على الروذبارى ، وكان رأسه فى حجرى ، فتح عينيه ، وقال : هذه أبواب السماء قد فتحت .. وهذه الجنان قد زُينت ، وهذا قائل يقول لى : يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها .. ثم أنشأ يقول :

وحقّك لا نظرتُ إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا
أراك معذِّبى بفتور لحظٍ وبالخدّ المورد من جناكا

ثم قال : يافاطمة ، الأول[2] ظاهر ، والثانى فيه إشكال[3] .

سمعت بعض الفقراء يقول : لما قربت وفاة أحمد بن نصر ، رحمه الله تعالى ، قال له واحد : قل أشهد أن لا إله إلا الله فنظر إليه وقال له : لا تترك الحرمة[4] (بالفارسية « بى حرمتى مكن ») .

وقال بعضهم : رأيت فقيرًا يجود بنفسه غريبًا .. والذباب على وجهه ، فجلست أذبُّ الذباب عن وجهه .. ففتح عينيه ، وقال : من هذا ؟ أنا منذ كذا سنة فى طلب وقت يصفو لى فلم يتفق إلا الآن .. جئت أنت توقع نفسك فيه ، مرّ عافاك الله .

وقال أبو عمران الاصطخرى : رأيت أبا تراب فى البادية قائمًا ميتًا لا يمسكه شىء .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : كان سبب وفاة أبى الحسين النورى أنه سمع هذا البيت .

لازلت أنزل فى ودادك منزلا تتحير الألبابُ عند نزوله

فتواجد النورى وهام فى الصحراء فوقع فى أجمه قصب قد قطعت وبقى أصولها مثلُ

---

(١) أى أشرف على الموت .
(٢) من البيتين .
(٣) أى على من لم يعرف المراد به ويتوهم أنه راجع إلى ربه .
(٤) أى الاحترام .

السيوف ، فكان يمشي عليها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه .. ثم وقع مثل السكران ، فتورّمت قدماه . ومات .

وحكى أنه قيل له عند النزع : قل.لا إله إلا الله ، فقال أليس إليه أعود .

وقيل : مرض إبراهيم الخوَّاص فى المسجد الجامع : « بالرى » وكانت به علة الإسهال ، فكان إذا قام مجلساً يدخل الماء .. ويتوضأ . فدخل الماء مرّة فخرجت روحه .

سمعت منصورًا المغربى يقول : دخل عليه[1] يوسف بن الحسين عائداً له بعد ما أتى عليه أيامٌ لم يعده ، ولم يتعهده ، فلما رآه ، قال للخواص : أتشتهى شيئًا ؟ .

قال : نعم . قطعة كبد مشوى .

قال الأستاذ أبو القاسم : لعلّ الإشارة فيه أنه أراد : أشتهى قلبًا يرقى الفقير ، وكبدًا تشتوى وتحترق لغريب ، لأنه كالمستجفى ليوسف بن الحسين ؛ حيث لم يتعهده .

وقيل : كان سبب موت بن عطاء أنه أدخل مرة على الوزير ، فكلمه الوزير بكلام غليظ .

فقال له ابن عطاء : اهدأ يارجل !! فأمر . فضُرب بخفه على رأسه فمات منه[2] .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول : سمعت أبا بكر الدقى يقول : كنا عند أبى بكر الزقاق بالغداة ، فقال : إلهى ، كم تبقينى هاهنا فما بلغ الغداة الأولى حتى مات .

وحكى عن أبى على الروذبارى أنه قال : رأيت فى البادية حَدَثا ، فلما رآنى قال : أما يكفيه أن شغفنى بحبه حتى علنى ، ثم رأيته يجود بروحه ، فقلت له : قل لا إله إلا الله ، فأنشأ يقول :

أيا من ليس لى عنه ... وإن عذبنى بدّ
ويا من نال من قلبى ... منالا ما له حد

وقيل للجنيد : قل لا إله إلا الله ، فقال : ما نسيتُه فأذكره !! وقال :

حاضر فى القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره
فهو مولاى ومعتمدى ... ونصيبى منه أوفره

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول :

---

(١) أى على الخواص فى مرضه .

(٢) وفى نسخة « حتى مات » .

سألت جعفر بن نصير بكران الدينورى ، وكان يخدم الشبلى ، ما الذى رأيت منه ؟ فقال : قال لى عليَّ درهم مظلمة ، وقد تصدَّقت عن صاحبه بألوف ، فما على قلبى شغل أعظم منه ، ثم قال : وضئنى للصلاة ، ففعلت ، فنسيت تخليل لحيته ، وقد أمسكَ على لسانه ، فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ، ثم مات ، فبكى جعفر وقال : ما تقولون فى رجل لم يفته حتى فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة .

سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهانى يقول : سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسى يقول : سمعت علوشًا الدينورى يقول : سمعت المزين الكبير يقول : كنت بمكة - حرسها الله تعالى - فوقع بى انزعاج . فخرجت أريد المدينة . فلما وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح ، فعدلت إليه وهو ينزع ؛ فقلت له : قل لا إله إلا الله .. ففتح عينيه ؛ وأنشأ يقول :

أنا إن مت فالهوى حشوَ قلبى وبـداء الهـوى تمـوت الكـرام

فشهق شهقة ، ثم مات ، فغسلته ، وكفنته ، وصليت عليه ، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بى من إرادة السفر ، فرجعت إلى مكة .

وقيل لبعضهم : أتحبُّ الموت ؟ فقال : القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يُؤمن شره .

وحكى عن الجنيد أنه قال : كنت عند أستاذى ابن الكرنبى ، وهو يجود بنفسه ، فنظرت إلى السماء[1] فقال : بعد ، ثم نظرت إلى الأرض فقال : بعد ، يعنى : أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض ، بل هو وراء المكان[2] .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر الطوسى يقول : سمعت بعض أصحابنا يقول : قال أبو يزيد عند موته : ما ذكرتك إلا عن غفلة ، ولا قبضتنى إلا على فترة .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الوجيهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا : كنا فى جنازة فتى سمع قائلا يقول :

كـبرت همــة عـبــد طـمـعـت فى أن تــراكـا

فشهق شهقة ومات .

---

(١) أى داعيًا له .

(٢) أى قبل المكان .

وقيل : دخل جماعة على « ممشاد الدينورى » فى مرض موته ، فقالوا : ما فعل الله بك وما صنع ؟ فقال : منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى ، وقالوا اه عند النزع : كيف تجد قلبك ؟ فقال : منذ ثلاثين سنة فقدت قلبى .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على التميمى يقول : قال الوجيهى : كان سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه شيء ، فهام على وجهه ، فلحقوه فى وسط متاهة بنى إسرائيل فى الرمل ، ففتح عينيه وقال : ارتعْ[1] ، فهذا مرتع الأحباب . وخرجت روحه .

وقال أبو يعقوب النهر جورى : كنت بمكة ، فجاءنى فقير معه دينار ، فقال : إذا كان غدا فأنا أموت ، فأصلح لى بنصف هذا قبرًا ، والنصف الثانى لجهازى . فقلت فى نفسى : دوخل الشاب[2] ؛ فإنه قد أصابته فاقة الحجاز ، فلما كان الغد جاء ؛ ودخل الطواف ، ثم مضى وامتد على الأرض ، فقلت : هو ذا يتماوت ، فذهبت إليه ، فحركته فإذا هو ميت . فدفنته كما أمر .

وقيل : لما تغيرت الحال على أبى عثمان الحيرى مزق ابنه أبو بكر قميصًا ففتح أبو عثمان عينيه وقال : يابنى . إن خلاف السنة فى الظاهر من رياء فى الباطن .

وقيل : دخل ابن عطاء على الجنيد . وهو يجود بنفسه ؛ فسلم . فأبطأ فى الجواب ، ثم رد ، وقال : اعذرنى ، فلقد كنت فى وردى ثم مات .

وحكى أبو على الروذبارى قال : قدم علينا فقير ، فمات ، فدفنته وكشفت[3] عن وجهه لأضعه فى التراب ليرحم الله عزّ وجلّ غربته ، ففتح عينيه وقال : يا أبا على ، أتدللنى[4] بين يدى من دَللنى ؟ ! فقلت : ياسيدى أحياة بعد موت ؟ فقال لى : بلى أنا حىّ ، وكل محبٍّ لله ، عزّ وجلّ ، حىّ لأنصرنك غداً بجاهى ياروذبارى .

ويحكى عن ابن سهل الأصفهانى أنه قال : أترون أنى أموت كما يموت الناس ، مَرض وعيادة ، وإنما أدعى ، فيقال : يا علىُّ ، فأجيب .

فكان يمشى يومًا ، فقال : « لبيك » . ومات .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزين قال : لما مرض أبو يعقوب النهر جورى مرض وفاته ، قلت له ، وهو فى

---

(١) أى تنعم وتلذذ .
(٢) أى خولط فى عقله .
(٣) فى القبر .
(٤) أنكر منى .

النزع : قل لا إله إلا الله ، فتبسم إلى وقال : إيایّ تعنى ؟ وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه إلا حجّاب العزة . وانطفأ من ساعته ، فكان المزين يأخذ بلحيته[1] ويقول : حجام مثلى يلقن أولياء الله الشهادة ، واخجلتاه منه !! وكان يبكى إذا ذكر هذه الحكاية .

وقال أبوحسين المالكى : كنت أصحب خير النساج سنين كثيرة ، فقال لى قبل موته بثمانية أيام : أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب ، وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة ، وستنسى هذا ، فلا تنس .

قال أبو الحسين : فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقنى من أخبرنى بموته ، فخرجت لأحضر جنازته ، فوجدت الناس راجعين يقولون : يُدفن بعد الصلاة .

فلم أنصرف ، وحضرت ، فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال ، فسألت من حضر وفاته ، فقال : إنه غشى عليه ، ثم أفاق ، ثم التفت إلى ناحية البيت وقال :

قف عافاك الله ، فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ، الذى أمرت به لا يفوتك ، والذى أمرت به يفوتنى ، فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى ، ثم تمدد ، وغمض عينيه ، فروِّى فى المنام بعد موته ، فقيل له : كيف حالك ! فقال : لا تسل ، ولكنى تخلصت من دنياكم الوضرة .

وذكر أبو الحسين الحمصى[2] « مصنف كتاب بهجة الأسرار » أنه لما مات سهل بن عبد الله انكبّ الناس على جنازته ، وكان فى البلد يهودى نيف على السبعين ، فسمع الضجة ، فخرج لينظر ما كان ، فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال : أترون ما أرى ؟ فقالوا : لا ، ماذا ترى ؟ فقال أرى أقوامًا ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ، ثم إنه تشهد ، وأسلم ، وحسن إسلامه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا جعفر بن قيس - بمصر - يقول : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : كنت بمكة فجزت يومًا بباب « بنى شيبة » فرأيت شابا حسن الوجه ميتًا ، فنظرت فى وجهه فتبسم فى وجهى وقال لى : يا أبا سعيد ، أما علمت أن الأحياء أحياء وإن ماتوا ، وإنما ينقلون من دار إلى دار .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الجريرى يقول : بلغنى أنه قيل لذى النون المصرى عند النزع : أوصنا ، فقال : لاتشغلونى فإنى متعجب من محاسن لطفه .

---

(١) بلحية نفسه .

(٢) ابن جهضم .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول : سئل أبو حفص فى حال وفاته : ما الذى تعظنا به ؟ فقال : لست أقوى على القول ، ثم رأى من نفسه قوة ، فقلت له : قل حتى أحكى عنك .

فقال : موعظتى : الانكسار بكلِّ القلب على التقصير .

باب المعرفة بالله

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[1] . جاء فى التفسير : وما عرفوا الله حق معرفته .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل ، قال : حدثنا محمد بن القاسم العتكى ، قال : حدثنى محمد بن أشرس ، قال : حدثنا سليمان بن عيسى الشجرى عن عباد بن كثير ، عن حنظلة بن أبى سفيان ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبى ﷺ قال :

« إن دعامة البيت أساسهُ ، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى ، واليقينُ والعقل القامع فقلت : بأبى أنت وأمى ما العقل القامع ؟ قال الكف عن معاصى الله ، والحرص على طاعة الله » .

قال الأستاذ : المعرفة على لسان العلماء هو : العلم ؛ فكل علم معرفة ؛ وكل معرفة علم ؛ وكل عالم بالله عارف ؛ وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة : صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ؛ ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ؛ ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ؛ ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله فى جميع أحواله ؛ وانقطع عنه هواجس نفسه ؛ ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره ، فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريًّا ، ومن المساكنات والملاحظات نقيًّا ؛ ودام فى السرّ مع الله تعالى مناجاته ، وحق فى كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثًا[2] من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك « عارفًا » وتسمى حالته « معرفة » .

وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربّه .

وقد تكلم المشايخ فى المعرفة ، فكلّ نطق بما وقع له ؛ وأشار إلى ما وجده فى وقته .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، رحمه الله يقول : من أمارات المعرفة بالله حصولُ الهيبة من الله ، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته .

---

(١) آية ٩١ من سورة الأنعام .

(٢) أى ملهمًا .

وسمعته يقول : المعرفة توجب السكينة فى القلب كما أن العلم يُوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أحمد بن محمد بن زيد يقول : سمعت الشبلى يقول : ليس لعارف علاقة[١] ، ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لخائف قرار ، ولا لأحد من الله فرار .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن محمد بن عبد الوهاب يقول : سمعت الشبلى يقول ، وقد سئل عن المعرفة ، فقال : أولها الله تعالى ، وآخرها مالا نهاية له .

وسمعته يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا العباس الدينورى يقول : قال أبو حفص : مذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبى حق ولا باطل .

قال الأستاذ أبو القاسم : وهذا الذى أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال ، وأجلّ ما يحتمله : أنّ عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه ، لاستيلاء ذكر الحق ، سبحانه ، عليه ، فلا يشهد غير الله ، عزّ وجلّ ، ولا يرجع إلى غيره ، فكما أن العقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر ، أو يستقبله من حال ؛ فالعارف رجوعُه إلى ربه . فإذا لم يكن مشتغلاً إلا بربه لم يكن راجعاً إلى قلبه . وكيف يدخل المعنىّ قلب من لا قلب له . وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه عز وجل .

وسئل أبو يزيد عن المعرفة ، فقال :
﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾[٢] .
قال الأستاذ : هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص .

وقال أبو يزيد : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ، لأنه محيت رسومه[٣] وفنيت هويته بهوية غيره[٤] ، وغيبت آثاره بآثار غيره .

وقال الواسطى : لا تصح المعرفة وفى العبد استغناء بالله وافتقار إليه .

قال الأستاذ : أراد الواسطى بهذا : أن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه ؛ لأنهما من صفاته ، والعارف محو فى معروفه[٥] ، فكيف يصح له ذلك ، وهو لاستهلاكه

---

(١) أى : حظ .
(٢) آية ٣٤ من سورة النمل .
(٣) آثاره .
(٤) أى وجوده فى وجود الله .
(٥) وهو الله .

فى وجوده ، أو لاستغراقه فى شهوده إن لم يبلغ الوجود مختطف[1] عن إحساسه بكل وصف هو له .

ولهذا قال الواسطى أيضاً : من عرف الله تعالى انقطع ، بل خرس وانقمع .

قال ﷺ :

« لا أحصى ثناء عليك » .

هذه صفات الذين بعد مرماهم ، فأما من نزلوا عن هذا الحد فقد تكلموا فى المعرفة وأكثروا .

أخبرنا محمد بن الحسين قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازى قال : حدثنا عياش بن حمزة قال : سمعت أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكى يقول : من كان بالله أعرف كان له أخوف .

وقال بعضهم : من عرف الله تعالى تبرّم بالبقاء ، وضاقت عليه الدنيا بسعتها .

وقيل : من عرف الله صفا له العيش ، وطابت له الحياة ، وهابه كلُّ شىء ، وذهب عنه خوفُ المخلوقين ، وأنس بالله تعالى .

وقيل : من عرف الله ذهب عنه رغبة الأشياء ، وكان بلا فصل ولا وصل .

وقيل : المعرفة توجب الحياء والتعظيم ، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم .

وقال رويم : المعرفة للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه .

وقال ذو النون المصرى : ركضت أرواح الأنبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا ، ﷺ ، أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال .

وقال ذو النون المصرى : معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك ، تخلقًا بأخلاق الله .

وسئل بن يزدانيار : متى يشهد العارفُ الحقَّ سبحانه ؟ فقال : إذا بدا الشاهد وفنى الشواهد[2] وذهب الحواس واضمحل الإخلاص .

وقال الحسين بن منصور : إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى[3] الله إليه بخواطره ، وحرس سرَّه أن يسنح فيه غير خاطر الحق .

---

(١) مغيب .

(٢) الإدراكات .

(٣) ألهم .

وقال : علامة العارف أن يكون فارغًا من الدنيا والآخرة .

وقال سهل بن عبد الله : المعرفة غايتها شيئان : الدهش ، والحيرة ..

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول : أعرف الناس بالله تعالى أشدهم تحيرًا فيه .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عمر الأنطاكى يقول : قال رجل للجنيد : مِنْ أهل المعرفة أقوام يقولون إن ترك الحركات[1] من باب البرّ والتقوى !!.

فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيم ، والذى يسرق ويزنى أحسن حالاً من الذى يقول هذا ، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإلى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة .

وقيل لأبى يزيد : بماذا وجدت[2] هذه المعرفة ؟ .

فقال : ببطن جائع وبدن عار .

وقال أبو يعقوب النهر جورى : قلت لأبى يعقوب السوسى هل يتأسف العارف على شىء غير الله عز وجل ؟ فقال : وهل يرى غيره فيتأسف عليه ؟!

قلت : فبأى عين ينظر إلى الأشياء ؟ فقال : بعين الفناء والزوال .

وقال أبو يزيد : العارف طيار[3] ، والزاهد سيار .

وقيل : العارف تبكى عينه ويضحك قلبه .

وقال الجنيد : لا يكون العارف عارفًا حتى يكون كالأرض يطؤه[4] البرُّ والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شىء ، وكالمطر ، يسقى ما يحب ، وما لا يحب .

وقال يحيى بن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره من شيئين : بكاؤه على نفسه ، وثناؤه على ربه ، عز وجل .

وقال أبو يزيد : إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ماله .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا الحسين الفارسى يقول : سمعت

---

(١) أى الأعمال ؛ كالصلاة والصوم .
(٢) نلت .
(٣) سريع الرجوع إلى الله .
(٤) وفى نسخة يطؤها .

يوسف بن على يقول : لا يكون العارف عارفا حقا حتى لو أعطى مثل ملك سليمان عليه السلام لم يشغله عن الله طرفة عين .

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت ابن عطاء يقول : المعرفة على ثلاثة أركان : الهيبة ، والحياء ، والأنس .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : قيل لذى النون المصرى : بم عرفت ربك ؟ قال : عرفت ربى بربى ، ولولا ربى لما عرفت ربى .

وقيل : العالم يقتدى به ، والعارف يهتدى به .

وقال الشبلى : العارف لا يكون لغيره لاحظًا ، ولا بكلام غيره لافظًا ، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظًا .

وقيل : العارف أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه ، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه ، وذلّ لله تعالى فأعزّه فى خلقه .

وقال أبو الطيب السامرِّى : المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار .

وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول .

وقال أبو سليمان الدارانى : إن الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلى .

وقال الجنيد : العارف من نطق الحقُّ عن سره وهو ساكت .

وقال ذو النون : لكل شيء عقوبة ، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الوجيهى يقول : سمعت أبا على الرُّوذبارى يقول : سمعت رويمًا يقول : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

وقال أبو بكر الوراق : سكوت العارف أنفع ، وكلامه أشهى وأطيب .

وقال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين .

وسئل الجنيد عن العارف ، فقال : لون الماء لون إنائه (يعنى أنه بحكم وقته) .

وسئل أبو يزيد عن العارف ، فقال : لا يرى فى نومه غير الله ، ولا فى يقظته غير الله ، ولا يوافق غير الله ، ولا يطالع غير الله تعالى .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقى يقول : سئل بعض المشايخ : بِمَ عرفت الله تعالى ؟ .

فقال : بلعام لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود ، ولفظة جرت على لسان هالك مفقود (يشير[١] إلى وجد ظاهر ويخبر عن سرّ ساتر هو هو بما أظهَرهُ ، وغيره بما أشكله[٢]) ثم أنشد :

نطقتُ بلا نطق هو النطق إنه
لك النطق لفظًا أو يَبين[٣] عن النطق
تراءيت كى أخفى[٤] وقد كنتَ خافيًا[٥]
وألمعتَ[٦] لى برقًا فأنطقت بالبرق

وسمعته يقول : سمعت على بن بندار الصيرفى يقول : سمعت الجريرى يقول : سئل أبو تراب عن صفة العارف ، فقال : الذى لا يكدرُه شىء ، ويصفو به كلُّ شىء .

وسمعته يقول : سمعت أبا عثمان المغربى يقول : العارف تضىء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : العارف مستهلك[٧] فى بحار التحقيق ، كما قال قائلهم : المعرفة أمواج تغطُّ ، ترفع وتحط .

وسئل يحيى بن معاذ عن العارف ، فقال : رجل كائن بائن[٨] ، ومرة قال : كان فبان[٩] .

وقال ذو النون : علامة العارف ثلاثة : لا يطفئ نور معرفته نورَ ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهرًا من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل ، عليه على هتك أستار محارم الله .

وقيل : ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة ، فكيف عند أبناء الدنيا ؟!.

وقال أبو سعيد الخراز : المعرفة تأتى من عين الجود وبذل المجهود .

---

(١) أى هذا القائل .
(٢) أشكل أى ستره .
(٣) يظهر .
(٤) عن غيرك .
(٥) عنى .
(٦) أظهرت .
(٧) غارق .
(٨) أى كائن مع الخلق ببدنه بعيد عنهم بقلبه .
(٩) أى وعبر مرة أخرى عن العارف بقوله : كان أى مع الخلق فبان أى ففارقهم .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت جعفرًا يقول : سئل الجنيد عن قول ذى النون المصرى فى صفة العارف .

« كان هاهنا فذهب » فقال الجنيد : العارف : لا يحصره حال عن حال[1] ، ولا يحجبه منزل عن التنقل فى المنازل ، فهو مع أهل كل مكان بمثل الذى هو فيه يجد مثل الذى يجدون ، وينطق فيها بمعالمها[2] لينتفعوا بها .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله الرازى يقول : سمعت محمد بن الفضل يقول : المعرفة حياة القلب مع الله تعالى .

وسمعته يقول : سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول : سمعت الكتانى يقول : سئل أبو سعيد الخراز : هل يصير العارف إلى حال يجفو[3] عليه البكاء ؟

فقال : نعم ، إنما البكاء فى أوقات سيرهم إلى الله تعالى ، فإذا نزلوا إلى حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك .

---

(١) أى لا يتقيد بحال معين .
(٢) بأماراتها .
(٣) يجفو أى يبعد .

باب المحبة

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِى الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[1] .

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال : حدثنا السلمى قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ .

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب[2] الله لقاءه » .

أخبرنا أبو الحسين على بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصرى قال : حدثنا عبد الله بن أيوب قال : حدثنا الحسن بن موسى قال : حدثنا الهيثم بن خارجة قال : حدثنا الحسن بن يحيى عن صدقة الدمشقى ، عن هشام الكتانى ، عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ ، عن جبريل عليه السلام ، عن ربه سبحانه وتعالى قال :

« من أهان لى وليًا فقد بارزنى بالمحاربة ، وما ترددت فى شىء كترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ، ولابدّ له منه ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ من أداء ما أفترضت عليه ، ولايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، ومن أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا »[3] .

أخبرنا علىّ بن أحمد بن عبدان قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا عبيد بن شريك قال : أخبرنا يحيى ، قال : حدثنا مالك ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

---

(١) آية ٥٤ من سورة المائدة .

(٢) وفى رواية ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والحديث أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم فى صحيحيهما والترمذى والنسائى عن عائشة وعن عبادة وقال الترمذى حديث صحيح .

(٣) وقد روى الحديث برواية أخرى فى صحيح البخارى (باب التواضع) « من عادى لى وليًا فقد أذنته بالحرب ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن استنصرنى لأنصرنه ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه . وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه » .

إذا أحبّ الله عز وجل ، العبد قال لجبريل : ياجبريل ، إنى أحب فلانا فأحبّه ؛ فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى أهل السماء إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يضع له القبول فى الأرض[1] ، وإذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال فى البغض مثل ذلك » .

والمحبة : حالة شريفة . شهد الحقُّ ، سبحانه ، بها للعبد ، وأخبر عن محبته للعبد ، فالحق : سبحانه ، يوصف بأنه يحب العبدَ ، والعبدُ يوصف بأنه يحب الحق سبحانه .

والمحبة : على لسان العلماء : هى الإرادة ، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة ؛ فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم ، اللهمّ إلا أن تحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له .

ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفا إن شاء الله تعالى ، فمحبة الحقُّ سبحانه ، للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه ، كما أن رحمته له إرادة الإنعام ، فالرحمة أخصّ من الإرادة والمحبة أخصّ من الرحمة ، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى « رحمة » وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى « محبة » .

وإرادته ، سبحانه صفة واحدة ، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها ، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى « غضبا » ، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى « رحمة » وإذا تعلقت بخصوصها تسمى « محبة » .

وقوم قالوا : محبة الله ، سبحانه ، للعبد ، مدحه له ، وثناؤه عليه بالجميل ، فيعود معنى محبته له ، على هذا القول ، إلى كلامه ، وكلامه قديم .

وقال قوم : محبته للعبد : من صفات فعله ، فهو إحسان مخصوص يلقى الله العبد به ، وحالة مخصوصة برقيه إليها ، كما قال بعضهم : إن رحمته بالعبد نعمة معه ، وقوم من السلف قالوا : محبته من الصفات الخبرية ، فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير .

فأما ماعدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق ؛ كالميل إلى الشىء ، والاستئناس بالشىء ، وكحالة يجدها المحب مع محبوبة من المخلوقين ، فالقديم ، سبحانه . يتعالى عن ذلك .

وأما محبة العبد لله : فحالة يجدها من قلبه . تلطف عن العبارة[2] .

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، والإمام مسلم فى صحيحه أيضًا عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) أى يدق التعبير عنها .

وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له ، وإيثار رضاه ، وقلة الصبر عنه . والاهتياج إليه ، وعدم القرار من دونه ، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه ، وليست محبة العبد له . سبحانه . متضمنة مَيْلاً ، ولا اختطاطاً ، كيف . وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك[1] والإحاطة ، والمحب ، بوصف الاستهلاك[2] فى المحبوب ، أولى منه بأن يوصف بالاختطاط[3] ، ولا توصف المحبة بوصف ولا تحدّ بحدّ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة والاستقصاء[4] فى المقال عند حصول الإشكال [5] ؛ فإذا زاد الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق فى شرح الكلام .

وعبارات الناس عن المحبة كثيرة ، وتكلموا فى أصلها فى اللغة ، فبعضهم قال : الحبّ اسم لصفاء المودّة ؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها : « حبب الأسنان » .

وقيل : الحباب : ما يعلو الماء عند المطر الشديد ، فعلى هذا « المحبة » : غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب .

وقيل : إنه مشتق من حباب الماء (بفتح الحاء) وهو : معظمه ، فسمى بذلك ؛ لأن المحبة غاية معظم ما فى القلب من المهمات .

وقيل : اشتقاقه من اللزوم والثبات ، يقال : أحب البعير . وهو : أن يبرك فلا يقوم ، فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه .

وقيل : الحب مأخوذ من الحب . وهو « القرط » قال الشاعر :

تبينت الحيَّة النضناض[6] منه ... مكان الحب[7] تستمع السرارا[8]

وسمى القرط « حبا » ؛ إما للزومه للأذن ، أو لِقلقه . وكلا المعنيين صحيح فى الحب .

وقيل : هو مأخوذ من « الحبِّ » (جمعَ حبَّة) وحبة القلب : ما به قوامه ، فسمى الحبّ حبا باسم محله .

---

(١) أى الإدراك .

(٢) أى الاستغراق .

(٣) أى فى خطة تحيط به وبمحبته .

(٤) أى الاستغراق .

(٥) أى الاستعجام والاستبهام .

(٦) النضنضة : تحريك الحية لسانها .

(٧) القرط .

(٨) أى تسمع ما يسره ذلك الشخص من الغدر بها .

وقيل : الحَبّ ، والحُبّ كالعَمر والعُمر .

وقيل : هو مأخوذ من الحِبَّة (بكسر الحاء) وهو بذور الصحراء : فسمى الحب حبا ، لأنه لباب الحياة ، كما أن الحب لباب النبات .

وقيل : الحب : هى الخشبات الأربع التى توضع عليها الجرّة ، فسميت المحبة حبًا لأنه يتحمل عن محبوبه كل عزّ وذلّ .

وقيل : هو من الحب[1] الذى فيه الماء ، لأنه يمسك ما فيه ، فلا يسع فيه غير ما امتلأ به ، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبة .

وأما أقاويل الشيوخ فيه ، فقال بعضهم : المحبة : الميل الدائم بالقلب الهائم .

وقيل : المحبة : إيثار المحبوب على جميع المصحوب .

وقيل : موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب .

وقيل : محو المحب لِصفاته ، وإثباتُ المحبوب بذاته .

وقيل : مواطأة القلب لمرادات الرب .

وقيل : خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة .

وقال أبو يزيد البسطامى : المحبة : استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار قليل من حبيبك .

وقال سهل : الحبُّ : معانقة الطاعة ومباينة المخالفة .

وسئل الجنيد عن المحبة ، فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب .

أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب ، حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب ، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها .

وقال أبو على الروذبارى : المحبّة : الموافقة .

قال أبو عبد الله القرشى : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يبقى لك منك شىء .

وقال الشبلى : سميت المحبة محبة ؛ لأنها تمحو من القلب ماسوى المحبوب .

وقال ابن عطاء : المحبة : إقامة العتاب على الدوام .

---

(١) أى الوعاء .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله يقول : المحبة : لذة ، ومواضع الحقيقة دَهَش .

وسمعته يقول : العشق : مجاوزة الحدّ فى المحبة ، والحقُّ ، سبحانه ، لا يوصف بأنه يجاوز الحدّ ، فلا يوصف بالعشق ، ولو جمع محابّ الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق سبحانه ، فلا يقال : إن عبدا جاوز الحد فى محبة الله . فلا يوصف الحق . سبحانه بأنه يعشق ، ولا العبد فى صفته سبحانه بأنه يعشق ، فنفى العشق ، ولا سبيل له إلى وصف الحق ، سبحانه ، لا من الحق للعبد ، ولا من العبد للحق ، سبحانه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشبلى يقول : المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك .

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسين الفارسى يقول : سمعت ابن عطاء يقول ، وقد سئل عن المحبة . فقال : أغضان تغرس فى القلب فتثمر على قدر العقول .

وسمعته يقول : سمعت النصر اباذى يقول : محبة توجب حقنَ الدماء ، ومحبةٌ توجب سفك الدماء .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن على العلوى يقول : سمعت جعفرًا يقول : سمعت سمنونًا يقول : ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة ، لأن النبى ﷺ قال : « المرء مع من أحب[1] » ، فهم مع الله تعالى :

وقال يحيى بن معاذ : حقيقة المحبة مالا ينقص بالجفاء ، ولا يزيد بالبر ، وقال : ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده .

وقال الجنيد : إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب ، وفى معناه أنشد الأستاذ أبو عليّ :

إذا صفت المودّة بين قوم ودام ودادهم سمج الثناء

وكان يقول : لا ترى أبًا شفيقاً يبجل ابنه فى الخطاب والناس يتكلفون فى مخاطبته والأب يقول : يافلان .

وقال الكتانى : المحبة : الإيثار للمحبوب .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا سعيد الأرجانى يقول : سمعت بندار بن الحسين

---

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذى عن أنس رضى الله عنه وتمامه (.... وله ما اكتسب) .

يقول : رؤى مجنون بنى عامر فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى ، وجعلنى حجة على المحبين .

وقال أبو يعقوب السوسى : حقيقة المحبة : أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه .

وقال الحسين بن منصور : حقيقة المحبة : قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : قيل للنصر اباذى : ليس لك من المحبة شىء ؟ فقال : صدقوا ، ولكن لى حسراتهم ، فهو ذا أحترق فيه .

وسمعته يقول : قال النصر اباذى : المحبة : مجانبة السُّلو على كلِّ حال . ثم أنشد :

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوةً ... فإنى من ليلى لها[1] غير ذائق

وأكثر شىء نلته من وصالها ... أمانى لم تصدق كلمحة بارق

وقال محمد بن الفضل: المحبة : سقوط كلّ محبة من القلب إلا محبة الحبيب .

وقال الجنيد : المحبة : إفراط المَيْل بلا نيل .

ويقال : المحبة : تشويش فى القلوب يقع من المحبوب .

ويقال : المحبة : فتنة تقع فى الفؤاد من المراد .

وأنشد ابن عطاء :

غرست لأهل الحبِّ غصنا من الهوى ... ولم يك يدرى ما الهوى أحدٌ قبلى

فأورْق أغصاناً ، وأينع صبوة ... وأعقب لى مرًّا من الثمر المحلى[2]

وكل جميع العاشقين هواهم ... إذا نسبوه كان من ذلك الأصلى

وقيل : الحب أوله ختل[3] وآخره قتل[4] .

سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول فى معنى قوله ﷺ : « حبّك للشىء يُعمى ويُصم»[5] .

---

(١) أى السلوة .

(٢) اليابس .

(٣) ختل : مخادعة : والمقصود أن يعامل الله عبده بالرفق .

(٤) أى فناء ، فناء عن النفس وأهوائها .

(٥) أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى فى التاريخ وأبو داود فى السنن عن أبى الدرداء الخرائطى فى اعتلال القلوب عن أبى برزه بن عساكر عن عبد الله بن أنيس وقال السيوطى حديث حسن .

فقال يعمى عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة ، ثم أنشد :

إذا ما بدا لى تعاظمته فأصْدِر[1] فى حال من لم يرد

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أحمد بن على يقول : سمعت إبراهيم بن فاتك يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت الحارس المحاسبى يقول : المحبة ميلك إلى الشىء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحِك ومالك ، ثم موافقتُك له سرًّا وجهرًا ، ثم علمك بتقصيرك فى حبّه .

وسمعته يقول : سمعت أحمد بن على يقول : سمعت عباس بن عصام يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : لا تصلح[2] المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : ياأنا .

وقال الشبلى : المحب إذا سكت هلك ، والعارف إن لم يسكت هلك .

وقيل : المحبة : نار فى القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب .

وقيل : المحبة : بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء .

وقال النورى : المحبة : هتك الأستار وكشف الأسرار .

وقال أبو يعقوب السوسى : لا تصحّ المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة .

وقال جعفر : قال الجنيد : دفع السرىّ إلى رقعة ، وقال : هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو[3] ، فإذا فيها :

ولما ادَّعيتُ الحبَّ قالت : كذبتنى
فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا[4]
فما الحبّ حتى يلصق القلب بالحشا
وتذبل حتى لا تجيب المناديا
وتنحل[5] حتى لا يبقى لك الهوى
سوَى مقلة تبكى بها وتناجيا

---

(١) أصدر : أرجع .
(٢) وفى نسخة « تصح » .
(٣) أى حديث من أحاديث الصالحين العالية الرفيعة .
(٤) كواسيا : أى مكسوات باللحم .
(٥) تهزل وتضمحل .

وقال ابن مسروق : رأيت سمنونا يتكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها .

سمعت محمد بن الحسن يقول : سمعت أحمد بن على يقول : سمعت إبراهيم بن فاتك يقول : سمعت سمنونا ، وهو جالس فى المسجد يتكلم فى المحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه ، ثم قرب .. فلم يزل يدنو حتى جلس على يده .. ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ، ثم مات .

وقال الجنيد : كلّ محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة .

وقيل : حبس الشبلّى فى « المارستان » ، فدخل عليه جماعة ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : إنا محبوك يا أبا بكر ، فأقبل يرميهم بالحجارة ، ففروا ، فقال : إن ادعيتم محبتى فاصبروا على بلائى .

وأنشد الشبلى :

أيها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفونى أنت بما مر بى عليم

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت النهر جورى يقول : سمعت على بن عبيد يقول : كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته . فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ، ولسانه خارج ويقول : هل من مزيد .

وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت إلفى وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظنى ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقًا فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحبّ كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

وقيل : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إنى إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حبّ الدنيا والآخرة ملأته من حبى .

ورأيت بخط الأستاذ أبى على الدّقاق ، رحمه الله : فى بعض الكتب المنزلة « عبدى ، أنا وحقك لك محب ، فبحقى كن لى محبا » .

وقال عبد الله بن المبارك : من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع .

وقيل : المحبة : ما يمحو أثرك .

وقيل : المحبة : سُكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه .

ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف ، وأنشدوا :

فأسكر القومَ دَوْرُ كأس   وكان سكرى من المدبر

وكان الأستاذ أبو على الدقاق ينشد كثيرًا :

لى سكرتان ، وللندمان واحدة   شىءٌ خصصت به من بينهم وحدى

وقال ابن عطاء : المحبة : إقامة العتاب على الدوام .

وكان للأستاذ أبى على جارية تسمى « فيروز » وكان يحبها ؛ إذ كانت قد خدمته كثيرًا ، فسمعته يقول : كانت فيروز تؤذينى يوما ، وتستطيل علىَّ بلسانها ، فقال لها أبو الحسن القارئ ، لم تؤذين هذا الشيخ ؟ فقالت : لأنى أحبه .

وقال يحيى بن معاذ : مثقالُ خردلة من الحب أحبّ إلىّ من عبادة سبعين سنة بلا حب .

وقيل : إن شابًا أشرف على الناس فى يوم عيد وقال :

من مات عشقًا فليمت هكذا   لا خير فى عشق بلا موت

وألقى نفسه من سطح عال فوقع ميتًا .

وحكى أن بعض أهل الهند عشق جارية ، فرحلت الجارية ، فخرج الرجل فى وداعها ، فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى ، فغمض التى لم تدمع أربعًا وثمانين سنة . ولم يفتحها ، عقوبة لها ، لأنها لم تبك على فراق حبيبته ، وفى معناه أنشدوا :

بكت عينى غداة البين دمعًا   وأخرى بالبكا بخلت علينا

فعاقبت التى بخلت بدمع   بأن غمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم : كنا عند ذى النون المصرى ، فتذاكرنا المحبة ، فقال ذو النون : كفوا عن هذه المسألة ، لا تسمعها النفوس فتدعيها ، ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسىء   إذا تألـه والحزن

والحبُّ يجمل بالتقى   وبالنقى من الدرَنَ[1]

---

(١) الدرن : الوسخ .

وقال يحيى بن معاذ : من نشر المحبة عند غير أهلها فهو فى دعواه دعىّ .

وقيل : ادَّعى رجل الاستهلاك فى محبة شخص ، فقال له الشاب : كيف هذا ، وأخى أحسن منى وجهًا وأتم جمالا ؟ فرفع الرجل رأسه يلتفت ، وكانا على سطح فألقاه من السطح وقال : هذا أجر من يدعى هوانا وينظر إلى سوانا .

وكان سمنون يقدّم المحبة على المعرفة ، والأكثرون يقدّمون المعرفة على المحبة .

وعند المحققين : المحبة : استهلاك فى لذّة ، والمعرفة : شهودٌ فى حيْرة ، وفناءٌ فى هيبة .

وقال أبو بكر الكتانى : جرت مسألة فى المحبة ، بمكة ، أيام الموسم ، فتكلم الشيوخ فيها ، وكان الجنيد أصغرهم سنا ، فقالوا له : هات ما عندك ياعراقىّ ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ، ثم قال : عبدٌ ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوارُ هويته ، وصفا شربه من كأس ودّه ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ، جبرك الله ياتاج العارفين .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود ، إنى حرَّمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى فيها .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم قال : حدثنا هميم ابن همام قال : أخبرنا إبراهيم بن الحارث قال : حدثنى عبد الرحمن بن عفان قال : حدثنى محمد بن أيوب قال : حدثنى أبو العباس خادم الفضيل بن عياض قال : احتبس بول الفضيل ، فرفع يديه وقال : اللهم بحبى لك إلا أطلقته عنى ، فما برحنا حتى شفى .

وقيل المحبة : الإيثار كامرأة العزيز لما تناهت فى أمرها قالت : ﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ[١] ﴾ .

وفى الابتداء قالت : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] فوركت[٣] الذنب فى الابتداء عليه ، وفى الانتهاء نادت على نفسها بالخيانة .

سمعت الأستاذ أبا على يقول ذلك .

---

(١) آية ٥١ من سورة يوسف .

(٢) آية ٢٥ من سورة يوسف .

(٣) أى نسبت .

وحكى عن أبى سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقلت : يارسول الله اعذرنى ، فإن محبة الله شغلتنى عن محبتك .. فقال : يا مبارك ، من أحبَّ الله تعالى فقد أحبنى[1] .

وقيل : قالت رابعة فى مناجاتها : إلهى ، أتحرق بالنار قلبًا يحبك ؟.

فهتف بها هاتف : ما كنا نفعل هكذا ، فلا تظنى بنا ظنّ السوء !! .

وقيل : الحب . حرفان : حاء وباء ، والإشارة فيه : أن من أحب فليخرج عن روحه وبدنه[2] .

وكالإجماع من إطلاقات القوم : أن المحبة : هى الموافقة ، وأشد الموافقات : الموافقة بالقلب ، والمحبة توجب انتفاء المباينة ، فإن المحب أبدًا مع محبوبه ، وبذلك ورد الخبر :

« حدَّثنا الإمام أبو بكر بن فورك ، رحمه الله تعالى ، قال : أخبرنا القاضى أحمد بن محمود ابن حرزاد قال : حدثنا الحسين بن حماد بن فضالة قال : حدثنا يحيى بن حبيب قال : حدثنا مرحوم بن عبد العزيز ، عن سفيان الثورى ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن أبى موسى الأشعرى : أن النبى ﷺ قيل له :

إن الرجل ليحب القوم ولما يلحق بهم ؟ فقال : المرء مع من أحب »[3] .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا عثمان الحيرى يقول ، سمعت أبا حفص يقول : أكثر فساد الأحوال من ثلاثة ، فسق العارفين ، وخيانة المحبين ، وكذب المريدين .

قال أبو عثمان : فسق العارفين : إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها .

وخيانة المحبين : اختيار هواهم على رضا الله عز وجل فيما يستقبلهم .

وكذب المريدين : أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عزّ وجلّ .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازىّ يقول : سمعت أبا القاسم الجوهرى يقول : سمعت أبا على ممشاد بن سعيد العكبرى يقول :

---

(١) ويؤيده قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ الآية .

(٢) فالحاء من الروح ، والباء من البدن .

(٣) سبق تخريجه فى هذا الباب فانظره .

راود خطاف[1] خطابة فى قبة سليمان ، عليه السلام ، فامتنعت عليه ، فقال لها :
لِمَ تمتنعين علىّ وإن شئت قلبت القبة على سليمان !! .
فدعاه سليمان ، عليه السلام ، وقال له : ما حملك على ما قلت ؟ .
فقال : يانبى الله ، إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم !.
فقال : صدقت .

---

(١) طائر .

باب الشوق

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ ﴾[1] .

أخبرنا علىّ بن أحمد بن عبدان الأهوازى ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال : أخبرنا ابن أبى قماش قال : أخبرنا إسماعيل بن زرارة ، عن حماد بن يزيد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبيه ، قال : صلى بنا عمار بن ياسر صلاة ، فأوجز[2] فيها ، فقلت : خففت أبا اليقظان !! فقال : وما علىّ من ذلك ، ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله ﷺ فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات ، فقال :

اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرًا لى ، وتوفنى ما علمت الوفاة خيرًا لى .

اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة[3] ، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب ، وأسألك القصد[4] فى الغنى والفقر ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وقرّة عين[5] لا تنقطع . وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرَد العيش بعد الموت ، وأسألك النظر إلى وجهك الكريم ، وشوقًا إلى لقائك فى غير ضرّاء مضرة ولا فتنة مُضلة .

اللهم زينا بزينة الإيمان .. اللهم اجعلنا هداة مهتدين »[6] .

قال الأستاذ الشوق : اهتياج[7] القلوب إلى لقاء المحبوب ، وعلى قدر المحبة يكون الشوق .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يفرق بين الشوق والاشتياق ، ويقول : الشوق يسكن باللقاء والرؤية ، والاشتياق لا يزول باللقاء . وفى معناه أنشدوا :

---

(١) آية ٥ من سورة العنكبوت .
(٢) أى : خفف .
(٣) أى الحضور .
(٤) أى التوسط .
(٥) أى سرورًا .
(٦) حديث صحيح أخرجه النسائى فى سننه والحاكم عن ابن عمرو انظر فيض القدير .
(٧) وفى نسخة « ارتياح » .

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرفُ مشتاقا

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت النصر اباذى يقول : للخلق كلهم مقامُ الشوق ، وليس لهم مقام الاشتياق . ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يُرى له أثر ولا قرار .

وقيل : جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن منازل فقال : رأيت فى المنام أنك تموت إلى سنة ، فلو استعددت للخروج ؟ فقال له عبد الله بن منازل : لقد أجلتنا إلى أمد بعيد أأعيش أنا إلى سنة !! لقد كان لى أنس بهذا البيت الذى سمعته من هذا الثقفى « يعنى أبا على » .

يا من شكا شوقه من طول فرقته اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال أبو عثمان : علامة الشوق : حب الموت مع الراحة .

وقال يحيى بن معاذ : علامة الشوق : فطام الجوارح عن الشهوات .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : خرج داود عليه السلام يومًا إلى بعض الصحارى منفردًا ، فأوحى الله تعالى إليه : مالى أراك ياداود وحدانيا ؟ فقال يا إلهى ، استأثر الشوق إلى لقائك على قلبى فحال بينى وبين صحبة الخلق . فأوحى الله تعالى إليه . ارجع إليهم ، فإنك إن أتيتنى بعبد آبق أثبتُك فى اللوح المحفوظ جهبذاً[1] .

وقيل : كانت عجوز قدمَ بعض أقاربها من السفر فأظهر قومُها السرور ، والعجوز تبكى ، فقيل لها : ما يبكيك ؟ فقالت : ذكَّرنى قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى .

وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال : احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد .

وسئل أيضا عن الشوق ، فقيل له : الشوق أعلى أم المحبة ؟ فقال : المحبة لأن الشوق منها يتولد .

وقال بعضهم : الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشى ، يسنح[2] عن الفرقة ، فإذا وقع اللقاء طفئ ، وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق .

وقيل لبعضهم : هل تشتاق ؟[3] فقال : لا ، إنما الشوق إلى غائب ، وهو حاضر ..

---

(١) أى نقادًا عالمًا .
(٢) أى يظهر .
(٣) أى إلى الله .

سمعت الأستاذ أبى على الدقاق يقول فى قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[1] قال : معناه : شوقًا إليك ، فستره[2] بلفظ « الرضا » .

وسمعته رحمه الله تعالى يقول : من علامات الشوق : تمنى الموت على بساط العوافى[3] ، كيوسف عليه السلام لمّا ألقى فى الجبّ لم يقل « توفنى » ، ولما أدخل السجن لم يقل « توفنى » ؛ ولما دخل عليه أبواه وخرّ له الإخوةُ سجَّدًا وتمّ له الملك والنعم قال ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا ﴾[4] . وفى معناه أنشدوا :

نحن فى أكمل السرور ولكن ليس ألا بكم يتمّ السرور
عيبُ ما نحن فيه يا أهل ودّى أنكم غُيَّبٌ ، ونحن حضور

وفى معناه أنشدوا :

من سرَّه العيد الجديد فقد عدمت به[5] السرورا
كان السرور يتمُّ لى لو كان أحبابى حضورا

وقال ابن خفيف : الشوق : ارتياح القلوب بالوجد ، ومحبة اللقاء بالقرب .

وقال أبو يزيد[6] : إن لله عبادا لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : أخبرنا أبو العباس الهاشمى بـ « البيضاء » قال : حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعى قال : حدثنا عبد الله الانصارى قال : سمعت الحسين الأنصارى يقول : رأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحق ، سبحانه : ياملائكتى ، من هذا ؟ فقالوا : الله أعلم . فقال . هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى .

وفى بعض الحكايات فى مثل هذا المنام أنه قيل : هذا معروف الكرخى خرج من الدنيا مشتاقا إلى الله ، فأباح الله عزّ وجلّ له النظر إليه .

وقال فارس : قلوب المشتاقين منوّرة بنور الله تعالى ، فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض ، فيعرضهم الله على الملائكة فيقول : هؤلاء المشتاقون إلىّ .. أشهدكم أنى إليهم أشوَق ..

---

(١) آية ٨٤ من سورة طه .
(٢) أى إلى الشوق .
(٣) العوافى : جمع عافية .
(٤) من آية ١٠١ سورة يوسف .
(٥) أى فيه .
(٦) البسطامى .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى قوله ﷺ :« أسألك الشوق إلى لقائك » قال : كان الشوق مائة جزء ، تسعة وتسعون له ، وجزء متفرق فى الناس ، فأراد أن يكون ذلك الجزء له أيضًا ، فغار أن يكون شظية[١] من الشوق لغيره .

وقيل : شوق أهل القرب أتمّ من شوق المحجوبين ؛ ولهذا قيل :

وأبرح ما يكون الشوق يومًا   إذا دنتِ الخيامُ من الخيام

وقيل : إن المشتاقين يتحسون[٢] حلاوة الموت عند وروده ؛ لما قد كشف لهم من رَوح[٣] وصول أحلى من الشهد .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت جعفرًا يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرّى يقول : الشوق أجلّ مقام للعارف إذا تحقق[٤] فيه ، وإذا تحقق فى الشوق لها عن كل شىء يشغله عمن يشتاق إليه .

وقال أبو عثمان الحيرى فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ ﴾[٥] : هذا تعزية للمشتاقين[٦] ، معناه : أنى أعلم أن اشتياقكم إلىّ غالب ، وأنا أجّلت للقائكم أجلا ، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه .

وقيل : أوحى الله تعالى لداود عليه السلام : قل لشبان بنى إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيرى وأنا مشتاق إليكم ، ما هذا الجفاء !!

وقيل : أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام : لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقًا إلىّ ، وانقطعت أوصالهم من محبتى ، يا داود هذه إرادتى للمدبرين عنى ، فكيف إرادتى للمقبلين إلىّ ؟!

وقيل : مكتوب فى التوراة : شوّقناكم فلم تشتاقوا ، وخوّفناكم فلم تخافوا ، ونحْنَا لكم فلم تنوحوا .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : بكى شعيب حتى عمى ، فرد الله عز وجل بصره عليه ، ثم بكى حتى عمى ، فرد الله عز وجل بصره عليه ، ثم بكى حتى عمى ، فأوحى الله

---

(١) الشظية . القطعة والفلقة .
(٢) التحسى : الشرب .
(٣) أى راحة .
(٤) أى تمكن .
(٥) من آية ٥ سورة العنكبوت .
(٦) وفى نسخة « تعريض » : أى قصد به تعليلهم وراحتهم .

تعالى إليه : إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك ، وإن كان لأجل النار فقد أجرْتك منها ، فقال : لا ، بل شوقًا إليك ، فأوحى الله إليه : لأجل ذلك أخدمتك نبى وكليمى[1] عشر سنين .

وقيل : من اشتاق إلى الله اشتاق الله إليه كل شىء[2] .

وفى الخبر : « اشتاقت الجنة إلى ثلاثة : على ، وعمار ، وسلمان » .

سمعت الأستاذ أبا على يقول : قال بعض المشايخ : أنا أدخل السوق والأشياء تشتاق إلىّ ، وأنا عن جميعها حُر .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله بن جعفر يقول : سمعت محمد بن عمر الرملى يقول : حدثنا محمد بن جعفر الإمام قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : حدثنا مرحوم قال : سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت فى التوراة : شوقناكم فلم تشتاقوا ، وزمَّرنا لكم فلم ترقصوا .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت محمد بن فرحان يقول : سمعت الجنيد ، وقد سئل من أى شىء يكون بكاء المحبّ إذا لقى المحبوب ؟

فقال : إنما يكون ذلك سرورًا به ، ووجدًا من شدة الشوق إليه ، ولقد بلغنى أن أخوين تعانقا ، فقال أحدهما : وا شوقاه ، وقال الآخر : وا وجداه .!!

---

(١) أى موسى عليه السلام .

(٢) يؤيده الحديث السابق الذى أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة : (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ... » .

باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم

قال الله تعالى فى قصة موسى مع الخضر ، عليهما السلام : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[١] .

قال الإمام : لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب ، فاستأذن أوّلا فى الصُّحبة ، ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شىء ولا يعترض عليه فى حكم ، ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه المرة الأولى والثانية ، فلما صار إلى الثالثة ، والثلاثُ آخر حدّ القلة وأوّل حدّ الكثرة ، سامه الفرقة[٢] ؛ فقال :﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾[٣] .

أخبرنا أبو الحسين الإهوازى قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال : حدثنا أبو سالم القزاز قال : حدثنا يزيد بن بيان قال : حدثنا أبو الرجال ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما أكرم شاب شيخًا لسنِّه إلا قيض الله تعالى له من يكرمه عند سنّه »[٤] .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : بدء كلّ فُرقة المخالفة . يعنى به : أنّ من خالف شيخه لم يبق على طريقته ، وانقطعت العُلْقَةُ بينهما وإن جمعتهما البقعة ؛ فمن صحب شيخًا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة ، على أن الشيوخ قالوا : عُقوق الأستاذين لا توبة عنها[٥] .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : خرجت إلى « مرو » فى حياة شيخى الأستاذ أبى سهل الصعلوكى ، وكان له قبل خروجى أيام الجمعة بالغدوات مجلس دَوْر[٦] القرآن والختم ، فوجدته عند رجوعى قد رفع ذلك المجلس ، وعقد لأبى الغفانى فى ذلك الوقت مجلس

---

(١) آية ٦٦ من سورة الكهف .
(٢) أى أراد الفرقة منه .
(٣) من آية ٧٨ سورة الكهف .
(٤) حديث صحيح أخرجه الترمذى عن أنس وقال حديث صحيح .
(٥) الأولى أن يقول : « عنه » .
(٦) وفى نسخة « درس » .

القول ، فداخلنى من ذلك شىءٌ ؛ فكنت أقول فى نفسى : قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول ، فقال لى يومًا : يا أبا عبد الرحمن ، ما يقول الناسُ فىّ ؟ فقلت : يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول !! فقال : من قال لأستاذه لِمَ ؟ لا يفلح أبدًا ، ومن المعروف أن الجنيد قال : دخلت على السرىّ يومًا ، فأمرنى شيئًا[1] ، فقضيت حاجته سريعًا ، فلما رجعت ناولنى رقعة وقال : هذا لمكان قضائك لحاجتى سريعًا ، فقرأت الرقعة ، فإذا فيها مكتوب « سمعت حاديًا يحدو فى البادية :

أبكى ، وهل يدريك ما يبكينى   أبكى حِذارًا أن تفارقينى
وتقطعى حبلى وتهجرينى[2]

ويحكى عن أبى الحسن الهمدانى العلوى قال : كنت ليلة عند جعفر الخلدى ، وكنت أمرت فى بيتى أن يُعَلَّق[3] طير فى التنور ، وكان قلبى معه ، فقال لى جعفر : أقم عندنا الليلة ، فتعللت بشىء ، ورجعت إلى منزلى ، فأخرج الطير من التنور ، ووضع بين يدى ، فدخل كلب من الباب ، وحمل الطير عند تغافل الحاضرين ، فأتى بـ « الجواذب »[4] الذى تحته ، فتعلق به ذيل الخادمة ، فانصب .. فلما أصبحتُ دخلت على جعفر ، فحين وقع بصره علىّ قال : من لم يحفظ قلوب المشايخ سُلِّط عليه كلب يؤذيه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت عبد الله بن على الطوسىّ يقول : سمعت أبا عبد اللهالدينورى يقول : سمعت الحسن الدامغانى يقول : سمعت عمى البسطامى يحكى عن أبيه : أن شقيقًا البلخىّ ، وأبا تراب النخشبى ، قدما على أبى يزيد ، فقُدِّمت السفرة ، وشاب يخدم أبا يزيد ، فقالا له : كل معنا يا فتى . فقال : أنا صائم . فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر . فأبى . فقال شقيق : كل ولك أجر صوم سنة . فأبى . فقال أبو يزيد : تدعُو من سقط من عين الله تعالى !! فأخذ ذلك الشاب فى السرقة بعد سنة ، فقطعت يده !!

سمعت الأستاذ أبا علىّ يقول : وصف سهل بن عبد الله رجلًا بالولاية (خبازًا

---

(١) وفى نسخة « بشىء » أى بقضاء حاجة له .

(٢) قال الإمام الأنصارى : فالسرى علم من حال الجنيد أنه نال من معرفة الله ومحبته حال رفيعة فدله على سبب حفظ الرقعة وأنه يبكى خوفًا من أن يبعده الله عنه .

(٣) يطهى .

(٤) قال الإمام العروسى : الجواذب : لعلها أشياء توضع فى إناء الطبخ تجذب ما فى اللحم من الدسم وتؤكل مع الطعام بعد نضجه .

بالبصرة) .. فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك ، فاشتاق إليه ؛ فخرج إلى البصرة ، فأتى حانوت الخبَّاز .. فرآه يخبز وقد تنقّب لمحاسنه[1] على عادة الخبازين ، فقال فى نفسه لو كان هذا وليًّا لم يحترق شعره بغير نقاب . ثم إنه سلم عليه وسأله شيئًا ، فقال الرجل : إنك استصغرتنى ، فلا تنتفع بكلامى ، وأبى أن يكلمه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمع عبد الرحمن الرازى أبا عثمان الحيرى يصف محمد بن الفضل البلخى ويمدحه ، فاشتاق إليه ، فخرج إلى زيارته ، فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقد ، فرجع إلى أبى عثمان وسأله ، فقال : كيف وجدته ؟ فقال : لم أجده كما ظننت !! فقال : لأنك استصغرته ، وما استصغر أحدٌ أحدًا إلا حُرم فائدته ، ارجع إليه بالحرمة[2] . فرجع إليه عبد الله ، فانتفع بزيارته .

ومن المشهور أن عمر بن عثمان المكىّ رأى الحسين بن منصور يكتب شيئًا ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أُعارض القرآن ، فدعا عليه وهجره ؛ قال الشيوخ إنّ ما حلّ به بعد طول المدّة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول : لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد ؛ دعا عليهم وقال : اللهم امنعهم الصدق . فلم يخرج من بلخ بعده صديق .

سمعت أحمد بن يحيى الأبيوردى يقول : من رضى عنه شيخه لا يكافأ فى حال حياته ؛ لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلبُ شيخه لا يكافأ فى حال حياة ذلك الشيخ ، لئلا يرقّ له ، فإنهم مجبولون على الكرم ، فإذا مات ذلك الشيخ ، فحينئذ يجد المكافأة بعده .

---

(١) أى وضع على وجهه وشعره نقابًا لحمايته من حرارة النار .
(٢) أى الاحترام .

باب السماع

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُون أَحْسَنَهُ ﴾[١] .

اللام[٢] فى قوله « القول » تقتضى التعميم والاستغراق ، والدليل عليه[٣] : أنه مدحهم باتباع الأحسن .

وقال تعالى : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[٤] ، جاء فى التفسير : أنه السماع .

واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلذة إذا لم يعتقد المستمع محظورًا ، ولم يسمع على مذموم فى الشرع ، ولم يتجر فى زمام هواه ، ولم ينخرط فى سلك لهوه ، مباحٌ فى الجملة .

ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدى رسول الله ﷺ ، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم فى إنشادها[٥] . فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان .

هذا ظاهر من الأمر . ثم ما يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات ، وتذكّر ما أعدّ الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ويحمله على التحرز من الزلات ، ويؤدى إلى قلبه فى الحال صفاء الواردات مستحبٌ فى الدين ومختار فى الشرع ، وقد جرى على لفظ رسول الله ﷺ ما هو قريب من الشعر ، وإن لم يقصد أن يكون شعرًا .

أخبرنا . أبو الحسن على بن أحمد الإهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال : حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال : حدثنا أبو النضر قال : حدثنا شعبة عن حميد قال : سمعت أنسًا يقول : كانت الأنصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدًا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

---

(١) آية ١٧ وآية ١٨ من سورة الزمر .

(٢) وفى نسخة : والألف واللام .

(٣) أى على التعميم والاستغراق .

(٤) آية ١٥ من سورة الروم .

(٥) أخرج ابن ماجة فى سننه عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشدت رسول الله ﷺ مائة قافية من شعر أمية بن أبى الصلت يقول بين كل ما فيه : (هيه) وقال كاد أن يسلم ، وعن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يقول : « إن من الشعر حكما » .

فأجابهم رسول الله ﷺ .

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فأكرم الأنصار والمهاجرة »[١] .

وليس هذا اللفظ منه ، ﷺ ، على وزن الشعر لكنه قريب منه .

وقد سمع السلف والأكابرُ الأبيات بالألحان ؛ فمن قال بإباحته من السلف : مالك بن أنس : وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء ، وأما « الحداء »[٢] فإجماع منهم على إجازته .

وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار فى ذلك ، وروى عن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع ، فقيل له : إذا أتى بك يوم القيامة ، ويؤتى بحسناتك وسيئاتك ، ففى أى الجانبين سماعك ؟ فقال : لا فى الحسنات ولا فى السيئات . يعنى أنه من المباحات .

وأما الشافعى ، رحمه الله ، فإنه لا يحرمه ، ويجعله فى العوام مكروهًا ، حتى لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهى تردّ به الشهادة ، ويجعله مما يسقط المروءة ولا يُلحقه بالمحرمات .

وليس كلامنا فى هذا النوع من السماع ؛ فإن هذه الطائفة جلت رتبتهم عن أن يستمعوا بلهو ، أو يقعدوا للسماع بسهو ، أو يكونوا بقلوبهم مفكرين فى مضمون لغو ، أو يستمعوا على صفة غير كفء .

وقد روى عن ابن عمر آثار فى إباحة السماع ، وكذلك عن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، وكذلك عن عمر رضى الله عنهم أجمعين ، فى الحداء وغيره .

وأنشد بين يدى النبى ﷺ الأشعار فلم ينه عنها ، وروى أنه ﷺ استنشد[٣] الأشعار .

ومن المشهور الظاهر أنه دخل بيت عائشة رضى الله عنها ، وفيه جاريتان تغنيان ، فلم ينههما .

أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى قال : أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال : حدثنا الحباب بن محمد التسترى قال : أخبرنا أبو الأشعث قال : حدثنا محمد بن بكر البرسانى قال : حدثنا شعبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : « أن أبا بكر الصديق ، رضى الله عنه ، دخل عليها وعندها قينتان[٤] تغنيان بما تقاذفت به

---

(١) حديث صحيح متفق عليه .

(٢) الحداء : بضم الحاء وكسرها : هو الغناء للإبل حتى تسرع فى السير .

(٣) استنشد : طلب أن تنشد وتقال .

(٤) جاريتان .

الأنصار يوم « بُعاث[1] ، فقال أبو بكر : مزمار الشيطان (مرتين) فقال النبى ﷺ : دعهما يا أبا بكر ؛ فإن لكل قوم عيدًا وعيدنا هذا اليوم »[2] .

أخبرنا : على بن أحمد الأهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال : حدثنا عثمان بن عمر الضبى قال : حدثنا أبو كامل ، قال : حدثنا أبو عوانه ، عن الأجلح ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، عن عائشة رضى عنها :

« أنها أنكحت ذات قرابتها من الأنصار . فجاء النبى ﷺ ، فقال : أهديتم الفتاة ؟ فقالت : نعم . قال : فأرسلت من يغنى ؟قالت : لا . فقال النبى ﷺ .

إن الأنصار فيهم غزل ، فلو أرسلتم من يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم »[3]

أخبرنا : الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رضى الله عنه ، قال : حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال : حدثنا الحسين بن الحارث الإهوازى قال : حدثنا سلمة بن سعيد ، عن صدقة بنت أبى عمران ، قالت : حدثنا علقمة بن مرثد ، عن زاذان ، عن البراء ابن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حسنوا القرآن بأصواتكم ؛ فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » دلّ هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن .

وأخبرنا على بن أحمد بن عبدان الإهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا عثمان ابن عمر الضبى قال : حدثنا أبو الربيع قال : حدثنا عبدالسلام بن هاشم قال : حدثنا عبد الله بن محرز ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ .

« لكل شىء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن »[4] .

أخبرنا على بن أحمد الأهوازى ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا محمد بن يونس الكريمى قال : حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم قال : حدثنا شبيب بن بشر بن البجلى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) من أيام العرب المشهورة بين الأوس والخزرج .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه « باب العيدين » ورواه ابن ماجه فى سننه عن عائشة ، جـ ١ ص ٦١٢ باب الغناء والدف رقم ١٨٩٨ .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى سننه جـ ١ ص ٦١٣ عن أبى الزبير عن ابن عباس وفى الزوائد : إسناده مختلف فيه من أجل الأجلح وأبى الزبير يقولون : إنه لم يسمع من ابن عباس ، وأثبت أبو حاتم أنه رأى ابن عباس . انظر سنن ابن ماجه حديث رقم ١٩٠٠ .

(٤) أخرجه عبد الرازق فى الجامع ، والضياء عن أنس وقال حديث صحيح .

« صوتان ملعونان : صوتُ ويل عند مصيبة ، وصوت مزمار عند نعمه ».

مفهوم الخطاب يقتضي إباحة غير هذا فى غير هذه الأحوال[١]، وإلا بطل التخصيص .

والأخبارُ فى هذا الباب تكثر ، والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات تخرجنا عن المقصود من الاختصار ، وقد روى أن رجلًا أنشد بين يدى رسول الله ﷺ .

أقبلتْ فلاح لها عارضان كالسَّبَج[٢]

أدبرت فقلت لها والفؤاد فى وَهج

هل على ويحكما إن عشقت من حرج

فقال رسول الله ﷺ : لا[٣] .

وإن حُسن الصوت مما أنعم الله تعالى على صاحبه من الناس : قال الله عز وجل : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾[٤] قيل فى التفسير : من ذلك ، الصوت الحسن .

وذم الله سبحانه الصوت الفظيع ؛ فقال تعالى :

﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[٥] .

واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واسترواحها إليها مما لا يمكن جحوده ؛ فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب ، والجمل يقاسى تعب السير ومشقة الحمولة[٦]فيهون عليه بالحداء . قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[٧] .

وحكى إسماعيل بن علية قال : كنت أمشى مع الشافعى ، رحمه الله تعالى ، وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول فيه أحد شيئًا ، فقال : مل بنا إليه ، ثم قال : أيطربك هذا ؟ .

فقلت : لا . فقال : ما لك حس !! .

وقال رسول الله ﷺ : « ما أذن[٨] الله تعالى لشىء كأذنه[٩] لنبى يتغنى بالقرآن » .

---

(١) يقصد الحالين المذكورين .

(٢) السبج : الخرز الأسود .

(٣) قيل إن هذا حديث موضوع فلا يجوز الاستشهاد به .

(٤) آية ١ من سورة فاطر .

(٥) آية ١٩ من سورة لقمان .

(٦) الحمولة : بضم الحاء أى الأحمال .

(٧) آية ١٧ من سورة الغاشية .

(٨) أذن : استمع .

(٩) كأذنه : كاستماعه .

أخبرنا على بن أحمد الإهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا ابن ملحان قال : حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب أنه قال : أخبرنى أبو سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به »[١] » .

وقيل : إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور ، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته .

وقال ﷺ لأبى[٢] موسى الأشعرى :

« لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود » متفق عليه .

وقال معاذ بن جبل لرسول الله ﷺ : « لو علمت أنك تسمع[٣] لحبَّرْتُه لك تحبيراً[٤] »[٥].

أخبرنا أبو حاتم السجستانى قال : أخبرنا عبدالله بن على السراج قال : حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى الرقى قال : كنت فى البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب ، وأضافنى رجل منهم ، فرأيت غلامًا أسود مقيدًا هناك . ورأيت جمالاً قد ماتت بفناء البيت ، فقال لى الغلام : أنت الليلة ضيف ، وأنت على مولاى كريم ، فتشفع لى ؛ فإنه لا يردّك .

فقلت لصاحب البيت : لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد .

فقال : هذا الغلام قد أفقرنى وأتلف مالى !! .

فقلت : فما فعل ؟ .

فقال : له صوت طيب ، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال ، فحملها أحمالاً ثقيلة ، وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى يوم واحد ، فلما حط عنها ماتت كلها ، ولكن قد وهبته لك وحلَّ عنه القيد ، فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته ، فسألته عن ذلك ، فأمر الغلامَ أن يحدو

---

(١) متفق عليه وروى بنحوه ما أخرجه أبو يعلى والبزار عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » .

(٢) أى فى شأن ذلك الصحابى الحسن الصوت ، والحديث متفق عليه ، وروى بنحوه عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد فسمع قراءة رجل ، فقال : من هذا ؟ فقيل : عبد الله بن قيس فقال : « لقد أوتى هذا من مزامير آل داود » اهـ وفى الزوائد قلت : أصله فى الصحيحين من حديث أبى موسى وفى مسلم من حديث بريدة ، وفى النسائى من حديث عائشة وفى إسناد حديث أبى هريرة : رجاله ثقات .

(٣) أى لقراءتى .

(٤) التحبير : التزيين والتحسين .

(٥) وروى بنحوه عن أنس أن أبا موسى كان يقرأ القرآن ليلة ونساء النبى ﷺ يستمعن فقيل له ، فقال : « لو علمت لحبرته تحبيرًا ، ولشوقت تشويقًا » أخرجه أحمد بن منيع وقال عنه ابن حجر حديث صحيح انظر المطالب العالية جـ ٣٣ ص ٢٨٧ .

على جمل كان على بئر هناك يستقى عليه ، فحدا الغلام .. فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ، ولم أظن أنى سمعت صوتًا أطيب منه ، فوقعت لوجهى .. حتى أشار إليه بالسكوت .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز يقول : سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول ، وقد سئل : ما بال الإنسان يكون هادئًا ، فإذا سمع السماع اضطرب ؟ فقال : إن الله تعالى لما خاطب الذرَّ[١] فى الميثاق الأول بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[٢] استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : السماع حرام على العوام ؛ لبقاء نفوسهم ، مباحٌ للزهَّاد ؛ لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا ؛ لحياة قلوبهم .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر الصوفى يقول : سمعت الوجيهى يقول : سمعت أبا علىّ الروذبارى يقول : كان الحارث بن أسد المحاسبى يقول :

ثلاث إذا وجدن مُتِّع بهنَّ ، وقد فقدناها : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الصوت مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وسئل ذو النون المصرى عن الصوت الحسن ، فقال : مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كلَّ طيب وطيبة .

وسئل مرة أخرى عن السماع فقال :

وارد حقٍّ يزعج[٣] القلوب إلى الحقِّ ؛ فمن أصغى إليه بحقّ تحقق ، ومن أصغَى إليه بنفس تزندق .

وحكى جعفر بن نصير : عن الجنيد أنه قال : تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن : عند السماع ؛ فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ، ولا يقولون إلا عن وَجْد ، وعند أكل الطعام ؛ فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند مجاراة العلم ؛ فإنهم لا يذكرون إلا صفات الأولياء .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت أبا بكر ابن ممشاد يقول : سمعت الجنيد يقول : السماع فتنة لمن طلبه . ترويح[٤] لمن صادفه .

---

(١) الذر : الأرواح .
(٢) آية ١٧٢ من سورة الأعراف .
(٣) أى يحرك .
(٤) ترويح : أى راحة .

وحكى عن الجنيد أنه قال : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء : الزمان والمكان ؛ والإخوان .

وسئل الشبلى عن السماع فقال : ظاهره فتنة ، وباطنه عبرة ؛ فمن عرف الإشارة حلّ له استماع العبرة ، وإلا فقد استدعى الفتنة ، وتعرض للبليّة .

وقيل : لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلبٌ حيّ ؛ فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة ، وقلبه حيّ بنور الموافقة .

وسئل أبو يعقوب النهرجورى عن السماع فقال : حال يُبدى[1] الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق .

وقيل : السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة .

سمعت الأستاذ أبا علىّ الدقاق يقول : السماع طَبْع ، إلا عن شَرع . وخَرْقٌ[2] ، إلا عن حق ، وفتنةٌ إلا عن عبرة .

ويقال : السماع على قسمين : سماع بشرط العلم والصحو[3] ؛ فمن شرط صاحبَه معرفةُ الأسامى والصفات ، وإلا وقع فى الكفر المحض . وسماع بشرط الحال ؛ فمن شرط صاحبه الفناءُ عن أحوال البشرية ، والتنقى من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة .

وحكى عن أحمد بن أبى الحوارى أنه قال : سألت أبا سليمان عن السماع ، فقال : مِن اثنين أحبّ إلىّ من الواحد .

وسئل أبو الحسن النورى عن الصوفى ، فقال : مَن سمع السماع ، وآثر الأسباب .

وسئل أبو علىّ الروذبارى عن السماع يومًا فقال : ليتنا تخلصنا منه رأسًا برأس .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت أبا عثمان المغربى يقول : من ادعى السماع ولم يَسمع صوتَ الطيور ، وصريرَ الباب ، وتصفيق الرياح ، فهو فقير مُدَّعٍ .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول : سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكى يقول : قال جعفر : كان ابن زيرى ، من أصحاب الجنيد ، شيخًا فاضلاً ، فربما كان يحضر موضعَ سماع ، فإن استطابه فرش إزاره وجلس وقال : الصوفى مع قلبه ، وإن لم يستطبه قال : السماع لأرباب القلوب ، ومرّ ، وأخذ نعله .

---

(١) يبدى : يظهر .

(٢) أى إهدار مروءة .

(٣) أى على طريقها .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت عبدالواحد بن بكر يقول : سمعت عبدالله بن عبدالمجيد الصوفى يقول : سئل « رويم » عن وجود[١] الصوفية عند السماع فقال :

يشهدون المعانى التى تعزب عن غيرهم فتشير إليهم : إلىّ .. إلىّ . فيتنعمون بذلك من الفرح ، ثم يقطع[٢] الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاءً ؛ فمنهم من يخرق ثيابه ، ومنهم من يصيح ، ومنهم من يبكى . كلّ إنسان على قدْره .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول : سمعت عبدالله بن على يقول : سمعت الحصرى يقول فى بعض كلامه : ما أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ؟ ينبغى أن يكون سماعك متصلاً غير منقطع .

قال : وقال الحصرى : ينبغى أن يكون[٣] ظمأ دائم ، فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه .

وجاء عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[٤] : أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية :

« نحن الخالدات ، فلا نموت أبدًا ، نحن الناعمات ، فلا نبؤس أبدًا »[٥].

وقيل : السماع نداء ، والوجد قصد »[٦].

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عثمان المغربى يقول : قلوب أهل الحق قلوب حاضرة ، وأسماعهم أسماع مفتوحة .

وسمعته يقول : سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول : المستمع بين استتار وتجلٍ ، فالاستتار يوجب التلهيب ، والتجلى يورث الترويح ؛ والاستتار يتولد منه حركات المريدين ، وهو محل الضعف والعجز ، والتجلى يتولد منه سكون الواصلين ، وهو محل الاستقامة والتمكين ، وذلك صفة الحضرة ليس فيها إلّا الذبولُ تحت موارد الهيبة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾[٧] .

---

(١) أى عما يجدونه .
(٢) وفى نسخة « يقع » .
(٣) أى للسامع .
(٤) آية ١٥ من سورة الروم .
(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ ٣ لقوله تعالى ﴿ فهم فى روضة يحبرون ﴾ .
(٦) أى إجابة له .
(٧) من الآية ٢٩ من سورة الأحقاف .

وقال أبو عثمان الحيرى : السماع على ثلاثة أوجه :

فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويُخشى عليهم فى ذلك الفتنة والمراءاة .

والثانى : للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق أوقاتهم .

والثالث : لأهل الاستقامة من العارفين ، فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما يرد على قلوبهم من الحركة والسكون .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الفرج الشيرازى يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : قال أبو سعيد الخراز .

من ادّعى أنه مغلوب عند الفهم يعنى فى السماع ، وأنّ الحركاتِ مالكة له ، فعلامته[1] تحسين المجلس[2] الذى هو فيه بوجده .

قال الشيخ أبو عبدالرحمن : فذكرت هذه الحكاية لأبى عثمان المغربى فقال : هذا أدناه ، وعلامته الصحيحة : أن لا يبقى فى المجلس محق إلا أنسَ به ، ولا يبقى فيه مبطل إلا استوحش منه .

وقال بندار بن الحسين : السماع على ثلاثة أوجه : منهم من يسمع بالطبع ، ومنهم من يسمع بالحال ، ومنهم من يسمع بالحق .

فالذى يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعام ؛ فإن جبلة البشرية استلذاذ الصوت الطيب .

والذى يسمع بالحال فهو يتأمل ما يردُ عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد ، أو تأسف على فائت أو تعطش إلى آتٍ ، أو وفاء بعهد أو تصديق لوعد أو نقض لعهد ، أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصالٍ ، أو حذَر انفصال أو ما جرى مجراه .

وأما من يسمع بحق فيسمع بالله تعالى ، ولله ، ولا يتصف بهذه الأحوال التى هى ممزوجة بالحظوظ البشرية فإنها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيثُ صفاء التوحيد بحق لا بحظ .

وقيل : أهل السماع على ثلاث طبقات : أبناء الحقائق يرجعون فى سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه لهم ؛ وضرب : يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعانى ما يسمعون ، فهم مطالبون بالصدق

---

(١) أى فعلامة صدقه فى دعواه .
(٢) أى تأثيره فى أهل مجلسه .

فيما يشيرون به إلى الله ؛ وثالث : هو فقير مجرّد قطع العلاقات من الدنيا والآفات ، يسمعون بطيبة قلوبهم ، وهؤلاء أقربهم إلى السلامة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا على الروذبارى ، وقد سئل عن السماع ، فقال : مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب .

وقال الخواص ، وقد سئل : ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ، ولا يجد ذلك فى سماع القرآن ؟ فقال : لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته ، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الرازى يقول : سمعت الجنيد يقول : إذا رأيت المريد يُحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة .

وسمعته يقول : سمعت أبا عبدالله البغدادى يقول : سمعت أبا سعيد الرملى يقول : قال سهل بن عبدالله . السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو .

وحكى أحمد بن مقاتل العكىّ قال : لما دخل ذو النون المصرى بغداد اجتمع إليه الصوفية ، ومعهم قوّال ، فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئًا فأذن ، فابتدأ يقول :

صغيرُ هواك عذّبنى فكيف به إذا احتنكا[1]
وأنتَ جمعتَ من قلبى هَوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلىّ بكا

قال : فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض ، ثم قام رجل من القوم يتواجد ، فقال له ذو النون : الذى يراك حين تقوم .. فجلس الرجل .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول فى هذه الحكاية : كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل ؛ حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه ، وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف ؛ حيث قبل ذلك منه ، فرجع فقعد .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول : سمعت عبدالله بن على الصوفى يقول : سمعت الرقىّ يقول : سمعت ابن الجلاء يقول : كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة ، يقال لأحدهما « جبلة » وللثانى « رزيق » فزار رزيق يومًا جبلة فى أصحابه ، فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئًا ، فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات ، فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق :

---

(١) أى استولى وقهر .

أين الذى قرأ بالأمس ؟ فليقرأ .. فقرأ آية ، فصاح جبلة صيحة ، فمات القارئ ، فقال جبلة : واحد بواحد والبادى أظلم .

وسئل إبراهيم المارستانى عن الحركة عند السماع فقال : بلغنى أن موسى عليه السلام قص[1] فى بنى إسرائيل ، فمزق واحد منهم قميصه ، فأوحى الله تعالى إليه : قل له مزِّق لى قلبك ولا تمزِّق ثيابك .

وسئل أبو على المغازلى الشبلى فقال : ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله عز وجل فتحدونى[2] على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس ..

فقال الشبلى : ما اجتذبك إليه فهو عطف منه عليك ، ولطف ، ومارُدِدت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك ، لأنه لم يصح لك التبرى من الحول والقوة فى التوجّه إليه .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت أحمد بن مقاتل العكىّ يقول : كنت مع الشبلى فى مسجد ليلة من شهر رمضان وهو يصلى خلف إمام له وأنا بجنبه ، فقرأ الإمام : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[3] فزعق زعقة قلت : طارت روحه وهو يرتعد ويقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب !! ويردّد ذلك كثيرًا .

وحكى عن الجنيد أنه قال : دخلت على السرّى يومًا فرأيت عنده رجلاً مغشيا عليه ، فقلت : ماله ؟ فقال : سمع آية من كتاب الله تعالى . فقلت تُقرأ عليه ثانيًا ، فقُرئ ، فأفاق ، فقال لى : من أين علمت هذا ؟ فقلت : إن قميص يوسف ذهبت بسببه عينُ يعقوب عليهما السلام ثم به عاد بصره . فاستحسن منى ذلك .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت عبدالواحد ابن علوان يقول : كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئًا من الذكر يزعق ، فقال له الجنيد يومًا : إن فعلت ذلك مرةّ أخرى لم تصحبنى !! فكان إذا سمع شيئًا يتغير ويضبط نفسه ، حتى كان يقطرُ كل شعرة من بدنه بقطرةٍ[4]، فيومًا من الأيام صاح صيحة تلفت بها نفسه .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدرّاج قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد ، فلما دخلت

---

(١) أى ذكر لهم قصة .

(٢) أى تدفعنى .

(٣) الآية ٨٦ من سورة الإسراء .

(٤) وفى نسخة قطرة أى قطرة ماء مما تقاسيه فى الكتم من الشدة .

« الرىّ » سألت عن منزله ، فكلّ من أسأل عنه يقول لى : ما تفعل بذلك الزنديق ؟ فضيقوا صدرى ، حتى عزمت على الانصراف ، فبتّ تلك الليلة فى مسجد ، ثم قلت جئتُ هذه البلدة ، فلا أقلّ من زيارته ؛ فلم أزل أسأل عنه حتى وقعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب ، وبين يديه رَجل ، وعليه مصحف يقرأ فيه ، وإذا هو شيخ بهىّ ، حسن الوجه واللحية ، فدنوت منه وسلمت عليه ، فردّ السلام وقال : من أين ؟ فقلت : من بغداد ، قصدت زيارة الشيخ .فقال : لو أن فى بعض البلدان قال لك إنسان : أقم عندى حتى أشترى لك دارًا أو جارية ، أكان يمنعك عن زيارتى ؟ فقلت : ياسيدى ، ما امتحننى الله تعالى بشىء من ذلك !! ولو كان لا أدرى كيف كنت أكون ؟ .

فقال : تحسن أن تقول شيئًا ؟ فقلت : نعم ، وقلت :

رأيتُك تبنى دائبًا فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبنى

فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيتُه وثوبه ، حتى رحمتُه من كثرة بكائه ؛ ثم قال لى : يابنى : لا تلمُ أهل « الرىّ » على قولهم « يوسف بن الحسين زنديق » ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن فلك تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت علىَّ القيامة بهذا البيت[1] .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول : سمعت عبدالله بن على الطوسى يقول : سمعت الرقى يقول : سمعت الدراج يقول كنت أنا وابن القوطى مارين على الدجلة بين « البصرة » و « الأُبلة » وإذا نحن بقصر حسنٍ ، له منظر ، وعليه رجل وبين يديه جارية تغنى وتقول :

فى سبيل الله ود كان منى لك يبذل
كلَّ يوم تتلوَّن غير هذا بك أجمل !!

وإذا شاب تحت المنظرة بيده « ركوة » ، وعليه مرقعة يسمع فقال : يا جارية ، بحياة مولاك أعيدى : كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل فأعادته .

فقال الشاب : قولى . فأعادت فقال الفقير : هذا والله تلونى مع الحق ، وشهق شهقة خرجت روحه . فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرَّة لوجه الله تعالى ، وخرج أهل البصرة ، وفرغوا من دفنه والصلاة عليه ، فقام صاحب القصر ، وقال : أليس تعرفونى !! أشهدكم أن كلَّ شىء لى فى سبيل الله ، وكلَّ مماليكى أحرار ، ثم أتزر بإزار ، وأرتدى برداء ، وتصدق بالقصر ، ومرّ ، فلم يُر له بعد ذلك وجه ، ولا سمع له أثر[2] .

---

(١) أى تغير حاله بسبب سماعه بيت الشعر .

(٢) أى خبر .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول : سمعت يحيى بن الرضا العلوى قال : سمع أبو سلمان الدمشقى « طوافًا » ينادى[1] : ياسعتر برِّى فسقط مغشيا عليه ، فلما أفاق ، سئل ، فقال : حسبته يقول : اسع ترَ برّى .

وسمع عتبةَ الغلامُ رجلًا يقول : سبحان ربِّ السماء ؛ إن المحب لفى عناء .

فقال عتبة : صدقت ؛ وسمع رجل آخر ذلك القول ، فقال : كذبت !

فكلّ واحد سمع من حيث هو .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت أبا الحسن علىّ بن محمد الصوفى يقول : سمعت رويما وقد سئل عن المشايخ ، الذين لقيهم فى السماع ، فقال : كالقطيع إذا وقع فيه الذئب .

وحكى عن أبى سعيد الخراز قال : رأيت على بن الموفق فى السماع يقول : أقيمونى ، فأقاموه ، فقام ، وتواجد ، ثم قال : أنا الشيخ « الزفان » .

وقيل : قام الرقىُّ ليلة إلى الصباح ، يقوم .. ويسقط على هذا البيت[2] ، والناس قيام يبكون ، والبيت :

بـــالله فـــاردد فـؤاد مكـتئـب   ليس لـــه من حبيبـــه خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول : سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول : سمعت على بن الحسين بن محمد ابن أحمد بالبصرة يقول : سمعت أبى يقول :

خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة ، فما رأيته تغيَّر عند سماع شىء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره ، فلما كان فى آخر عمره قُرِىء بين يديه ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ ﴾[3] رأيته تغير ، وارتعد ، وكاد يسقط ، فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك ، فقال يا حبيبى ضعفنا[4] .

وحكى ابن سالم قال : رأيته مرَّة أخرى قرىء بين يديه ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾[5]

---

(١) ينادى على نبات السعتر الذى يؤتى به من البرارى .

(٢) أى على سماعه .

(٣) من الآية ١٥ من سورة الحديد .

(٤) ضعف عن كتم حاله .

(٥) من الآية ٢٦ من سورة الفرقان .

فتغير وكاد يسقط ، فقلت له فى ذلك ، فقال : ضعفتُ . وهذه صفة الأكابر لا يرد عليه وارد وإن كان قويا إلا وهو أقوى منه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : دخلت على أبى عثمان المغربىّ وواحد يستقى الماء من البئر على بكرة فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أتدرى ما تقول البكرة ؟ فقلت : لا ، فقال : تقول الله . الله .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت على بنْ طاهر يقول : سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت رويمًا يقول : روى عن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، أنه سمع صوت ناقوس فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول هذا ؟ قالوا : لا ، قال : إنه يقول : سبحان الله ، حقًّا ، إن المولى صمدٌ يبقى .

سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت أحمد بن على الكرخى الوجيهى يقول : كان جماعة من الصوفية متجمعين فى بيت الحسن القزاز ، ومعهم قوّالون يقولون ويتواجدون ، فأشرف عليهم ممشاد الدينورى ؛ فسكتوا ، فقال : ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فلو جمع ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغل همى ولا شفى بعض ما بى .

وبهذا الإسناد عن الوجيهى قال : سمعت أبا على الروذبارى يقول : بلغنا فى هذا الأمر[1] إلى مكان مثل حد السيف إن ملنا كذا ففى النار .

وقال خير النساج : قصّ موسى بن عمران ، صلوات الله عليه ، على قوم قصة ، فزعق واحد منهم ، فانتهره موسى ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى ، بطيبى فاحُوا[2] ، وبحبى باحوا ، وبوجدى صاحوا ، فلم تنكر على عبادى ؟!

وقيل : سمع الشبلى قائلًا يقول : الخيارُ عشرةٌ بدانق فصاح وقال : إذا كان الخيار عشرة بدانق فكيف الشرار ؟!

وقيل : إذا تغنت الحور العين فى الجنة توردت الأشجار .

وقيل : كان عون بن عبد الله يأمر جارية له حسنة الصوت فتغنى بصوت حزين حتى تبكى القوم .

وسئل أبو سليمان الدارانى عن السماع ، فقال : كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف

---

(١) أى التصوف .

(٢) وفى نسخة « ناحوا » .

يداوى كما يداوى الصبىّ إذا أريد أن ينام ، ثم قال أبو سليمان : إن الصوت الحسن لا يُدخل فى القلب شيئًا ، وإنما يحرك من القلب ما فيه . قال ابن أبى الحوارى : صدق والله أبو سليمان .

وقال الجريرى : كونوا ربانيين ، أى سمّاعين من الله ، قائلين بالله .

وسئل بعضهم عن السماع فقال : بروق تلمع ثم تخمد ، وأنوار تبدو ثم تخفى ، ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ، ثم أنشأ يقول :

خطرة فى السرّ منه خطرت   خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل
أىُّ زوْر[1] لك لو قصدًا سرَى   وملم بك لو حقا فعل

وقيل : السماع فيه نصيب لكل عضو ؛ فما يقع إلى العين تبكى ، وما يقع إلى اللسان يصيح ، وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم ، وما يقع إلى الرجل ترقص .

وقيل : مات بعض ملوك العجم ، وخلف أبنًا صغيرًا ، فأرادوا أن يبايعوه فقالوا : كيف نصل إلى معرفة عقله وذكائه ؟!.. ثم توافقوا على أن يأتوا بقوّال يقول شيئًا ؛ فإن أحسن الإصغاء علموا كياسته . فأتوا بقوال ، فلما قال القوال شيئًا ضحك الرضيع ، فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : اجتمع أبو عمرو بن نجيد ، والنصر اباذى ، والطبقة فى موضع ؛ فقال النصراباذى : أنا أقول إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئًا ويسكت الباقون خير من أن يغتابوا أحدًا .

فقال أبو عمرو : لأن تغتاب أنت ثلاثين سنة أنجى لك من أن تظهر فى السماع ما لست به .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الناس فى السماع ثلاثة : متسمع ؛ ومستمع ؛ وسامع ؛ فالمتسمع يسمع بوقت ؛ والمستمع يسمع بحال ؛ والسامع يسمع بحق .

وسألت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله تعالى ، غير مرة . شِبه طلب رخصة فى السماع ، فكان يحيلنى على ما يوجب الإمساك عنه ، ثم بعد طول المعاودة قال : إن المشايخ قالوا : « ما جمع قلبك إلى الله سبحانه وتعالى فلا بأس به » .

أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال :

---

(١) زور أى زائر .

حدثنا إسماعيل بن الفضل قال : حدثنا يحيى بن معين الرازى قال : حدثنا حفص بن عمر العمرى قال : حدثنا أبو عمر وعثمان بن بدر قال : حدثنا هارون بن حمزة عن الغدافرى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : أوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام : إنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى ، وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى ، وأحبُّ ما تكون إلى وأقربه إذا أكثرت الصلاة على محمد ﷺ .

وقيل : رأى بعضهم النبى ﷺ فى المنام فقال : الغلط فى هذا أكثر ؛ يعنى به : السماع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت أبا بكر النهاوندى يقول : سمعت عليًّا السائح يقول : سمعت أبا الحارث الأولاسى يقول : رأيت إبليس ، لعنه الله ، فى المنام على بعض سطوح « أولاس » وأنا على سطح ، وعلى يمينه جماعة ، وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب نظاف ، فقال لطائفة منهم : قولوا .. فقالوا ، وغنوا ، فاستفزعنى طيبه[1] ، حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح .

ثم قال : ارقصوا ، فرقصوا أطيب ما يكون ..

ثم قال لى : يا أبا الحارث ، ما أصبتُ شيئًا أدخل به عليكم إلا هذا .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : اجتمعت ليلة مع الشبلى ، رحمه الله ، فقال القوّال ، شيئًا ، فصاح الشبلى ، وتواجد قاعدًا ، فقيل له : يا أبا بكر ، مالك من بين الجماعة قاعدًا ؟!

فقام وتواجد ، وقال :

لى سَكْرَتان ، وللندمانِ واحدةٌ   شىء خُصِصْتُ به من بينهم وحدى

وسمعته يقول : سمعت منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول : سمعت أبا علىّ الروذبارى يقول : جزت بقصر ، فرأيت شابًا حسن الوجه مطروحًا ، وحوله ناس ، فسألت عنه ، فقالوا : إنه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغنِّى :

كبُرَت همَّة عبد طمعت فى أن تراكا
أو ما حسْب لعيْنٍ أن ترى من قد رآكا

فشهق شهقة ومات .

---

(١) أى طيب قوله .

باب كرامات الأولياء

قال الأستاذ أبو القاسم : ظهورُ الكرامات على الأولياء جائز .

والدليل على جوازه أنه أمر موهومٌ حدوثه فى العقل لا يؤدى حصوله إلى رفع أصل من الأصول ، فواجبٌ وصفه ، سبحانه ، بالقدرة على إيجاده ، وإذا وجب كونه مقدورًا لله ، سبحانه ، فلا شىء يمنع جواز حصوله .

وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه فى أحواله ، فمن لم يكن صادقًا فظهور مثلها عليه لا يجوز ، والذى يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا[1] ، حتى نفرق بين من كان صادقًا فى أحواله ، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولى بما لا يوجد مع المفترى فى دعواه ، وذلك الأمر هو الكرامة التى أشرنا إليها .

ولابد أن تكون هذه الكرامة فعلًا ناقضًا للعادة فى أيام التكليف ، ظاهرًا على موصوف بالولاية فى معنى تصديقه فى حاله .

وتكلم الناس فى الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق ؛ فكان الإمام أبو إسحاق الإسفراينى ، رحمه الله ، يقول :

للمعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبىّ ، كما أن العقل المحكم لمَّا كان دليلًا للعالِم فى كونه عالِمًا لم يوجد ممن لا يكون عالمًا .

وكان يقول : الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء ، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا .

وأما الإمام أبو بكر بن فورك ، رحمه الله ، فكان يقول : المعجزات : دلالات الصدق[2] ، ثم إن ادّعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه فى مقالته ، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حالته ، فتسمّى « كرامة » ولا تسمى « معجزة » وإن كانت من جنس المعجزات للفرق .

---

(١) أى إعلامنا بالكرامة .

(٢) أى للأنبياء .

وكان رحمه الله يقول : من الفرق بين المعجزات والكرامات : أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها[١] والولىّ يجب عليه سترها وإخفاؤها[٢] ، والنبى ﷺ يدَّعى ذلك[٣] ويقطع القول به ، والولى لا يدعيها[٤] ولا يُقطع بكرامته ، لجواز أن يكون ذلك مكرًا .

وقال أوحد فنه فى وقته[٥] القاضى أبو بكر الأشعرى ، رضى الله عنه : إن المعجزات تختص بالأنبياء ، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة ، لأن من شرط المعجزة اقتران دعوة النبوة بها ، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها ، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة ، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط ، لا تكون معجزة ، وأحد تلك الشرائط : دعوى النبوة ، والولىّ لا يدّعى النبوة ، فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة ...

وهذا القول الذى نعتمده ونقول به ، بل ندين به .

فشرائط المعجزات ، كلها أو أكثرها ، توجد فى الكرامة إلا هذا الشرط الواحد . والكرامة فِعْل لا محالة محدث ، لأن ما كان قديمًا لم يكن له اختصاص بأحد ، وهو ناقض للعادة ، وتحصل[٦] فى زمان التكليف[٧] ، وتظهر على عبد تخصيصًا له وتفضيلًا . وقد تحصل باختياره ودعائه[٨] ، وقد لا تحصل له ، وقد تكون بغير اختياره فى بعض الأوقات ، ولم يؤمر الولىّ بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئًا من ذلك على من يكون أهلًا له لجاز .

واختلف أهل الحق فى الولىّ : هل يجوز أن يعلم أنه ولىّ ؟ أم لا ؟

فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول : لا يجوز ذلك ؛ لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن .

وكان الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله يقول بجوازه .

وهو الذى نؤثره ونقول به .

وليس ذلك[٩] بواجب فى جميع الأولياء حتى يكون كلُّ ولىّ يعلم أنه ولىّ واجبًا ، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم كما يجوز أن لا يعلمه بعضهم ، فإذا علم بعضهم أنه ولى كانت معرفته تلك كرامةً له انفرد بها .

---

(١) أى إظهار المعجزات .
(٢) أى إخفاء الكرامات .
(٣) أى ما ذكر من المعجزات .
(٤) أى الكرامة .
(٥) وفى بعض النسخ « أوحد وقته فى فنه » .
(٦) أى الكرامة .
(٧) أى فى مدة الحياة الدنيوية .
(٨) أى طلبه لها .
(٩) أى علم الولى بأنه ولى .

وليس كل كرامة لولىّ يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء ، بل لو لم يكن للولى كرامة ظاهرة عليه فى الدنيا لم يقدح عدمها فى كونه وليًّا ، بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات ؛ لأن النبى مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه ؛ ولا يعرف إلا بالمعجزة .

وبعكس ذلك حال الولى ؛ لأنه ليس بواجب على الخلق ، ولا على الولى أيضًا ، العلم بأنه ولىّ .

والعشرة من الصحابة صَدَّقوا الرسول ﷺ فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة .

وقول من قال لا يجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف فلا بأس أن يخافوا تغيير العاقبة ، والذى يجدونه فى قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق ، سبحانه ، يزيد ويربو على كثير من الخوف .

واعلم أنه ليس للولىّ مساكنة[1] إلى الكرامة التى تظهر عليه ، ولا له ملاحظة ، وربما يكون لهم فى ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله ، فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد .

وبالجملة ، فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب ، وعليه جمهور أهل المعرفة ، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبارُ والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء فى الجملة علمًا قويًّا انتفى عنه الشكوك ، ومن توسَّط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق له شبهة فى ذلك على الجملة ، ومن دلائل هذه الجملة : نص القرآن فى قصة صاحب سليمان عليه السلام ، حيث قال : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[2] ولم يكن نبيًّا .

والأثر : عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، صحيح أنه قال : « ياسارية الجبل »[3] فى حال خطبته يوم الجمعة ، وتبليغ صوت عمر إلى سارية فى ذلك الوقت حتى تحرز من مكامن العدو من الجبل فى تلك الساعة .

فإن قيل : كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة فى المعانى على معجزات الرسل ؟ وهل يجوز تفضيلُ الأولياء على الأنبياء عليهم السلام ؟

قيل : هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا ﷺ ؛ لأن كل من ليس بصادق فى الإسلام

---

(١) سكون .

(٢) آية ٤٠ من سورة النمل .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ، وابن كثير .

لا تظهر عليه الكرامة ، وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته ؛ إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقًا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة ، فأمَّا رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبةَ الأنبياء عليهم السلام ؛ للإجماع المنعقد على ذلك .

وهذا أبو يزيد البسطامى سئل عن هذه المسألة فقال :

مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زِق فيه عسل ترشح منه قطرة ، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء ، وما فى الظرف مثل لنبينا ﷺ .

فصل

ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة ، وقد تكون إظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر ، أو حصولَ ماء فى زمان عطش ، أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة ، أو تخليصًا من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف ، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة .

واعلم أن كثيرًا من المقدورات يعلم اليوم قطعًا أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء ، وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك ، فمنها[1] حصول إنسان لا من أبوين ، وقلبَ جمادٍ بهيمةً أو حيوانًا ، وأمثال هذا كثير .

فصل

فإن قيل : فما معنى الولى ؟

قيل : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون فعيلًا مبالغة من الفاعل ؛ كالعليم ، والقدير وغيره ، فيكون معناه : من توالت طاعاته من غير تخلل معصية .

ويجوز أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول ، كقتيل بمعنى مقتول ، وجريح بمعنى مجروح ، وهو الذى يتولى الحقّ ، سبحانه ، حفظه وحراسته على الإدامة والتوالى ، فلا يخلق له الخذلان الذى هو قدرة العصيان ، وإنما يديم توفيقه الذى هو قدرة الطاعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[2] .

---

(١) أى من تلك المقدورات .

(٢) من أية ١٩٦ من سورة الأعراف .

فصل

فإن قيل : فهل يكون الولىّ معصومًا ؟

قيل : إمَّا وجوبًا ، كما يقال فى الأنبياء فلا ، وإمَّا أن يكون محفوظًا حتى لا يصرّ على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلّات ، فلا يمتنع ذلك فى وصفهم .

ولقد قيل للجنيد : العارف يزنى يا أبا القاسم ؟

فأطرق مليّا[1] ، ثم رفع رأسه وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[2] .

فصل

فإن قيل : فهل يسقط الخوف عن الأولياء ؟

قيل : أمّا الغالب على الأكابر فكان الخوف ، وذلك الذى قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع ، وهذا السرىّ السقطىّ يقول :

لو أن واحدا دخل بستانًا فيه أشجار كثيرة وعلى كلِّ شجرة طير يقول له بلسان فصيح : السلام عليك يا ولى الله . فلو لم يخف أنه مكرٌ لكان ممكورًا . وأمثال هذا من حكاياتهم كثيرة .

فصل

فإن قيل : فهل تجوز رؤية الله سبحانه ، بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة ؟

فالجواب عنه : أن الأقوى فيه أنه لا يجوز ؛ لحصول الإجماع عليه ، ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك ، رضى الله عنه ، يحكى عن أبى الحسن الأشعرى أنه قال فى ذلك قولين فى كتاب « الرؤية الكبير » .

---

(١) أى طويلًا .

(٢) من آية ٣٨ من سورة الأحزاب .

فصل

فإن قيل : فهل يجوز أن يكون وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته ؟

قيل : من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة لا يجوز ذلك .

ومن قال : إنه فى الحال مؤمن على الحقيقة وإن جاز أن يتغير حاله بعد لا يبعد أن يكون وليا فى الحال صديقًا ، ثم يتغير ، وهو الذى نختاره .

ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولىّ أن يعلم أنه مأمون العاقبة ، وأنه لا تتغير عاقبته ، فتلتحق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولى يجوز أن يعلم أنه ولى .

فصل

فإن قيل : فهل يزايل الولىّ خوف المكر ؟

قيل : إن كان مصطلمًا[1] عن شاهده ، مختطفًا عن إحساسه بحاله فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه ، والخوف من صفات الحاضرين بهم[2] .

فصل

فإن قيل : فما الغالب على الولىّ فى حال صحوه ؟

قيل : صدقه فى أداء حقوقه ، سبحانه ، ثم رفقه وشفقته على الخلق فى جميع أحواله ، ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ، ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخُلق ، وابتدائه لطلب الإحسان من الله عزَّ وجلَّ إليهم من غير التماس منهم ، وتعليق الهمة بنجاة الخلق ، وترك الانتقام منهم ، والتوقى عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد عن أموالهم ، وترك الطمع بكل وجه فيهم ، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم ، والتصاون عن شهود مساويهم ، ولا يكون خصمًا لأحدٍ فى الدنيا ولا فى الآخرة .

---

(١) أى مستغرقًا .

(٢) أى منهم .

واعلم أنَّ من أجَلّ الكرامات التى تكون للأولياء : دوامَ التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصى والمخالفات ، ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله ، سبحانه ، فى صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولاً :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ . وكان يقول : ﴿ أَنَّى لَكِ هَذَا ؟ ﴾[1] فتقول مريم : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[1] . وقوله سبحانه : ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[2] وكان فى غير أوان الرطب ، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك ، ومن ذلك قصة « ذى القرنين » وتمكينه سبحانه له ما لم يمكن لغيره ، ومن ذلك ما أظهر على يدى الخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب ، وما كان يَعْرِفه مما خفى على موسى عليه السلام . كلٌ ذلك أمور ناقضة للعادة اختصَّ الخضر عليه السلام بها ، ولم يكن نبيًّا ، وإنما كان وليًّا .

ومما رُوى من الأخبار فى هذا الباب حديث « جريج الراهب » ؛ أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني قال : أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال : حدّثنا عمار بن رجاء قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبى قال : سمعت محمد ابن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ .

« لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصبىّ فى زمن جريج ، وصبى آخر ؛ فأما عيسى فقد عرفتموه ، وأما جريج فكان رجلًا عابدًا فى بنى إسرائيل . وكانت له أم ، فكان يومًا يصلى إذ اشتاقت إليه أمه ، فقالت : يا جريج . فقال : يارب ، الصلاة خير أم أتيها ؟[3] ثم صلى[4] . فدعته ، فقال مثل ذلك . ثم صلى . فاشتدّ على أمه . فقالت : اللهمَّ لا تمته حتى تريه وجوه المومسات . وكانت زانيةٌ فى بنى إسرائيل ، فقالت لهم : أنا أفتن جريجًا حتى يزنى ؛ فأتته ، فلم تقدر على شىء ، وكان راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته[5] ، فلما أعياها راودت الراعى على نفسها ؛ فأتاها ، فولدت ، ثم قالت : ولدى هذا من جريج .

فأتاه بنو إسرائيل ، وكسروا صومعته ، وشتموه ، ثم صلى ودعا ، ثم نخس[6] الغلام ..

---

(١) آية ٣٧ من سورة آل عمران .
(٢) آية ٢٥ من سورة مريم .
(٣) وفى نسخة « أم إجابتها » .
(٤) أى استمر فى صلاته .
(٥) .أى صومعة جريج .
(٦) طعنه بيده .

قال محمد[١] قال أبو هريرة : كأنى أنظر إلى النبى ﷺ حين قال بيده : يا غلام من أبوك ؟

فقال : الراعى ؛ فندموا على ما كان منهم ، واعتذروا إليه ، وقالوا : نبنى صومعتك من ذهب – أو قال : من فضة – فأبى عليهم ، وبناها كما كانت ..

وأمَّا الصبىُ الآخر فإن امرأة كان معها صبى لها ترضعه ، إذ مرَّ بها شاب جميل الوجه ، ذو شارة[٢] ، فقالت : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، فقال الصبى : اللهم لا تجعلنى مثله ..

قال محمد : قال أبو هريرة : كأنى أنظر إلى النبى ﷺ حين كان يحكى الغلامُ وهو يرضع ثم مرت بها أيضًا امرأة ذكروا أنها سرقت ، وزنت ، وعوقبت ، فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثل هذا !!

فقال : اللهم اجعلنى مثلها ...

فقالت له أمه فى ذلك ، فقال : إن الشابَّ جبار من الجبابرة ، وإن هذه (المرأة) قيل : إنها زنت ولم تزن ، وقيل : سرقت ولم تسرق ، وهى تقول : حسبىَ الله »[٣] .

وهذا الخبر روى فى الصحيح ، ومن ذلك حديث الغار ، وهو مشهور مذكور فى الصحاح .

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراينى قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال : حدثنا محمد بن عون ، وزيد بن عبد الصمد الدمشقى ، وعبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولى ، وأبو الخصيب بن المستنير المصيصى قالوا : حدثنا أبو اليمان قال : حدثنا شعيب عن الزهرى ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدّت عليهم الغار . فقالوا : إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم ؛ فقال رجل منهم : إنه كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبُق[٤] قبلها أهلًا ولا مالًا ، فعاقنى طلب الشجر يومًا ، فلم أُرح[٥] عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبُوقهما[٦] ، فجئتهما به .. فوجدتهما نائمين .. فتحرجت أن أوقظهما ، وكرهت أن

---

(١) ابن سيرين .

(٢) أى هيئة حسنة .

(٣) وحديث : لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة .. أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال صحيح . وقد ذكره النووى فى الرياض أيضًا .

(٤) أغبق (بضم الباء) أى أسقى .

(٥) أصل إليهما .

(٦) مشروبهما .

أغبق[١] قبلها أهلاً ولا مالاً[٢] ، فقمت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا ، فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفرجت انفراجًا لا يستطيعون الخروج منه ، فقال رسول الله ﷺ : وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى بنت عمّ ، وكانت أحبّ الناس إلىّ ، فراودتها عن نفسها ، فامتنعت ، حتى ألمت بها سنةٌ من السنين[٣] فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّى بينى وبين نفسها ، ففعلت .. حتى إذا قدرت عليها ، قالت : لا يحلّ لك أن تفضّ الخاتم إلّا بحقّه !! فتحرجت من الوقوع عليها .. فانصرفت عنها وهى أحبّ الناس إلىّ .. وتركتُ الذهبَ الذى أعطيتها : اللهم ، إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ، قال رسول الله ﷺ : ثم قال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم ، غير رجل واحد منهم ترك الذى له وذهب ، فثمرت أجره ، فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله ، أدّ إلىّ أجرتى ، فقلت له . كلّ ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق ، فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى !! فقلت : إنى لا أستهزئ بك ، فأخذ ذلك كله فاستاقه[٤] ، ولم يترك منه شيئًا . اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه .. فانفرجت الصخرة ، فخرجوا من الغار يمشون »[٥] .

ومن ذلك الحديث الذى قال ﷺ فيه إن البقرة كلمتهم : أخبرنا أبو نعيم الإسفراييني قال : أخبرنا أبو عوانة قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : حدثنى سعيد بن المسيَّب ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال :

بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها .. التفتت البقرة وقالت : إنى لم أخلق لهذا ؛ إنما خلقت للحرث !! فقال الناس : سبحان الله !! فقال النبى ﷺ : آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر » .

ومن ذلك حديث أويس القرنى ، وما شهد به عمر بن الخطاب رضى الله عنه من حاله وقصته ، ثم التقاؤه[٦] مع هرم بن حيان ، وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما ، وكل ذلك أحوال ناقضة للعادة . وتركنا شرح حديث أويس لشهرته .

---

(١) الغبوق : الشرب آخر النهار والصبوح الشرب أوله .
(٢) أى حيوانا .
(٣) أى سنة مجدبة .
(٤) ساقه .
(٥) حديث صحيح متفق عليه .
(٦) أى أويس .

ولقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ، ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حد الاستفاضة .

وقد صُنف فى ذلك كتب كثيرة وسنشير إلى طرف منها على وجه الإيجاز ، إن شاء الله عز وجل ، فمن ذلك : أن ابن عمر كان فى بعض الأسفار فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع ، فطردَ السبعَ من طريقهم ، ثم قال : إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ، ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شىء . وهذا خبر معروف .

وروى أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمى فى غزاة ، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر ، فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء .

وروى أن عتاب بن بشير ، وأسيد بن حضير خرجا[1] من عند رسول الله ﷺ ، فأضاء لهما رأس عصا أحد كالسراج[2] .

وروى أنه كان بين يدى سلمان وأبى الدرداء قصعة .. فسبحت حتى سمعا التسبيح .

وروى أن النبى ﷺ قال : « كم من أشعث أغبر ذى طمرين[3] لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »[4] .

ولم يفرق بين شىء وشىء فيما يقسم به على الله سبحانه .

وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا عن ذكر أسانيدها .

وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال : « من زهد فى الدنيا أربعين يومًا صادقًا من قلبه مخلصًا فى ذلك ظهرت له الكرامات ، ومن لم تظهر له ، فلعدم الصدق فى زهده » ، فقيل لسهل : كيف تظهر له الكرامة ؟ فقال : يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء .

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال : حدثنا أبو مسلم قال : حدثنا عمرو بن مرزوق قال : حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون قال : حدثنا وهب بن كيسان ، عن ابن عمر ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « بينا رجل ذكر كلمة

---

(١) فى ليلة مظلمة .

(٢) وروى : يظهر عند طرف سوط أحدهما كالقنديل من النور يستضيئان به فقال صاحبه : لو حدثنا الناس بهذا لكذبونا .

(٣) ثوبين قديمين .

(٤) الحديث رواه البراء بن مالك وأخرجه الترمذى والضياء عن أنس ورمز له السيوطى بالضعف وقال المناوى فى الفيض : (الحديث رواه أبو نعيم وغيره عن أنس ، والترمذى والضياء فى المختارة عن أنس ، ورواه عنه أيضًا الحاكم وصححه أبو نعيم . وفى رواية أخرى فيها أخرجه ابن عساكر عن عائشة : (كم من ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ورمز السيوطى لهذه الرواية بالضعف ، ورواه الطبرانى فى الأوسط وقال الهيثمى : سنده ضعيف يجبر بتعدده فقد رواه الرافعى فى أماليه أيضًا .

إذ سمع رعدًا فى السحاب . فسمع صوتًا فى السحاب : أن اسق حديقة فلان ، فجاء ذلك السحاب إلى « سرحة »[١] فأفرغ ماءه فيها ، فأتبع[٢] السحاب . فإذا رجل قائم يصلى فى حديقة . فقال : ما اسمك ؟ فقال : فلان بن فلان باسمه . قال : فما تصنع بحديقتك هذه إذ صرمتها[٣] ؟ قال : ولم تسأل عن ذلك ؟ قال : إنى سمعت صوتًا فى السحاب أن اسق حديقة فلان . قال : أما إذ قلت[٤] فإنى أجعلها أثلاثًا . فأجعل لنفسى ولأهلى ثلثًا وأرد عليها[٥] ثلثا ، وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثًا » .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : دخلنا « تستر » فرأينا فى قصر سهل بن عبد الله بيتًا كان الناس يسمونه « بيت السباع » فسألنا الناس عن ذلك . فقالوا : كان السباع تجىء إلى سهل ، فكان يدخلهم هذا البيت ، ويضيفهم ، ويطعمهم اللحم ، ثم يخليهم .

قال أبو نصر : ورأيت أهل « تستر » كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول : سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول : سمعت حمزة بن عبد الله العلوى يقول : دخلت على أبى الخير التيناتى ، وكنت أعتقدت فى نفسى أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاما ، فلما خرجت من عنده ومشيت قدرًا فإذا به خلفى ، وقد حمل طبقًا عليه طعام ، فقال : يا فتى . كل هذا ؛ فقد خرجت الساعة من اعتقادك .

وأبو الخير التيناتى مشهور بالكرامات .

وحكى عن إبراهيم الرقىّ أنه قال : قصدته مسلمًا عليه ، فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويًا[٦] . فقلت فى نفسى : ضاعت سفرتى ، فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى السبع ، فعدت إليه وقلت : إن الأسد قصدنى !! فخرج وصاح على الأسد وقال : ألم أقل لك لا تتعرض لضيفانى ؟؟ وتنحى .. وتطهرت . فلما رجعت قال : اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد ، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد .

---

(١) أى حديقة .
(٢) أى السامع .
(٣) أى قطعت شجرها .
(٤) أى سألت .
(٥) أى أخصصه لأجلها .
(٦) أى لم يحسن قراءتها .

وقيل : كان لجعفر الخلدى « فص » فوقع يومًا فى « دجلة » وكان عنده دعاء مجرَّب للضالة ترد فدعا به ؛ فوجد الفصّ فى وسط أوراق كان يتصفحها .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول :

إن ذلك الدعاء : « يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أجمع على ضالتى » .

قال أبو نصر السرَّاج : أرانى أبو الطيب العكى جزءًا ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها ، وكان الجزء أوراقًا كثيرة .

سألت أحمد الطابرانى السرخسى ، رحمه الله ، فقلت له :

هل ظهر لك شيء من الكرامات ؟ فقال : فى وقت إرادتى وابتداء أمرى ربما كنت أطلب حجرًا أستنجى به فلم أجد ، فتناولت شيئًا من الهواء فكان جوهرًا ، فاستنجيت به وطرحته .

ثم قال : وأىّ خطر للكرامات ؟! إنما المقصود منه : زيادة اليقين فى التوحيد ، فمن لا يشهد غيره[1] موجدًا[2] فى الكون فسواء أبصر فعلًا معتادًا ، أو ناقضًا للعادة .

سمعت محمد بن أحمد الصوفى يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت أبا الحسن البصرى يقول :

كان بـ « عبادان » رجل أسود فقير يأوى إلى الخرابات ، فحملتُ معى شيئًا وطلبته ، فلما وقعت عينه علىَّ تبسم ، وأشار بيده إلى الأرض ، فرأيت الأرض كلها ذهبًا يلمع ، ثم قال : هات ما معك ، فناولته ، وهالنى أمره ، وهربت .

سمعت منصور المغربى يقول : سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول : كان لى استقصاء[3] فى أمر الطهارة ، فضاق صدرى ليلة ، لكثرة ما صببت من الماء ، ولم يسكن قلبى ، فقلت : ياربِّ عفوك ، فسمعت هاتفًا يقول : العفو فى العلم ، فزال عنى ذلك .

سمعت منصورًا المغربى يقول : فرأيته[4] يومًا قعد على الأرض فى الصحراء وكان عليها آثار الغنم بلا سجادة ، فقلت : أيها الشيخ هذه آثار الغنم !! فقال : اختلف الفقهاء فيه .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السرّاج يقول : سمعت الحسين بن أحمد الرازىَّ يقول : سمعت أبا سليمان الخواص يقول : كنت راكبًا حمارًا يومًا ، وكان الذباب

---

(١) أى غير الله الواحد .

(٢) وفى نسخة : « موجودًا » .

(٣) أى مبالغة .

(٤) أى الروذبارى .

يؤذيه ، فيطأطئ رأسه ، فكنت أضرب رأسه بخشبة فى يدى ، فرفع الحمار رأسه وقال : اضرب ، فإنك على رأس هوذا تضرب .

قال الحسين : فقلت لأبى سليمان لك وقع هذا ؟ فقال : نعم . كما تسمعنى .

وذكر عن ابن عطاء أنه قال : سمعت أبا الحسين النورى يقول :

كان فى نفسى شىء من هذه الكرامات ، فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ، ثم قلت : وعزّتك إنْ لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقنّ نفسى ، قال : فخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال .

فبلغ ذلك الجنيد فقال : كان حكمه[1] أن تخرج له أفعى تلدغه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القوّاس ببغداد يقول : حدثنا محمد بن عطية قال : حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال : سمعت أبا بكر الصائغ قال : سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال : كنت بمكة ، فطال شعرى ولم يكن معى قطعة من حديد آخذ بها شعرى ، فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير ، فقلت : تأخذ شعرى لله تعالى ؟ فقال : نعم ، وكرامة ، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسنى ، وحلق شعرى ، ثم دفع إلىّ قرطاسًا فيه دراهم وقال لى : استعن بها على بعض حوائجك ، فأخذتها واعتقدت[2] أن أدفع إليه أوّل شىء يفتح علىّ به .

قال : فدخلت المسجد ، فاستقبلنى بعض أصحابى وقال لى : جاء بعض إخوانك بصرّة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار .

قال : فأخذت الصرّة وحملتها إلى المزين وقلت : هذه ثلاثمائة دينار تصرفها فى بعض أمورك . فقال لى : ألا تستحى يا شيخ !! تقول لى احلقْ شعرى لله ، ثم آخذ عليه شيئًا .. انصرف عافاك الله .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت بن سالم يقول : لما مات إسحاق بن أحمد دخل عليه سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها « سفطا »[3] فيه قارورتان فى واحدة منها شىء أحمر ، وفى الأخرى شىء أبيض ، ووجد « شوشقة »[4] ذهب ، وشوشقة فضة ، قال : فرمى بالشوشقين فى الدجلة ؛ وخلط ما فى القارورتين

---

(١) أى جزاء النورى .
(٢) أى عزمت .
(٣) السفط « بفتح الفاء » القفة .
(٤) يعنى : قطعة .

بالتراب ، وكان على إسحاق دين قال ابن سالم : قلت لسهل : ماذا كان فى القارورتين ؟ قال : إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهبًا ، والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة ، فقلت : وماذا عليه لو قضى منه ديْنه ؟

فقال : أى « دوست »[1] خاف على إيمانه .

وحكى عن النورى أنه خرج ليلة إلى شط « دجلة » فوجدها وقد التزق الشطان ، فانصرف وقال : وعزتك لا أجوزها إلا فى زورق[2] .

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السرَّاج يقول : أملى علينا الوجيهى حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال : كان أبو تراب النخشبى صاحب كرامات ، فسافرت معه سنة ، وكان معه أربعون نفسًا : ثم أصابتنا مرّة فاقة ، فعدل أبو تراب عن الطريق ، وجاء « بِعذْق » موز فتناولنا ، وفينا شاب فلم يأكل !! فقال له أبو تراب : كل ..

فقال : الحال الذى اعتقدته ترك المعلومات ، وصرت أنت معلومى ، فلا أصحبك بعد هذا !!

فقال له أبو تراب : كن مع ما وقع لك .

وحكى أبو نصر السراج عن أبى يزيد[3] قال : دخل علىَّ أبو علىّ السندىّ وكان أستاذه وبيده جراب ، فصبَّها فإذا هى جواهر ، فقلت : من أين لك هذا ؟ فقال : وافيت واديا هاهنا ، فإذا هو يضىء كالسراج ، فحملت هذا .

فقلت : فكيف كان وقتك الذى وردت فيه الوادى ؟

فقال : وقت فترة عن الحال التى كنت فيها .

وقيل لأبى يزيد : فلان يمشى فى ليلة إلى مكة !

فقال : الشيطان يمشى فى ساعة من المشرق إلى المغرب فى لعنة الله .

وقيل له فلان يمشى على الماء ويطير فى الهواء .

فقال : الطير يطير فى الهواء ، والسمك يمر على وجه الماء .

---

(١) لفظة فارسية معناها : يا صاحبى .

(٢) قال الإمام العروسى: أى التقيا له الشطان بحيث لو مد رجله كان على الشط الآخر فانصرف ، وقال تأدبًا واعترافًا بتوالى نعم الله عليه فى كل خارق : « وعزتك لا أجوزها إلا فى زورق » كسائر الناس .

(٣) البسطامى .

وقال سهل بن عبد الله : أكبر الكرامات أن تُبدّل خُلقًا مذمومًا من أخلاقك ...

سمعت محمد بن أحمد بن محمد التيمى يقول : سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول : سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبى يقول : كان رجل يقال له « عبد الرحمن بن أحمد » يصحب سهل بن عبد الله ، فقال له يومًا : ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدى قضبانَ ذهب وفضة .

فقال سهل : أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون « خشخاشة »[1] ليشتغلوا بها ؟!

سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السرّاج يقول أخبرنى جعفر بن محمد قال : حدثنى الجنيد قال :

دخلت على السرى يومًا فقال لى : عصفور كان يجيء فى كل يوم فأفتُّ له الخبز ، فيأكل من يدى ، فنزل وقتًا من الأوقات فلم يسقط على يدى ، فتذكرت فى نفسى : ماذا يكون السبب ؟ فذكرت أنى أكلت ملحًا بأبزار[2] ، فقلت فى نفسى : لا آكل بعدها ، وأنا تائب منه ، فسقط على يدى وأكل .

وحكى أبو عمرو الأنماطى قال : كنت مع أستاذى فى البادية ، فأخذنا المطر ، فدخلنا مسجدًا نستكنُّ فيه ، وكان السقف يكف[3] ، فصعدنا السطح ، ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف ، فقصر الخشب عن الجدار ، فقال لى أستاذى : مدّها ، فمددتها .. فركبت الحائط من ها هنا ومن ها هنا .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت محمد بن أحمد النجار يقول : سمعت الرقى يقول : سمعت أبا بكر الدقاق يقول :

كنت مارًا فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر .

وقال بعضهم : كنت عند خير النساج ، فجاءه رجل وقال : أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعت الغزل بدرهمين[4] ، فجئت خلفك ، فحللتها من طرف إزارك ، وقد صارت يدى منقبضة على الدرهمين فى كفى ، قال : فضحك خير وأومأ بيده إلى يدى ففتحها ، ثم قال : امض واشتر

---

(١) الخشخاش - بفتح الأول - نبات . واحدته خشخاشة .

(٢) الأبزار : التوابل .

(٣) أى يقطر ويسيل .

(٤) وصررت الدرهمين فى طرف إزارك .

بهما لعيالك شيئًا ، ولا تعد لمثله .

وحكى عن أحمد بن محمد السلمى قال : دخلت على ذى النون المصرى يومًا ، فرأيت بين يديه طشتا من ذهب ، وحوله النّدّ[١] ، و « العنبر » يسجر[٢] ، فقال لى : أنت ممن يدخل على الملوك فى حال بسطهم ؟ ثم أعطانى درهما ، فأنفقت منه إلى بلخ .

وحكى عن أبى سعيد الخرّاز قال : كنت فى بعض أسفارى ، وكان يظهر لى كل ثلاثة أيام شىء ، فكنت آكله ، وأستقلّ به[٣] ، فمضى علىّ ثلاثة أيام وقتًا من الأوقات ولم يظهر شىء فضعفت !! وجلست ، فهتف بى هاتف . أيما أحب إليك : سبب ، أو قوة ؟

فقلت : القوة . فقمت من وقتى ، ومشيت اثنى عشر يومًا لم أذق فيها شيئًا ، ولم أضْعُف .

وعن المرتعش قال : سمعت الخواص يقول : تهت فى البادية أيامًا ، فجاءنى شخص وسلم علىّ ، وقال لى : تهت !! فقلت له : نعم ، فقال : ألا أدلك على الطريق ؟

ومشى بين يدى خطوات ، ثم غاب عن عينى ، وإذا أنا على الجادة ، فبعد ذلك ما تهت ولا أصابنى فى سفر جوع ولا عطش .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى ، يقول : سمعت عمر بن يحيى الأردبيلى يقول : سمعت الرقىّ يقول : سمعت ابن الجلاء يقول لى :

لما مات أبى ضحك عند المغتسل ؛ فلم يجسر أحد يغسله ، وقالوا : إنه حىّ ، حتى جاء واحد من أقرانه وغسله .

سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت طلحة القصائرى يقول : سمعت المنيحى صاحب سهل بن عبد الله يقول : كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يومًا ، وكان إذا أكل ضعف ، وإذا جاع قوى .

وكان أبو عبيد البسرىّ إذا كان أو شهر رمضان يدخل بيتًا ، ويقول لامرأته : طبنى علىّ الباب ، وألقى إلىّ كل ليلة من الكوّة[٤] رغيفًا ، فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بثلاثين رغيفًا فى زاوية البيت ، فلا أكل ولا شرب ، ولا نام ، ولا فاتته ركعة من الصلاة .

---

(١) الند – بفتح النون – خليط من مسك وكافور .
(٢) أى يوقد فى النار .
(٣) أى أكتفى .
(٤) بفتح الكاف ، ومر الطاقة .

وقال أبو الحارث الأولاسى : مكثت ثلاثين سنة ما يسمع[1] لسانى إلّا من سرّى ، ثم تغيرت الحال ؛ فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سرّى إلّا من ربى .

حدثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا أبو الحسين غلام شعوانة قال : سمعت على ابن سالم يقول : كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة فى آخر عمره ، فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه ، فإذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانة .

وحكى عن أبى عمران الواسطى قال : انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح ، وقد ولدت فى تلك الحالة صبية ، فصاحت بى وقالت لى : يقتلنى العطش !! فقلت : هو ذَا يرى حالنا ؛ فرفعت رأسى ، فإذا رجل فى الهواء وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر ، وقال : هاكَ اشربا . قال : فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل . فقلت : من أنت رحمك الله ؟

فقال : عبد لمولاك . فقلت : بِمَ وصلت إلى هذا ؟

قال : تركت هواى لمرضاته فأجلسنى فى الهواء . ثم غاب عنى ولم أره .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا بكران بن أحمد الجيلى قال : سمعت يوسف ابن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول :

رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه ، وقلت : إنك تكثر الصلاة !! فقال : أنتظر الإذن من ربى فى الانصراف .

قال : فرأيت رقعة سقطت عليه ، مكتوب فيها : « من العزيز الغفور إلى عبدى الصادق : انصرف مغفورًا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

وقال بعضهم :

كنت بمدينة الرسول ﷺ فى مسجده مع جماعة نتجارى[2] الآيات ، ورجل ضرير بالقرب منا يسمع ، فتقدّم إلينا ، وقال : أنست بكلامكم ؛ واعلموا أنه كان لى صبية وعيال ، وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب ، فخرجت يومًا .. فرأيت شابا عليه قميص كتان ونعله فى إصبعه ، فتوهمت أنه تائه . فقصدته أسلب ثوبه : فقلت له : انزع ما عليك . فقال : سر فى حفظ الله . فقلت الثانية والثالثة . فقال : لا بد ؟ فقلت : لا بد !! فأشار من بعيد بأصبعه إلى عينى فسقطتا . فقلت : بالله عليك . من أنت ؟ فقال : إبراهيم الخوّاص .

---

(١) أى لا ينطق .

(٢) أى نقص وتحكى كرامات الأولياء .

وقال ذو النون المصرى :

كنت وقتًا فى السفينة فسرقت قطيفة[1] . فاتهموا بها رجلاً . فقلت : دعوه حتى أرفق به ، وإذا الشاب نائم فى عباءة ، فأخرج رأسه من العباءة فقال له : ذو النون فى ذلك المعنى[2] . فقال : ألىَ تقول ذلك ؟! أقسمت عليك يارب أن لا تدع واحدًا من الحيتان إلا جاء بجوهرة . قال : فرأينا وجه الماء حيتانًا فى أفواههم[3] الجواهر ، ثم ألقى الفتى نفسه فى البحر ومرّ إلى الساحل .

وحكى عن إبراهيم الخواص قال :

دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه « زُنار » فسألنى الصحبة فمشينا سبعة أيام . فقال لى : يا راهب الحنيفية[4] هات ما عندك من الانبساط فقد جعنا . فقلت : إلهى لا تفضحنى مع هذا الكافر ، فرأيت طبقًا عليه خبز وشِوَاء ورطب وكوز ماء . فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام . ثم بادرت وقلت : يا راهب النصارى . هات ما عندك . فقد انتهت النوبة إليك . فاتكأ على عصاه ، ودعا ، فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقى . قال : فتحيرت ، وتغيرت ، وأبيت أن آكل . فألح علىَّ فلم أجبه ، فقال : كل ؛ فإنى أبشرك ببشارتين . إحداهما : أنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله . وحَلّ الزنار ، والأخرى : أنى قلت : اللهم إن كان لهذا العبد خطر عندك فافتح علىّ بهذا ؛ ففتح ، فأكلنا ومشينا وحجّ[5] ، وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات ودفن بالبطحاء .

وقال محمد المبارك الصورى :

كنت مع إبراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمّان ، فصلينا ركعات ، فسمعت صوتًا من أصل الرمان : يا أبا إسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيئًا ، فطأطأ إبراهيم رأسه ، فقال ثلاث مرات . ثم قال : يا محمد كن شفيعًا إليه ؛ ليتناول منا شيئًا فقلت : يا أبا اسحق ، لقد سمعت ، فقام وأخذ رمانتين ، فأكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة ، وكانت شجرة قصيرة ، فلما رجعنا[6] مررنا بها فإذا هى شجرة عالية ورمانها حلو . وهى تثمر فى كل عام مرتين . وسموها « رمانة العابدين » ويأوى إلى ظلها العابدون . .

---

(١) وفى نسخة « جوهرة » .

(٢) أى اتهامهم له .

(٣) الأولى : فى أفواهها كما فى بعض النسخ .

(٤) أى المسلمين .

(٥) وفى نسخة وحججنا .

(٦) بعد زيارتها لبيت المقدس .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت محمد بن الفرحان يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت أبا جعفر الخصاف يقول : حدثنى جابر الرحبى قال :

أكثر أهلُ الرحبة علىَّ الإنكارَ فى باب الكرامات ، فركبت السبع يومًا ودخلت الرحبة ، وقلت : أين الذين يكذبون أولياء الله ؟ قال : فكفوا بعد ذلك عنى .

سمعت منصورًا المغربى يقول : رأى بعضهم الخضر عليه السلام ، فقال له : هل رأيت فوقك أحدًا ؟

فقال : نعم ، كان عبد الرزاق بن همام يروى الأحاديث بالمدينة ، والناس حوله يستمعون ...

فرأيت شابا بالبعد منهم رأسه على ركبتيه . فقلت له : يا هذا عبد الرزاق يروى أحاديث رسول الله ﷺ ، فلم لا تسمع منه ؟ فقال : إنه يروى عن ميت ، وأنا لست بغائب عن الله ؟

فقلت : إن كنت كما تقول ، فمن أنا ؟! فرفع رأسه وقال : أنت أخى أبو العباس الخضر ، فعلمت أن لله عبادًا لم أعرفهم .

وقيل : كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يقال له ، يحيى[1] ، يتعبد فى غرفة ليس إليها سُلم ولا دَرَج ، فكان إذا أراد أن يتطهر ، يجيء إلى باب الغرفة ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . ويمر فى الهواء كأنه طير ، ثم يتطهر ، فإذا فرغ يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازى بالبصرة قال : سمعت أبا محمد جعفر الحذاء بشيراز قال :

كنت أتأدب بأبى عمر الاصطخرى ، فكان إذا خطر لى خاطر أخرجُ إلى « اصطخر » فربما أجابنى عما أحتاج إليه من غير أن أسأله ، وربما سألته فأجابنى . ثم شغلت عن الذهاب فكان إذا خطر على سرِّى مسألة أجابنى من اصطخر ، فيخاطبنى بما يَردُ علىّ .

وحكى عن بعضهم قال :

مات فقير فى بيت مُظلم ، فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سراج ، فوقع من كوة ضوء .. فأضاء البيت ، فغسلناه ، فلما فرغنا ذهب الضوء كأنه لم يكن .

---

(١) ابن سعيد .

وعن آدم بن أبى إياس قال :

كنا بعسقلان ، وشاب يغشانا ويجالسنا . ويتحدث معنا ؛ فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلى ، قال : فودعنا يومًا وقال : أريد الإسكندرية . فخرجت معه ، وناولته دريهمات ، فأبى أن يأخذها . فألححت عليه فألقى كفا من الرمل فى ركوته . واستقى من ماء البحر . وقال : كله !! فنظرت فإذا هو سويق بسكر كثير . فقال ، من كان حاله معه[1] مثل هذا يحتاج إلى دراهمك ؟!

ثم أنشأ يقول :

بحقّ الهوى يا أهل ودّى تفهموا ... لسانَ وجودى بالوجود غريب
حرام على قلب تعرّض للهوى ... يكونُ لغير الحق فيه نصيب

ولغيره :

ليس فى القلب والفؤاد جميعا ... موضعٌ فارغ يراه الحبيب
هو سُؤْلى ومُنيتى وسرورى ... وبه ما حييت عيشى يطيب
وإذا ما السِّقام حلّ بقلبى ... لم أجد غيره لسقمى طبيب

وحكى عن إبراهيم الآجرى قال :

جاءنى يهودىّ يتقاضى علىّ فى دين[2]كان له علىّ . وأنا قاعد عند الأتون أوقد تحت الآجر . فقال لى اليهودى : يا إبراهيم . أرنى آية أسلم عليها ..

فقلت له : تفعل ؟! فقال : نعم . فقلت : انزع ثوبك . فنزع ، فلففته ، ولففت على ثوبه ثوبى ، وطرحته فى النار ، ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر ، فإذا ثيابى بحالها لم يصبها شىء ، وثيابُه[3] فى وسطها صارت حراقةً . فأسلم اليهودىّ .

وقيل : كان حبيب العجمى يُرى بالبصرة يوم التروية ، ويوم عرفة بعرفات سمعت محمد ابن عبد الله الصوفى يقول : سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغانى يقول :

تزوج عباس بن المهتدى امرأة ، فلما كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامة ، فلما أراد الدنوَّ منها زُجر عنها ، فامتنع من وطئها ، وخرج .. فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوج !!

---

(١) وفى نسخه « مع الله » .
(٢) أى : يطالبنى بدين .
(٣) وفى نسخة « وثوبه فى وسطه » .

قال الأستاذ الإمام : هذا هو الكرامة على الحقيقة ؛ حيث حَفظ عليه العلم .

وقيل : كان الفضيل بن عياض على جبل من جبال « مِنى » ، فقال : لو أن وليا من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد[1] لماد ، قال : فتحركَّ الجبل . فقال : اسكن ، لم أردك بهذا !! فسكن الجبل .

وقال عبد الواحد بن زيد لأبي عاصم البصري :

كيف صنعت حين طلبك الحجاج ؟ قال : كنت في غرفتي فدقوا على الباب ، فدخلوا ، فدَفعت بي دفعةً ، فإذا أنا على جبل « أبي قبيس » بمكة ، فقال له عبد الواحد : من أين كنت تأكل ؟ قال : كانت تصعد إلى عجوز كلَّ وقت إفطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة .

فقال عبد الواحد : تلك الدنيا أمرها الله تعالى أن تخدم أبا عاصم .

وقيل : كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه[2] ، ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئًا ، فكان إذا أتى منزله رمى إليه بالدراهم ، فتكون بمقدار ما أخذه لم ينقص شيئًا .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول : سمعت أبا أحمد الكبير يقول : سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول : سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول :

دخلت على الجنيد ، وكنت أريد أن أخرج إلى الحج ، فأعطاني درهمًا صحيحًا ، فشددته على مئزري ، فلم أدخل منزلاً إلا وجدت فيه رفقاء ، ولم أحتج إلى الدرهم ؛ فلما حججت ، ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد ، فمدَّ يده وقال : هات ، فناولته الدرهم ، كيف كان ؟ فقلت : كان الحتم[3] نافذًا .

وحكى عن أبي جعفر الأعور قال :

كنت عند ذي النون المصري ، فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء ، فقال ذو النون ؛ من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت ، ثم يرجع إلى مكانه فيفعل ، قال : فدار السرير في أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه ، وكان هناك شاب فأخذ يبكي حتى مات في الوقت .

---

(١) يتحرك .
(٢) نصيبه الشهري من بيت المال .
(٣) أي الأمر .

وقيل : إن واصلاً الأحدب قرأ : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[١] . فقال : رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض ؟ والله لا طلبته أبدًا !! فدخل خَربةً ومكث يومين فلم يظهر له شيء[٢] . فاشتد عليه ، فلما كان اليوم الثالث إذا « بدوخلة »[٣] من رطب ، وكان له أخ أحسن منه نيّة ، فصار معه ، فإذن : قد صار دوخلتين[٤] فلم يزل ذلك حالهما حتى فرّق بينهما الموت .

وقال بعضهم : أشرفت على إبراهيم بن أدهم ، وهو في بستان يحفظه ، وقد أخذه النوم ، وإذا حية في فيها[٥] طاقةُ نرجس تروّحه بها .

وقيل : كان جماعة مع أيوب السجستاني في السفر فأعياهم طلب الماء ، فقال أيوب : أتسترون عليّ ما عشت ؟ فقالوا : نعم ، فدور دائرة فنبع الماء ، فشربنا قال : فلما دخلنا البصرة[٦] أخبر به حماد بن زيد ، فقال عبد الواحد بن زيد : شهدتُ معه ذلك اليوم .

وقال بكر بن عبد الرحمن :

كنا مع ذي النون المصري في البادية ، فنزلنا تحت شجرة من « أم غيلان » فقلنا : ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب ؛ فتبسم ذو النون وقال أتشتهون الرطب ؟ وحرّك الشجرة وقال : أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرتِ علينا رطبًا جنيا .. ثم حرّكها ، فنثرت رطبا جنيا . فأكلنا وشبعنا . ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكًا .

وحكى عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال :

كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد الخراز نمشي على ساحل البحر نحو « صيدا » فرأى شخصًا من بعيد ، فقال : اجلسوا . لا يخلو هذا الشخص أن يكون وليا من أولياء الله . قال : فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه ، وبيده رِكوة و « محبرة » وعليه مرقّعة . فالتفت أبو سعيد إليه منكرًا عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له : يا فتى ، كيف الطرق إلى الله تعالى ؟ فقال : يا أبا سعيد ، أعرف إلى الله طريقين : طريقا خاصا ، وطريقا عاما ، فأما الطريق العام فالذي أنت عليه ، وأما الطريق الخاص : فهلم[٧] ، ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا . فبقى أبو سعيد حيران مما رأى !!

---

(١) آية ٢٢ من سورة الذاريات .
(٢) أي رزق .
(٣) قفة من خوص يوضع فيها الرطب .
(٤) صار ما معه مضاعفًا لوجود أخيه معه .
(٥) وفي نسخة في فمها .
(٦) بعد موت أيوب .
(٧) أي : تعال إلي لأعرفه لك .

وقال الجنيد :

جئت مسجد « الشونزية » فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون فى الآيات[1] فقال فقير منهم : أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة كونى ذهبًا نصفك ، ونصفك فضةً كانت .. قال الجنيد : فنظرت . فإذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة .

وقيل : حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى ، فعرض لهما سبع ، فقال سفيان لشيبان : أما ترى هذا السبع ؟ فقال : لا تخف ، فأخذ شيبان أذنه فعركها ... فبصبص[2] وحرّك ذنبه .. فقال سفيان : ما هذه الشهرة ؟! فقال : لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادى إلا على ظهره حتى آتى مكة !!

وحكى أن السرى لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها . فأبطأت يومًا ، فقال لها السرى : لم أبطأت ؟! فقالت : لأن غزلى لم يشتر ، وذكروا أنه مخلط ، فامتنع السرى عن طعامها ، ثم إن أخته دخلت عليه يومًا فرأت عنده عجوزًا تكنس بيته ، وتحمل إليه كل يوم رغيفين . فحزنت أخته[3] وشكت إلى أحمد بن حنبل ، فقال أحمد بن حنبل للسرى فيه ؛ فقال : لما امتنعتُ من أكل طعامها قيض الله لى الدنيا لتنفق على وتخدمنى .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا على بن هارون قال : حدثنا على ابن أبى محمد التميمى قال : حدثنا جعفر بن القاسم الخواص قال : حدثنا أحمد بن محمد الطوسى قال : حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال :

كنت عند أبى محفوظ معروف الكرخى ، فدعا لى ؛ فرجعت إليه من الغد وفى وجهه أثر ، فقال له إنسان : يا أبا محفوظ ، كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر ، فما هذا ؟! فقال : سل عما يعنيك !! فقال الرجل : بمعبودك أن تقول ، فقال : صليت البارحة ها هنا ، واشتهيت أن أطوف بالبيت ، فمضيت إلى مكة ، وطفتُ ، ثم مِلت إلى زمزم ؛ لأشرب من مائها . فزلقت على الباب ، فأصاب وجهى ما تراه .

وقيل : كان عتبة الغلام يقعد فيقول : « ياوَرَشان »[4] إن كنت أطوع لله عز وجل منى فتعال واقعد على كفى : فيجىء « الوَرَشان » ويقعد على كفه .

---

(١) أى : الكرامات .
(٢) أى : حرك .
(٣) وفى نسخة : فخرجت .
(٤) نوع من الطيور .

وحكى عن أبى على الرازى أنه قال :

مررت يومًا على الفرات ، فَعرَّضَتْ لنفسى شهوة السمك الطرىّ ، فإذا الماء قد قذف سمكة نحوى ، وإذا رجل يعدو ويقول : أشويها لك ؟

فقلت : نعم . فشواها ، فقعدت وأكلتها .

وقيل : كان إبراهيم بن أدهم فى رفقة فعرض لهم السبع : فقالوا : يا أبا إسحاق قد عرض لنا السبع !! فجاء إبراهيم وقال : يا أسد ، إن كنت أمرت فينا بشىء فامض ، وإلا فارجع . فرجع الأسد ، ومضوا .

وقال حامد الأسود :

كنت مع الخواص فى البرية ، فبتنا عند[1] شجرة ، إذ جاء السبع ، فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذنى النوم ، ونام إبراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه .. ثم مضى .

فلما كانت الليلة الثانية بتنا فى مسجد فى قرية ، فوقعت بقّة على وجهه فضرَبته[2] ، فأنَّ أنةً ، فقلت : هذا عجب ، البارحة لم تجزع من الأسد ، والليلة تصيح[3] من البقّ !!

فقال : أما البارحة ، فتلك حالة كنت فيها بالله عز وجل ، وأما الليلة ، فهذه حالة أنا فيها بنفسى[4] .

وحكى عن عطاء الأزرق : أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ؛ ليشترى لهم شيئًا من الدقيق ، فخرج من بيته ، فلقى جارية تبكى ، فقال لها : مابالك ؟ فقالت : دفع إلى مولاى درهمين اشترى لهم شيئًا ، فسقطا منى فأخاف أن يضربنى !! فدفع عطاء الدرهمين إليها . ومرّ . وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الساج[5] وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته ، فقال له صاحبه : خذ من هذه النشارة فى هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها فى سجر التنور[6] ؛ إذ ليس يساعدنى الإمكان فى شىء آخر .. فحمل النشارة ، وفتح باب داره ، ورمى بالجراب ، وردّ الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العُتْمة ؛ ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة ، فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز ؛ فقال : من أين لكم هذا الخبز ؟ فقالوا : من الدقيق الذى كان فى الجراب . لا تشتر من غير هذا الدقيق ! قال : أفعل إن شاء الله .

---

(١) وفى نسخة « تحت شجرة » .
(٢) أى قرصته .
(٣) وفى نسخة « تضج » .
(٤) أى مشتغل بنفسى .
(٥) نوع من الخشب .
(٦) أى إيقاده .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا جعفر بن بركات يقول :

كنت أجالس الفقراء ، ففتح عليَّ بدينار ، فأردت أن أدفعه إليهم ، ثم قلت فى نفسى : لعلى أحتاج إليه .. فهاج بى وجع الضرس ، فقلعت سِنًّا ، فوجعت الأخرى حتى قلعتها ..

فهتف بى هاتف : إن لم تدفع إليهم الدينار ، فلا يبقى فى فمك سنٌّ واحدة !!.

قال الأستاذ : وهذا[1] فى باب الكرامة أتم من أن كان يفتح عليه بدنانير كثيرة تنقض العادة .

وحكى أبو سليمان الدارانى قال :

خرج عامر بن قيس إلى الشام ، ومعه « شِكوَة »[2] إذا شاء صَبَّ منها ماءً ليتوضأ للصلاة ، وإذا شاء صبّ منها لبنًا يشربه .

وروى عثمان بن أبى العانكة قال :

كنا فى غزاة فى أرض الروم ، فبعث الوالى سرية إلى موضع ، وجعل الميعاد فى يوم كذا .

قال : فجاء الميعاد ولم تقدم السرية ، فبينا أبو مسلم[3] يصلى إلى رمحه الذى ركزه بالأرض إذ جاء طائر إلى رأس السنان وقال : إن السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا فى وقت كذا .

فقال أبو مسلم للطير : من أنت ، رحمك الله تعالى ؟

فقال : أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين .

فجاء أبو مسلم إلى الوالى وأخبره بذلك ، فلما كان اليوم الذى قال أتت السرية على الوجه الذى قال .

وعن بعضهم قال :

كنا فى مركب فمات رجل كان معنا عليلٌ ، فأخذنا فى جهازه ، وأردنا أن نلقيه فى البحر فصار البحر جافا ، ونزلت السفينة[4] ، فخرجنا وحفرنا له قبرًا ، ودفناه ، فلما فرغنا استوى الماء ، وارتفع المركب ، وسرنا .

---

(١) أى تنبيه الله ، سبحانه ، له بوساطة الهاتف .

(٢) قربة .

(٣) الخولانى .

(٤) على الأرض .

وقيل : إن الناس أصابتهم مجاعة بالبصرة ، فاشترى حبيب العجمى طعامًا بالنسيئة ، وفرقه على المساكين وأخذ كيسه فجعله تحت رأسه ، فلما جاءوا يتقاضونه أخذه ، وإذا هو مملوء دراهم ، فقضى منها ديونهم .

وقيل : أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة فأبوا إلا أن يعطيهم دينارًا ، فصلى على الشط ركعتين ، وقال : اللهم إنهم قد سألونى ما ليس عندى ، فصار الرمل بين يديه دنانير .

حدثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدثنا محمد بن أحمد المروزى قال : حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو حمزة نصر بن الفرج خادم أبى معاوية الأسود قال :

كان أبو معاوية ذهب بصره ، فإذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيرد الله عليه بصره ، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره ..

وقال أحمد بن الهيثم المتطيب : قال لى بشر الحافى : قل لمعروف الكرخى : إذا صليت جئتك ؛ قال : فأديت الرسالة وانتظرته ، فصلينا الظهر ولم يجىء ، ثم صلينا العصر ، ثم المغرب ، ثم العشاء ، فقلت فى نفسى : سبحان الله مثلُ بشرٍ يقول شيئًا ثم لا يفعل !! لا يجوز أن لا يفعل !!.. وانتظرته وأنا فوق مسجد على مَشْرَعة[1] ، فجاء بشر بعد هوى من الليل ، وعلى رأسه سجادة ، فتقدم إلى دجلة ومشى على الماء ، فرميت بنفسى من السطح ، وقبلت يديه ورجليه ، وقلت : ادع الله لى ، فدعا لى ، وقال : استره علىّ . قال : فلم أتكلم بهذا حتى مات .

سمعت أبا عبد الله الشيرازى قال : حدثنا أبو الفرج الورثانى قال : سمعت على بن يعقوب بدمشق قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول : سمعت قاسمًا الجرعى يقول :

رأيت رجلًا فى الطواف لا يزيد على قوله : إلهى ، قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتى ..

فقلت : مالك لا تزيد على هذا الدعاء ؟

فقال : أُحَدِّثك .. اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى ، فخرجنا إلى الجهاد ، فأسَرَنا الروم ، ومضوا بنا لنقتل ؛ فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين ، فقدم واحد منا فضربت عنقه ، فرأيت جارية منهن هبطت إلى الأرض وبيدها منديل فقبضت روحه حتى ضُربت أعناق ستة منا ، فاستوهبنى بعض رجالهم ، فقالت الجارية :

---

(١) المشرعة : بفتح الميم والراء شريعة الماء « موردة الشاربة » .

أيُّ شيء فاتك يا محروم !!.. وغلّقت الأبواب ؛ فأنا يا أخى متأسف متحسر على ما فاتنى ...

قال قاسم الجرعى :

أراه أفضلهم ، لأنه رأى ما لم يروا .. وعمل على الشوق بعدهم .

وسمعته يقول : سمعت أبا النجم أحمد بن الحسين « بخورستان » يقول سمعت أبا بكر الكتانى يقول :

كنت فى طريق مكة فى وسط السنة ، فإذا أنا « بهميان »[1] ملآن يلتمع دنانير ، فهممت أن أحمله لأفرقه على فقراء مكة ، فهتف بى هاتف : إن أخذته سلبناك فقرك .

حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا أحمد بن يوسف الخياط قال : سمعت أبا على الرُّوذبارى يقول : سمعت العباس الشرقى يقول :

كنا مع أبى تراب النخشبى فى طريق مكة ، فعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه : أنا عطشان . فضرب برجله إلى الأرض فإذا عين من ماء زلال ، فقال الفتى : أحب أن أشربه فى قدح ، فضرب بيده إلى الأرض فناوله قدحًا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت ، فشرب وسقانا ، وما زال القدح معنا إلى مكة فقال لى أبو تراب يومًا : ما يقول أصحابك فى هذه الأمور التى يكرم الله بها عباده ؟ ..

فقلت : ما رأيت أحدًا إلا وهو يؤمن بها .

فقال : من لم يؤمن بها فقد كفر ، إنما سألتك من طريق الأحوال .

فقلت : ما أعرف لهم قولاً فيه .

قال : بلى ، قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق ، وليس الأمر كذلك ، إنما الخدع فى حال السكون إليها ، فأما من لم يقترح ذلك[2] ، ولم يساكنها فتلك مرتبة الرَّبانيين .

حدثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا أبو الفرج الورثانى قال :

سمعت محمد بن الحسين الخلدى بطرسوس قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول :

كنا فى غرفة سرىّ السقطى ببغداد ، فلما ذهب من الليل شىء لبس قميصًا نظيفًا وسراويل ورداء ونعلاً ، وقام ليخرج ؛ فقلت : إلى أين فى هذا الوقت ؟ فقال : أعود فتحًا الموصلى .

---

(١) الهميان : الكيس .

(٢) أى لم يسألها .

فلما مشى فى طرقات بغداد أخذه العَسَسُ وحبسوه ، فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين ، فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقفت يده فلم يقدر أن يحركها فقيل للجلاد : اضرب !!

فقال : بحذائى شيخ واقف يقول لى لا تضربه ، فتقف يدى لا تتحرك .

فنظروا من الرجل ، فإذا هو فتح الموصلى ؛ فلم يضربوه .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال : حدثنا الحارث الخطابى قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا على بن مسلم قال : حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال :

كان أناس من قريش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد ، فأتوه يومًا وقالوا : إنا نخاف من الضيقة والحاجة !! فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إنى أسألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من أوليائك ، وتلهمه الصفى من أحبابك أن تأتينا برزق من لدنك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنان المنان القديم الإحسان ، اللهم الساعة ، الساعة ..

قال : فسمعت والله قعقعة للسقف ، ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم ، فقال عبد الواحد بن زيد : استغنوا بالله عز وجل عن غيره ، فأخذوا ذلك ، ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد شيئًا .

سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن على الجوزى بـ « جند يسابور » قال : سمعت الكتانى يقول :

رأيت بعض الصوفية ، وكان غريبا ما كنت أثبته[1] قد تقدّم إلى الكعبة وقال : ياربّ ما أدرى ما يقول هؤلاء ! - يعنى الطائفين - فقيل له : انظر ما فى هذه الرقعة . قال : فطارت الرقعة فى الهواء وغابت .

وسمعته يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر الورثانى يقول : سمعت محمد بن على بن الحسين المقرى بـ « طرسوس » يقول : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول :

اشتهت والدتى على والدى يوماً من الأيام سمكاً ، فمضى والدى إلى السوق وأنا معه ، فاشترى سمكاً ، ووقف ينتظر من يحمله ، فرأى صبيا وقف بحذائه مع صبى فقال : ياعم ، تريد من يحمله ؟ فقال : نعم ، فحمله ومشى معنا ، فسمعنا الأذان ، فقال الصبى : أذّن

---

(١) أى أعرفه .

المؤذن ، وأحتاج أن أتطهر وأصلى ، فإن رضيت ، وإلا فاحمل السمك ، ووضع الصبى السمك ومرّ .

فقال أبي : فنحن أولى أن نتوكل(١) فى السمك . فدخلنا المسجد فصلينا ، وجاء الصبىّ وصلى ، فلما خرجنا فإذا بالسمك موضوع مكانه ، فحمله الصبى ومضى معنا إلى دارنا .

فذكر والدى ذلك لوالدتى ، فقالت : قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا ، فقلنا له ، فقال : إنى صائم ، فقلنا : فتعود إلينا بالعشى ، فقال : إذا حملت مرّة فى اليوم لاأحمل ثانياً ، ولكنى سأدخل المسجد إلى المساء ، ثم أدخل عليكم ، فمضى .

فلما أمسينا دخل الصبى ، وأكلنا ، فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة ، ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة ، فتركناه فى بيت ، فلما كان فى بعض الليل وكان لقريب لنا بنتٌ زمنة ، فجاءت تمشى ، فسألناها عن حالها ، فقالت : قلت يارب بحرمة ضيفَنا أن تعافينى ، فقمت . قالت : فمضينا لنطلب الصبى ، فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ، ولم نجد الصبى . فقال أبى : فمنهم صغير ، ومنهم كبير .

سمعت محمد بن الحسين يقول : حدثنا أبو الحارث الخطابى قال : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا علىّ بن مسلم قال : حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال :

أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس فى ظل ، فقلت له : لو سألت الله أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل : فقال : ربى أعلم بمصالح عباده ، ثم أخذ حصى من الأرض ، ثم قال : اللهم إن شئت أن تجعلها ذهباً فعلت ، فإذا هى والله فى يده ذهب ، فألقاها إلىّ وقال : أنفقها أنت فلا خير فى الدنيا إلا للآخرة .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول : سمعت الرّقى يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول :

قال لى أستاذى أبو يعقوب السوسى : غسّلتُ فريداً فأمسك إبهامى وهو على المغتسل . فقلت : يا بنى خلّ يدى ؛ أنا أدْرى أنك لست بميت ، وإنما هى نقلة من دار إلى دار .. فخلى يدى .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسى يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول :

---

(١) أى يتوكلا على الله .

صحبتى شاب حسن الإرادة ، فمات ، فاشتغل قلبى به جدًّا ، وتوليت غسله ، فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة ، فأخذها منى وناولنى يمينه ؛ فقلت : صدقت يا بنى ، أنا غلطت .

وسمعته يقول : سمعت أبا النجم المقرّى البرذعى بشيراز يقول : سمعت الرّقىّ يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول : سمعت أبا يعقوب السوسى يقول :

جاءنى مريد بمكة فقال : يا أستاذ ، أنا غداً أموت وقت الظهر ؛ فخذ هذا الدينار فاحفر لى بنصفه ، وكفنى بنصفه الآخر ، ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ، ثم تباعد ومات ، فغسلته ، وكفّنته ووضعته فى اللحد ، ففتح عينيه ، فقلت : أحياة بعد موت ؟! فقال : أنا حىّ ، وكل محبٍ لله حى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول : سمعت أبا على بن وصيف المؤدب يقول :

تكلم سهل بن عبد الله يوما فى الذكر فقال : ان الذاكر لله على الحقيقة لو همّ أن يحيى الموتى لفعل ، ومسح يده على عليلٍ بين يديه ، فبرئَ ، وقام .

سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول : أخبرنى على بن إبراهيم بن أحمد قال : حدثنا عثمان بن أحمد قال : حدثنا الحسين بن عمر قال : سمعت بشر بن الحارث يقول :

كان عمرو بن عُتبة يصلى والغمام فوق رأسه ، والسباع حوله تحرك أذنابها .

وسمعته يقول : سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول : سمعت المغازلى يقول : سمعت الجنيد يقول :

كانت معى أربعة دراهم فدخلت على السرى وقلت : هذه أربعة دراهم حملتها إليك ، فقال : أبشر يا غلام بأنك تُفلح ؛ كنت أحتاج إلى أربعة دراهم ؛ فقلت « اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك » .

وسمعته يقول : حدثنى إبراهيم بن أحمد الطبرى قال : حدثنا أحمد بن يوسف قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيى قال : حدثنى أبى قال : حدثنى أبو إبراهيم اليمانى قال : خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتهينا إلى « غيضة »[1] فيها حطب

---

(١) أشجار من قصب .

يابس كثير ، وبالقرب منه حصن ، فقلنا لإبراهيم بن أدهم : لو أقمنا الليلة هاهنا وأوقدنا من هذا الحطب ؟ فقال : افعلوا فطلبنا النار من الحصن . فأوقدنا ، وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل ، فقال واحد منا : ما أحسن هذا الجمر ، لو كان لنا لحم نشويه عليه ؟! فقال إبراهيم بن أدهم : إن الله تعالى لقادر على أن يطعمكموه . قال : فبينا نحن كذلك إذا بأسد يطرد « إيَّلا »[1] فلما قرب منا وقع ، فاندقت عنقه[2] ، فقام إبراهيم بن أدهم وقال : اذبحوه ، فقد أطعمكم الله . فذبحناه .. وشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا القاسم عبد الله بن على الشجرى يقول : سمعت حامداً الأسود يقول :

كنت مع إبراهيم الخواص فى البادية سبعة أيام على حالة واحدة ، فلما كان السابع ضعفت ، فجلست ، فالتفت إلى وقال مالك ؟ فقلت : ضعفت !! فقال : أيما أغلب عليك[3] : الماء أو الطعام ؟ فقلت : الماء ، فقال : الماء وراءك .

فالتفت فإذا عين ماء كاللبن الحليب ، فشربت وتطهرت ، وإبراهيم ينظر ولم يقربه . فلما أردت القيام هممت أن أحمل منه ؛ فقال ، أمسك ؛ فإنه ليس مما يتزود منه .

سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول : سمعت أبا عبد الله الدباس البغدادى يقول : سمعت فاطمة أخت أبى علىّ الروذبارى تقول : سمعت زيتونة خادمة أبى الحسين النورى – وكانت تخدمه ، وخدمت أبا حمزة ، والجنيد – قالت :

كان يوم بارد ، فقلت للنورى : أحمل إليك شيئاً ؟ فقال : نعم ، فقلت : ماذا تريد ؟ قال : خبز ولبن[4] ، فحملت ، وكان بين يديه فحم ، وكان يقلبها بيده وقد اشتغلت يده ، فأخذ يأكل الخبز واللبنُ يسيل على يده وعليها سواد الفحم ، فقلت فى نفسى : ما أقذر أولياءك يارب !! ما فيهم أحد نظيف !! قالت : فخرجت من عنده ، فتعلقت بى امرأة وقالت : سرقت لى رزمة ثياب وجرونى إلى الشرطىّ ، فأخبر النورى بذلك ، فخرج وقال للشرطى : لا تتعرضوا لها ؛ فإنها وليّة من أولياء الله تعالى ، فقال الشرطى : كيف أصنع والمرأة تدّعى ؟!

---

(١) التيس الجبلى .
(٢) وفى نسخة « ومد عنقه » .
(٣) وفى نسخة « أحب إليك » .
(٤) والأولى لغويا أن يكون التعبير « خبزًا ولبنًا » .

قال : فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة ، فاستردّ النورى المرأة ، وقال لها : تقولين بعد هذا ما أقذر أولياءك ، قالت : فقلت قد تبت إلى الله تعالى .

سمعت محمد بن عبد الله الشيرازى يقول ؛ سمعت محمد بن فارس الفارسى يقول : سمعت أبا الحسن خيراً النساج يقول : سمعت الخواص يقول :

عطشت فى بعض أسفارى وسقطت من العطش فإذا أنا بماء رُشَّ على وجهى ففتحت عينى فإذا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء ، فسقانى الماء ، وقال : كن رديفى ، وكنت بالحجاز فما لبثت إلّا يسيراً ، فقال لى : ما ترى ؟ فقلت : أرى المدينة ، فقال : انزل وأقرئ رسول الله ﷺ منى السلام ، وقل : أخوك الخضر يقرئك السلام .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول : قال أبو الحديد : سمعت المظفر الجصّاص يقول :

كنت أنا ونصر الخراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيئاً من العلم ، فقال الخراط : إن الذاكر لله تعالى فائدته فى أول ذكره أن يعلم أن الله تعالى ذكره فبذكر الله تعالى ذِكرهُ . قال فخالفته ، فقال : لو كان الخضر عليه السلام هاهنا لشهد بصحته ، قال : فإذا نحن بشيخ يجىء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم وقال : صدق : الذاكرُ لله تعالى بفضل ذكر الله تعالى له ذكره ، فعلمنا أنه الخضر ، عليه السلام :

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول :

جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال : إن الناس يقولون إنك تمشى على الماء . فقال : سل مؤذن المحلة ، فإنه رجل صالح لا يكذب . قال : فسألته ، فقال المؤذن : لا أدرى هذا !! ولكنه كان فى بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهر فوقع فى الماء فلو لم أكن أنا لبقى فيه .

قال الأستاذ أبو على الدقاق :

إن سهلا كان بتلك الحالة التى وصف بها ، ولكن الله سبحانه يريد أن يستر أولياءه فأجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض ستراً لحال سهل ، وسهل كان صاحب الكرامات .

وفى قريب من هذا المعنى[1] ما حكى عن أبى عثمان المغربى قال :

رأيته بخط أبى الحسين الجرجانى قال : أردت مرة أن أمضى إلى مصر ، فخطر لى أن أركب

---

(١) أى من ستر حال الولى .

السفينة ، ثم خطر ببالى أنى أعرف هناك ، فخفت الشهرة ، فمرّ المركب فبدا لى ، فمشيت على الماء ولحقت بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون ، ولم يقل أحد إن هذا ناقض للعادة أو غير ناقض ، فعرفت أن الولى مستور وإن كان مشهوراً .

ومما شاهدنا من أحوال الأستاذ أبى على الدقاق ، رضى الله عنه : معاينة أنه كان به علة حرقة[1] البول ، وكان يقوم فى ساعة غير مرة ، حتى كان يجدد الوضوء غير مرة لركعتى فرض ، وكان يحمل معه قارورة فى طريق المجلس ، وربما كان يحتاج إليها فى الطريق مرات ذاهباً وجائيا ، وكان إذا قعد على رأس الكرسى يتكلم لا يحتاج إلى الطهارة ولو امتد به المجلس زماناً طويلاً ، وكنا نعاين ذلك منه سنين ، ولم يقع لنا فى حياته أن هذا شىء ناقض للعادة ، وإنما وقع لى هذا وفتح علىَّ علمه بعد وفاته .

وفى قريب من هذا ما يحكى عن سهل بن عبد الله أنه كان قد أصابته زمانة فى آخر عمره ، فكان ترد عليه القوة فى أوقات الفرض فيصلى قائما .

ومن المشهور أن عبد الله الوزان كان مقعدا ، وكان فى السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : حدثنا إبراهيم بن محمد المالكى قال : حدثنا يوسف بن أحمد البغدادى قال : حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال :

حججت أنا وأبو سليمان الدارانى ، فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة[2] منى ، فقلت لأبى سليمان فقدت السطيحة ، وبقينا بلا ماء ، وكان برد شديد ، فقال أبو سليمان : ياراد الضالة .. ويا هادياً من الضلالة أردد علينا الضالة ، فإذا واحد ينادى : من ذهبت له سطيحة ؟ قال : فقلت : أنا .. فأخذتها ، فبينا نحن نسير وقد تدَرَّعنا بالفراء من شدة البرد فإذا نحن بإنسان عليه طِمْران[3] وهو يترشح عرقاً ، فقال أبو سليمان : تعال ندفع إليك شيئاً مما علينا من الثياب ، فقال : يا أبا سليمان أتشير إلىّ بالزهد وأنت تجد البرد ؟ أنا أسبح فى هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ، ولا ارتعدت ، يلبسنى الله فى البرد فيحاً من محبته ، ويلبسنى فى الصيف مذاق برد محبته .. ومرَّ .

---

(١) وفى نسخه « حزق » .

(٢) أى : القربة .

(٣) أى ثوبان قديمان .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر محمد بن على التكريتى[1] يقول : سمعت محمد بن على الكتانى بمكة يقول : سمت الخواص يقول : كنت فى البادية مرة ، فسرت فى وسط النهار ، فوصلت إلى شجرة ، وبالقرب منها ماء ، فنزلت ، فإذا بسبع عظيم أقبل ، فاستسلمت ، فلما قرب منى إذا هو يعرج ، فحمحم وبرك بين يدى ، ووضع يده فى حجرى ، فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم ، فأخذت خشبة وشققت الموضع الذى فيه القيح ، وشددت على يده خرقة ، ومضى ، فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان يبصبصان[2] لى ، وحملا إلى رغيفاً .

وسمعته يقول : حدثنا أحمد بن على السائح قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال : حدثنا محمد بن الحسين العسقلانى قال : حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال : اشتكى محمد بن السماك ، فأخذنا ماءه[3] وانطلقنا به إلى الطبيب ، وكان نصرانيا .

قال : فبينا نحن نسير بين « الحيرة » و « الكوفة » استقبلنا رجل حسن الوجه ، طيب الرائحة ، نقى الثوب ، فقال لنا : إلى أين تريدان ؟ فقلنا : نريد فلاناً الطبيب نريه ماء ابن السماك .

فقال : سبحان الله !! تستعينون على ولىّ الله بعدوّ الله !!.. اضربوا به الأرض ، وأرجعوا إلى ابن السماك وقولوا له : ضع يدك على موضع الوجع وقل : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾[5] ثم غاب عنا فلم نره .

فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك ، فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل ، فعوفى فى الوقت ، فقال : كان ذلك الخضر عليه السلام .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفى يقول : سمعت عمى البسطامى يقول : كنا قعودا فى مجلس أبى يزيد البسطامى ، فقال : قوموا بنا نستقبل وليا من أولياء الله تعالى . فقمنا معه ، فلما بلغنا الدرب فإذا إبراهيم بن شيبة الهروى ، فقال له أبو يزيد : وقع فى خاطرى أن أستقبلك ، وأشفع لك إلى ربّى . فقال إبراهيم بن شيبة : ولو شفعت فى جميع الخلق لم يكن بكثير ، إنما هم قطعة طين !! فتحير أبو يزيد من جوابه .

قال الأستاذ : وكرامة إبراهيم فى استصغار ذلك أتم من كرامة أبى يزيد فيما حصل له من الفراسة ، وصدق له من الحالة فى باب الشفاعة .

---

(١) وفى نسخة « البكرى ». (٢) يحركان ذنبيهما.

(٣) بوله. (٥) سورة الإسراء الآية ١٠٥.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سأله سالم المغربى عن أصل توبته ، فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى ، فنمت فى الطريق ، ثم انتبهت ، وفتحت عينى ، فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة على الأرض ، فانشقت الأرض ، فخرج منها « سكر جتان » إحداهما من ذهب ، والأخرى من فضة ، وفى إحداهما سمسم ، وفى الأخرى ماء ورد فأكلتْ من هذه ، وشربت من هذه فقلت : حسبى .. تبت ، ولزمت الباب إلى أن قبلنى .

وقيل : أصاب عبد الواحد بن زيد « فالج » فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء ، فقال : من ها هنا ، فلم يجبه أحد فخاف فوت الوقت ، فقال : يارب أحللنى من وثاقى ؛ حتى أقضى طهارتى ، ثم شأنك وأمرك . قال : فَصحَّ ، حتى أكمل طهارته ، ثم عاد إلى فراشه ، وصار كما كان .

وقال أبو أيوب الحمال : كان أبو عبد الله الديلمى إذا نزل منزلاً فى سفر عمد إلى حماره وقال فى أذنه : كنت أريد أن أشدّك ، فالآن لا أشدّك ، وأرسلك فى هذه الصحراء ؛ لتأكل الكلأ ، فإذا أردنا الرحيل فتعال .. فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار .

وقيل : زوج أبو عبد الله الديلمى ابنته ، واحتاج إلى ما يجهزها به ، وكان له ثوب يخرج به كل وقت فيُشترى بدينار ، فخرج له ثوب ، فقال له البياع : إنه يساوى أكثر من دينار ، فلم يزالوا يزيدون فى ثمنه حتى بلغ مائة دينار ، فجهزها .

وقال النضر بن شميل : ابتعت إزاراً فوجدته قصيراً فسألت ربى تعالى أن يمغط لى ذراعاً ، ففعل (يمغط : أى يمد ، من مغط القوس ، وهو « مده ») قال النضر بن شميل : ولو استزدته لزادنى .

وقيل : كان عامر بن عبد قيس سأل أن يهوّن عليه طهوره فى الشتاء ؛ فكان يؤتى به وله بخار ، وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يبالى بهن ، وسأله أن يمنع الشيطان من قلبه وهو فى صلاته فلم يجبه إليه .

وقال بشر بن الحارث : دخلت الدار فإذا أنا برجل ، فقلت : من أنت ؟ دخلت دارى بغير إذنى ، فقال : أخوك الخضر . فقلت : ادع الله لى . فقال : هون عليك طاعته ؛ فقلت : زدنى ، فقال : وسترها عليك .

وقال إبراهيم الخواص : دخلت خربة فى بعض الأسفار فى طريق مكة بالليل ؛ فإذا فيها

سبع عظيم ، فخفت ، فهتف بى هاتف : أثبت ؛ فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك .

أخبرنا محمد بن الحسين قال : أخبرنا أبو الفرج الورثانى قال : سمعت أبا الحسن على بن محمد الصيرفى يقول : سمعت جعفراً الدبيلى يقول : دخل النورى الماء فجاء لص فأخذ ثيابه ، ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده ، فقال النورى : قد ردّ علينا الثياب فرُدَّ عليه يده . فعوفى .

وقال الشبلى : أعتقدت[1] وقتاً أن لا آكل إلا من الحلال ، فكنت أدور فى البرارى ، فرأيت شجرة تين ، فمددت يدى إليها لآكل ، فنادتنى الشجرة : احفظ عليك عقدك ، لا تأكل منى فإنى ليهودى .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : دخلت بغداد قاصداً إلى الحج وفى رأسى نخوة الصوفية ، ولم آكل الخبز أربعين يوما ، ولم أدخل على الجنيد ، وخرجت ولم أشرب الماء إلى « زُبالة[2] » ، وكنت على طهارتى ، فرأيت ظبيا على رأس البئر وهو يشرب ، وكنت عطشان ، فلما دنوت من البئر ولى الظبى ، وإذا الماء فى أسفله[3] .. فمشيت وقلت : يا سيدى ، مالى محل هذا الظبى[4] ؟!

فسمعت من خلفى : جربناك فما صبرت !! ارجع وخذ الماء .

فرجعت ، فإذا البئر ملأى ماء ، فملأت ركوتى وكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة ، ولم ينفد .

ولما استقيت سمعت هاتفاً يقول : إن الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل ، وأنت جئت مع الركوة والحبل !! فلما رجعت من ا لحج ذخلت الجامع ، فلما وقع بصر الجنيد علىّ قال : لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك ، لو صبرت صبر ساعة !

سمعت حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى يقول : سمعت أبا أحمد بن علىّ الحافظ يقول : سمعت أحمد بن حمزة بمصر يقول : حدثنى عبد الوهاب – وكان من الصالحين – قال : قال، محمد بن سعيد البصرى : بينا أنا أمشى فى بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابيًّا يسوق جملاً ، فالتفتُّ فإذا الجمل قد وقع ميتاً ، ووقع الرجل والقتب ، فمشيت ثم التفت فإذا الأعرابى

---

(١) أى عزمت .
(٢) اسم بلدة .
(٣) الأولى : أسفلها .
(٤) أى منزلته فى أن أشرب الماء من أعلى البئر كما شرب الظبى .

يقول : يا مسبب كلّ سبب ، ويا مولى من طلب ، ردّ علىّ ما ذهب من جمل يحمل الرحل والقتب ، فإذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه .

وقيل : إن شبلاً المروذى اشتهى لحماً فأخذه بنصف درهم ، فاستلبته منه حدأة فى الطريق ، فدخل شبل مسجداً ليصلى ، فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحماً ، فقال : من أين هذا ؟ فقالت : تنازعت حدأتان ، فسقط هذا منهما ، فقال شبل : الحمد لله الذى لم ينس شبلاً ، وإن كان شبلٌ كثيراً ينساه .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثانى قال : سمعت محمد بن داود يقول : سمعت أبا بكر بن معمر يقول : سمعت ابن أبى عبيد البسرى يحدث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين ، فخرج فى السرية ، فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية ، فقال : يارب ، أعرناه حتى نرجع إلى « بُسرى » يعنى : قريته ، فإذا المهر قائم ، فلما غزا ورجع إلى « بسرى » وقال : يا بنى ، خذ السرج عن المهر ، فقلت : إنه عَرِقَ فإن أخذتُ السرج عنه داخله الريح ، فقال : يا بنى ، إنه عارية ، قال : فلما أخذتُ السرج عنه وقع المهر ميتا .

وقيل : كان بعضهم نباشاً ، فتوفيت امرأةٌ ، فصلى الناس عليها وصلى هذا النباش ؛ ليعرف القبر ، فلما جنَّ عليه الليل نبش قبرها ، فقالت : سبحان الله ، رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها ؟! قال : هبى أنك مغفور لك ، فأنا من أين ؟! فقالت : إن الله تعالى غفر لى ولجميع من صلى علىّ ، وأنت قد صليت علىَّ . قال : فتركتها ، ورددتُ التراب عليها ، ثم تاب الرجل وحسنت توبته .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول : سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الحيرى بالحيرة يقول : رأيت ذا النون المصرى وقد تقاتل اثنان : أحدهما من أولياء السلطان ، والآخر من الرعية ، فعدا الذى من الرعية عليه ، فكسر ثنيته ، فتعلق الجندى بالرجل وقال : بينى وبينك الأمير ، فجازوا بذى النون ، فقال لهم الناس : اصعدوا إلى الشيخ ؛ فصعدوا إليه ، فعرفوه ماجرى ، فأخذ السن ، ثم بلها بريقه ، وردّها إلى فم الرجل فى الموضع الذى كانت فيه ، وحرّك شفتيه[1] ، فتعلقت بإذن الله تعالى ، فبقى الرجل يفتش فاه ، فلم يجد الأسنان إلا سواء .

---

(١) أى دعا .

حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطان ببغداد قال : حدثنا أبو علىّ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار قال : حدثنا الحسين بن عرفة بن يزيد قال : حدثنا عبد الله بن إدريس الأودى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى سبرة النخعى قال : أقبل رجل من اليمن .. فلما كان فى بعض الطريق نفق حماره ، فقام وتوضأ ، ثم صلى ركعتين ، ثم قال : اللهم إنى جئت مجاهداً فى سبيل ابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد علىَّ منة ، اليوم أطلب منك أن تبعث حمارى . فقام الحمار ينفض أذنيه .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا بكر النابلسى يقول : سمعت أبا بكر الهمدانى يقول . بقيت فى برية الحجاز أياماً لم آكل شيئا ، فاشتهيت باقلا حاراً وخبزاً من « باب الطاق[1] » ؛ فقلت : أنا فى البرية وبينى وبين العراق مسافة بعيدة ، فلم أتمَّ خاطرى إلا وأعرابى من بعيد ينادى : باقلا حارٌّ وخبز ، فتقدمت إليه فقلت عندك باقلا حار وخبز ؟ فقال : نعم . وبسط مئزراً كان عليه ، وأخرج خبزاً وباقلا ، وقال لى : كل . فأكلت ، ثم قال لى : كل . فأكلت ، ثم قال لى : كل . فأكلت . فلما قال لى فى الرابعة ، قلت : بحق الذى بعثك إلىّ إلا ما قلت لى من أنت ؟ فقال : أنا الخضر . وغاب عنى فلم أره .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول . سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادى يقول . سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول . سمعت أبا جعفر الحداد يقول : جئت « الثعلبية » وهى خراب ، ولى سبعة أيام لم آكل شيئا ، فدخلت القبة ، وجاء قوم خراسانيون أصابهم جهدٌ فطرحوا أنفسهم على باب القبة ، فجاء أعرابى على راحلة وصبَّ تمراً بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لى شيئا ، ولم يرنى الأعرابى ، فلما كان بعد ساعة فإذا بالأعرابى جاء وقال لهم : معكم غيركم ؟ فقالوا : نعم ، هذا الرجل داخل القبة . قال : فدخل الأعرابى ، وقال لى . من أنت ؟ لم لم تتكلم ؟! مضيتُ ، فعارضنى إنسان فقال لى . قد خلفت إنساناً لم تطعمه . ولم يمكنى أن أمضى ، فتطوَّلت على الطريق[2] ، لأنى رجعت عن أميال !! وصبَّ بين يدى التمر الكثير ، ومضى ، فدعوتهم ، فأكلوا وأكلت .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا طاهر الرقى يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول : كلمنى جمل ؛ فى طريق مكة رأيت جمالا والمحامل عليها ، وقد مدّت أعناقها فى الليل ، فقلت : سبحان من يحمل عنها ما هى فيه ، فالتفت إلىّ جمل وقال لى : قل جلّ الله فقلت : جلّ الله .

---

(١) اسم مكان بالعراق .

(٢) أى أتعبتنى .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول : سمعت الحسن بن أحمد الفارسى يقول : سمعت الرقىّ يقول : سمعت أبا بكر بن معمر يقول : سمعت أبا ذرعة الجنبى يقول : مكرت بى امرأة فقالت : ألا تدخل الدار فتعود مريضاً ؛ فدخلت فأغلقت الباب .. ولم أر أحداً ؛ فعلمت ما فعلت ، فقلت : اللهم سوّدها . فاسودّت : فتحيرتْ . وفتحت الباب ؛ فخرجت ، فقلت : اللهم ردها إلى حالها فردّها إلى ما كانت عليه .

سمعت حمزة بن يوسف يقول : سمعت أبا محمد الغطريفى يقول : سمعت السراج يقول : سمعت أبا سليمان الرومى يقول سمعت : خليلاً الصياد يقول : غاب ابنى محمد فوجدنا عليه وجدا شديدا ؛ فأتيت معروفا الكرخىّ فقلت : يا أبا محفوظ ، غاب ابنى وأمه واجدة عليه !!

فقال : ما تشاء ؟

فقلت : ادع الله أن يردّه .

فقال اللهم إن السماء سماؤك ، والأرض أرضك .. وما بينهما لك .. ائت بمحمد .

قال خليل : فأتيت باب الشام فإذا هو واقف ، فقلت : أين كنت يا محمد ؟ فقال : يا أبت كنت الساعة بالأنبار .

قال الأستاذ أبو القاسم : واعلم أن الحكايات فى هذا الباب تربو على الحصر ، والزيادة على ماذكرناه تخرجنا عن المقصود من الإيجاز : وفيما ذكرناه مَقْنع[1] فى هذا الباب .

---

(١) أى رضا يقتنع به .

باب رؤيا القوم

قال الله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحياة الدُّنْيَا ، وَفِى الْآخِرَةِ[1] ﴾ .

قيل : هى الرؤيا الحسنة يراها المرء ، أو ترى له .

أخبرنا أبو الحسن الإهوازى قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى ، قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم المنقرى قال : حدثنا منصور بن أبى مزاحم قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى الدرداء قال : « سألت النبى ﷺ عن هذه الآية : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحَيَـاة الدُّنْيا وَفِى الْآخِرَةِ ﴾ قال صلى الله عليه وسلم : « ما سألنى عنها أحد قبلك . هى الرؤيا الحسنة يراها المرء ، أو ترى له » .

أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال : أخبرنا أبو على الحسن بن محمد زيد قال حدثنا على بن الحسين قال : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبى سلمة ، عن أبى قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ؛ فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره ، وليتعوذ ؛ فإنها لن تضرّه » .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد عبدوس المزكى قال : حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار قال : حدثنا عياش بن محمد بن حاتم قال : حدثنا عبد الله بن موسى قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص وأبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ .

« من رآنى فى المنام فقد رآنى ؛ فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى » .

ومعنى الخبر : أن تلك الرؤيا رؤيا صدق ، وتأويلها حق ، وأن الرؤيا نوع من أنواع الكرامات ، وتحقيق الرؤيا خواطرُ ترد على القلب ، وأحوال تتصور فى الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار ، فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية فى الحقيقة ، وإنما كان ذلك تصورا وأوهاما للخلق تقررت فى قلوبهم ، وحين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها ، فإذا استيقظ

---

(١) آية ٦٤ من سورة يونس .

ضعفت تلك الأحوال التى تصوَّرها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ، ومثاله[١] : كالذى يكون فى ضوء السراج عند اشتداد الظلمة ، فإذا طلعت الشمس عليه غلبت ضوء السراج . فيتقاصر نور[٢] السراج بالإضافة إلى ضياء الشمس ، فمثال حال النوم كمن هو فى ضوء السراج ، ومثال المستيقظ كمن تعالى عليه النهار ؛ فإن المستيقظ يتذكر ما كان متصوَّراً له فى حال نومه .

ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التى كانت ترد على قلبه فى حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان[٣] ، ومرةً من هواجس النفس[٤] ، ومرة بخواطر الملك[٥] ، ومرة تكون تعريفاً من الله عز وجل بخلق تلك الأحوال فى قلبه ابتداء ، وفى الخبر : « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا » .

واعلم أن النوم على أقسام : نوم غفلة ، ونوم عادة ؛ وذلك[٦] غير محمود ، بل هو معلول[٧] ؛ لأنه أخو الموت ، وفى بعض الأخبار المروية : « النوم أخو الموت » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيلِ ، وَيعلَمُ مَا جَرَحْتُم[٨] بِالنَّهَارِ ﴾[٩] .

وقال تعالى : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا[١٠] ﴾ .

وقيل : لو كان فى النوم خير لكان فى الجنة نوم .

وقيل : لما ألقى الله على آدم النوم فى الجنة أخرج منه حوّاء . وكلُّ بلاء به إنما حصل حين حصلت حواء .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : لما قال إبراهيم لإسماعيل ، عليهما السلام : يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك قال إسماعيل : يا أبت ، هذا جزاء من نام عن حبيبه ، لو لم تنم لما أمرت بذبح الولد .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : كذب من ادّعى محبتى ، فإذا جنَّه الليل نام عنى !!

والنوم ضد العلم ؛ ولهذا قال الشبلى : نعسةٌ فى ألف سنة فضيحة .

وقال الشبلى : اطلع الحق على الخلق فقال : من نام غَفَل ، ومن غَفَل حُجب ، فكان

---

(١) أى النائم الرائى .
(٢) وفى نسخة ضوء .
(٣) فتسمى أحلامًا .
(٤) فتسمى هاجسًا .
(٥) فتسمى رؤيا .
(٦) أى وكل منها .
(٧) مذموم .
(٨) كسبتم .
(٩) آية ٦٠ من سورة الأنعام .
(١٠) آية ٤٢ من سورة الزمر .

الشبلى يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم ، وفى معناه أنشدوا :

عجبًا للمحب كيف ينام كلّ نوم على المحب حرامُ

وقيل : المريد : أكله فاقة ، ونومه غلبةٌ ، وكلامه ضرورة .

وقيل : لما نام آدم عليه السلام بالحضرة قيل له : هذه حواء لتسكن إليها ، هذا جزاء من نام بالحضرة .

وقيل : إن كنت حاضراً فلا تنم ؛ فإن النوم فى الحضرة سوءُ أدب ، وإن كنت غائباً فأنت من أهل الحسرة والمصيبة ، والمصاب لا يأخذه نوم . وأمَّا أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله عليهم ، وأن الله عز وجل يباهى بالعبد إذا نام فى سجوده ، يقول : انظروا إلى عبدى نام وروحه عندي ، وجسده بين يدى .

وقال الأستاذ : أى روحه فى محل النجوى ، وبدنه على بساط العبادة .

وقيل : كل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله عز وجل قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتاً ﴾[1] » .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : شكا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة النوم ، فقال : اذهب فاشكر الله تعالى على العافية ، فكم من مريض فى شهوة غمضة من النوم الذى تشكو منه .

وقيل : لا شيء أشد على إبليس من نوم العاصى ؛ يقول : متى ينتبه ويقوم حتى يعصى الله !!

وقيل : أحسن أحوال العاصى أن ينام ؛ إن لم يكن الوقت له لم يكن عليه .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : تعود شاه الكرمانىُّ السهر ، فغلبه النوم مرة ، فرأى الحق ، سبحانه ، فى النوم ، فكان يتكلف النوم بعد ذلك ، فقيل له فى ذلك ؛ فقال :

رأيت سرور قلبى فى منامى فأحببت التنعسُّ والمناما

وقيل : كان رجل له تلميذان ، فاختلفا فيما بينهما ، فقال أحدهما : النوم خير ، لأن الإنسان لا يعصى الله فى تلك الحالة ، وقال الآخر : اليقظة خير ، لأنه يعرف الله تعالى فى تلك الحالة .

---

(١) آية ٩ من سورة النبأ .

فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال : أما أنت الذى قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة ، وأما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة ، فالحياة خيرٌ لك من الموت .

وقيل : اشترى رجل مملوكة ، فلما دخل الليل قال : افرشى الفراش . فقالت المملوكة : يا مولاى ، ألك مولى ؟ قال : نعم ، فقالت : ينام مولاك ؟ فقال : لا . قالت : ألا تستحى أن تنام ومولاك لا ينام !!

وقيل : قالت بنية لسعيد بن جبير : لم لا تنام ؟ فقال : إن جهنم لا تدعنى أن أنام .

وقيل : قالت بنت لمالك بن دينار : لم لا تنام ؟ فقال : إن أباك يخاف البيات .

وقيل : لما مات الربيع بن خيثم قالت بنية لأبيها : الأسطوانة[1] التى كانت فى دار جارنا أين ذهبت ؟ فقال : إنه كان جارنا الصالح يقوم من أول الليل إلى آخره ؛ فتوهمت البنية أنه كان سارية ؛ لأنها كانت لا تصعد السطح إلا بالليل فتجده قائماً[2] .

وقال بعضهم : فى النوم معان ليست فى اليقظة ؛ منها أنه يرى المصطفى ، ﷺ ، والصحابة ، والسلف الماضيين فى النوم ، ولا يراهم فى اليقظة وكذلك يرى الحق فى النوم ، وهذه مزية عظيمة .

وقيل : رأى أبو بكر الآجرى الحق ، سبحانه ، فى النوم ، فقال له : سل حاجتك ، فقال اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد ﷺ ، فقال : أنا أولى بهذا منك ، سل حاجتك .

وقال الكتانى : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقال لى : من تزين للناس بشىء يعلم الله منه خلافه شانه الله .

وقال الكتانى أيضا : رأيت النبى ﷺ فى المنام ، فقلت : ادع الله أن لا يميت قلبى ، فقال : قل كل يوم أربعين مرة « ياحى ، يا قيوم ، لا إله إلا أنت » فإن الله يحيى قلبك .

ورأى الحسن بن على ، رضى الله عنهما ، عيسى بن مريم ، فى المنام ، فقال : إنى أريد أن أتخذ خاتماً ، فما الذى أكتب عليه ؟ فقال : اكتب عليه : لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين » فإنه فى آخر الأنجيل[3].

وروى عن أبى يزيد[4] أنه قال : رأيت ربى عز وجل فى المنام ، فقلت ، كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال .

---

(١) أى السارية (العمود).
(٢) وقد سقطت هذه الجملة فى بعض النسخ.
(٣) أى فى خاتمته..
(٤) البسطامى.

وقيل : رأى أحمد بن خضرويه ربه فى المنام ، فقال : يا أحمد ، كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد فإنه يطلبنى .

وقال يحيى بن سعيد القطان : رأيت ربى فى المنام فقلت : يارب ، كم أدعوك فلا تستجيب لى !! فقال تعالى : يا يحيى إنى أحب أن أسمع صوتك .

وقال بشر بن الحارث : رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه فى المنام ، فقلت : يا أمير المؤمنين عظنى ، فقال : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله تعالى ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى ، فقلت له : يا أمير المؤمنين : زدنى ، فقال :

قد كنت ميتا فصرت حيا　　وعن قريب تصير ميتا
عِزْ[1] بدار الفناء بيت　　فابن بدار البقاء بيتا

وقيل : رؤى سفيان الثورى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : رحمنى ، فقيل له : ما حال عبد الله بن المبارك ؟ فقال : هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاجى فى المنام ، وكان الزجاجى يقول بوعيد الأبد[2] ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال الزجاجى : الأمر هاهنا أسهل مما كنا نظنه !!

ورؤى الحسن بن عاصم الشيبانى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما يكون من الكريم إلا الكرم .

ورؤى بعضهم فى المنام فسئل عن حاله ، فقال :

حاسبونا فدققوا　　ثم منوا فأعتقوا

ورؤى حبيب العجمى فى المنام ، فقيل له : متَّ يا حبيب العجمى ؟! فقال : هيهات .. ذهبت العجمة وبقيت فى النعمة .

وقيل : دخل الحسن البصرى مسجداً ليصلى فيه المغرب ، فوجد إمامهم حبيباً العجمى ، فلم يصل خلفه . لأنه خاف أن يلحن لعجمة فى لسانه ، فرأى فى المنام تلك الليلة قائلاً يقول له : لِمَ لَمْ تصل خلفه ؟ لو صليت خلفه لغفر لك ماتقدم فى ذنبك ..

---

(١) أى تعزز .
(٢) أى أن الكبائر لا يغفرها الله .

ورؤى مالك بن أنس فى المنام . فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة : « سبحان الحىّ الذى لا يموت » .

ورؤى فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأنَّ أبواب السماء مفتحة .. وكأن منادياً ينادى : ألا إن الحسن البصرى قدم على الله تعالى وهو عنه راض .

سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول : رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى فى المنام على حالة حسنة فقلت : يا أستاذ ، بم وجدت هذا ؟ فقال : بحسن ظنى بربى .

وقيل : رؤى الجاحظ فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

فلا تكتب بخطك غير شىء يسرّك فى القيامة أن تراه

وقيل : رأى الجنيدُ إبليس فى منامه عريانا ، فقال له : ألا تستحى من الناس ؟ فقال : هؤلاء لا ناس ، إنما الناس أقوام فى مسجد « الشونزية » أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى ، قال الجنيد : فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رءوسهم على ركبهم متفكرين ، فلما رأونى قالوا : لا يغرنك حديث الخبيث .

ورؤى النصر اباذى بمكة بعد وفاته فى النوم ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ! فقال : عوتبت عتاب الأشراف ، ثم نوديت : يا أبا القاسم ، أبعد الاتصال انفصال ؟ فقلت : لا ياذا الجلال ، فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بالأحد .

ورؤى ذو النون المصرى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : كنت أسأله ثلاث حوائج فى الدنيا ، فأعطانى البعض ، وأرجو أن يعطينى الباقى ؛ كنت أسأله أن يعطينى من العشرة[1] التى على يد رضوان واحدة ، ويعطينى بنفسه ، وأن يعذبنى عن الواحدة التى بيد مالك بعشرة ويتولىَّ هو[2] ، وأن يرزقنى أن أذكره بلسان الأبدية[3]

وقيل : رؤى الشبلى فى المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى إلا على شىء واحد ، قلت يوماً : لا خسارة أعظم من خسران الجنة ، ودخول النار ، فقال لى : وأىّ خسارة أعظم من خسران لقائى !! .

---

(١) أى الكرامات .

(٢) أى يتولى الله تعذيبه ، كما تولى نعيمه ، قال الإمام العروسى : إن غرضه أن الحق سبحانه يتولى كلا من نعيمه وعذابه ، وذلك ليعظم الأول ويسهل الثانى .

(٣) وهذه هى الطلبة الدنيوية التى تحققت له .

سمعت الأستاذ أبا علىّ يقول : رأى الجريرى الجنيد فى المنام . فقال : كيف حالك يا أبا القاسم ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات ، وبادت تلك العبارات ، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات . وقال النباجىّ : تشهيت يوما شيئا ، فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول : أيحمل بالحرّ المريد أن يتذلل للعبيد ، وهو يجد من مولاه ما يريد ؟!

وقال ابن الجلاء : دخلت المدينة[1] وبى فاقة ، فتقدمت إلى القبر ، وقلت أنا ضيفك يا نبىَّ الله .. فغفوت غفوة ، فرأيت النبى ﷺ فى نومى وقد أعطانى رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدى النصف [الآخر] .

وقال بعضهم : رأيت النبى ﷺ فى المنام يقول : زوروا ابن عون ؛ فإنه يحب الله ورسوله .

وقيل : رأى عتبة الغلامُ حوراء فى المنام على صورة حسنة ، فقالت له : يا عتبة ، أنا لك عاشقة ، فانظر أن لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال بينى وبينك ، فقال لها عتبة : طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لى عليها ، حتى ألقاك .

سمعت منصوراً المغربى يقول : رأيت شيخاً فى بلاد الشام كبير الشأن ، وكان الغالب عليه الانقباضُ ، فقيل لى : إن أردت أن ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل له : رزقك الله الحور العين ؛ فإنه يرضى منك بهذا الدعاء . فسألت عن سببه ، فقيل : إنه رأى شيئاً من الحور فى منامه ، فبقى فى قلبه شىء من ذلك ، فمضيت وسلمت عليه ، وقلت : رزقك الله الحور العين ، فانبسط الشيخ معى .

وقيل : رأى أيوب السختيانى جنازة عاص ، فدخل دهليزاً ؛ لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها فرأى بعضهم الميت فى المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى . وقال لى قل لأيوب السختيانى ﴿ قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ﴾[2] .

وقيل : رؤى الليلة التى مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت ، وقائلاً يقول : ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة .

وقال بعضهم : رأيت الليلة التى مات فيها داود الطائى نوراً ، وملائكة صعودا وملائكة نزولاً ، فقلت : أىّ ليلة هذه ؟ فقالوا : ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه على أهلها .

---

(١) المنورة .

(٢) آية ١٠٠ من سورة الإسراء .

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيرى : رأيت الأستاذ أبا علىّ الدقاق فى المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؛ فقال : ليس للمغفرة ها هنا كبير خطر[1] ، أقل من حضر ها هنا خطراً[1] « فلان » أعطى كذا كذا .

ووقع لى فى المنام أن ذلك الإنسان الذى عناه قتل نفساً بغير حقّ .

وقيل : لما مات كرز بن وبرة رؤى فى المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل : ما هذا ؟ قيل : إن أهل القبور كسوا ثياباً جدداً[2] لقدوم كرز بن وبرة عليهم .

ورؤى يوسف بن الحسين فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى ، فقيل له : بماذا ؟ فقال : لأنى ما خلطت جدا بهزل قط .

ورؤى أبو عبد الله الزرّاد فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : أوقفنى ، وغفر لى كلّ ذنب أقررت به فى الدنيا ، إلا واحداً استحييت أن أقرّ به ، فوقفنى فى العرق ، حتى سقط لحم وجهى !!

فقيل له : وما ذاك ؟ فقال : نظرت يوماً إلى شخص جميل ؛ فاستحييت أن أذكره .

سمعت أبا سعيد الشحام يقول : رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلًا الصعلوكى فى المنام ، فقلت له : أيها الشيخ ، فقال : دعْ الشيخ !! فقلت : وتلك الأحوال التى شاهدتها ؟! فقال : لم تغن عنا شيئا ، فقلت : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال غفر لى بمسائل كانت تسأل عنها العُجُز[3] فأجبتهم عنها .

سمعت أبا بكر الرشيدى الفقيه يقول : رأيت محمدا الطوسى المعلم فى المنام ، فقال لى : قل لأبى سعيد الصفار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى
فقد ، وحياة الحب حِلتُم ، وما حِلنا

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وأظهرتمُ الهجران ، ما هكذا كنّا !!
لعل الذى يقضى الأمور بعلمه ... سيجمعنا بعد الممات كما كنّا

---

(١) أى قدر .
(٢) وفى نسخة « لبسوا لباسًا جديدًا » .
(٣) العوام .

قال : فانتبهت ، وقلت ذلك لأبى سعيد الصفّار ، فقال : كنت أزور قبره كل يوم جمعة ، فلم أزره هذه الجمعة .

وحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت فى المنام رسول الله ﷺ وحوله جماعة من الفقراء ، فبينما هو كذلك إذ نزل من السماء ملكان ، وبيد أحدهما طست ، وبيد الآخر إبريق ؛ فوضع الطست بين يدى رسول الله ﷺ ، فغسل يده ، ثم أمر الملكين حتى غسلوا أيديهم ، ثم وضع الطست بين يدى ، فقال أحدهما للآخر : لا تصبَّ على يده ؛ فإنه ليس منهم ، فقلت يا رسول الله ، أليس قد روى عنك أنك قلت « المرء مع من أحب » ؟ فقال : بلى ، فقلت وأنا أحبك ، وأحبُّ هؤلاء الفقراء ، فقال ﷺ : صبّ على يده ، فإنه منهم » .

وحكى عن بعضهم أنه كان يقول ، أبداً[1] : العافية .. العافية ، فقيل له : ما معنى هذا الدعاء ؟ فقال : كنت حمالاً فى ابتداء أمرى ، وكنت حملت يوماً صدْراً[2] من الدقيق ، فوضعته لأستريح ، فكنت أقول : يارب ، لو أعطيتنى كلّ يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفى بهما ، فإذا رجلان يختصمان .

فتقدمت أصلح بينهما .. فضرب أحدهما رأسى بشىء أراد أن يضرب به خصمه ، فدمى وجهى .. فجاء صاحب « الربع » فأخذهما ، فلما رآنى ملوثا بالدم أخذنى وظن أننى ممن تشاجر . فأدخلنى السجن ، وبقيت فى السجن مدّه أوتى كلّ يوم برغيفين ، فرأيت ليلة فى المنام قائلاً يقول لى : إنك سألت الرغيفين كل يوم من غير نصب ، ولم تسأل العافية !! فأعطاك ما سألت . فانتبهت ، وقلت العافية ، العافية ، فرأيت باب السجن يُقرع ، وقيل : أين عمر الحمال ؟ فأطلقونى وخلوا سبيلى .

وحكى عن الكتانى أنه قال : كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه ، فقيل له : ألا تعالجها ؟ فقال : عزمت على أن لا أعالجها حتى تبرأ ، قال : فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول : لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم ، لأخرجناهم من النار .

وحكى عن الجنيد أنه قال : رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس[3] .. فوقف علىّ ملكٌ . فقال : أقرب ما تقرّب به المتقربون إلى الله ماذا ؟ فقلت : عملٌ خفىّ بميزان وفىّ . قال : فولى الملك عنى ، وهو يقول : كلام موفق والله .

---

(١) أى دائمًا .
(٢) أى حملا ثقيلًا .
(٣) أى : أعظهم .

وقال رجل للعلاء بن زياد : رأيت فى النوم كأنك من أهل الجنة . فقال : لعل الشيطان أراد أمراً فعُصمت منه ، فأشخص[١] إلىّ رجلا يعينه على مقصوده من إضلالى .

وقيل رؤى عطاء السلمى فى النوم ، فقيل له : لقد كنت طويل الحزن ، فما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما ، فقيل له : ففى أى الدرجات أنت ؟

فقال : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيينَ والصِّدِّيقِينَ .. ﴾ الآية[٢] .

وقيل : رؤى الأوزاعى فى المنام ، فقال : ما رأيت هاهنا درجة أرفع من درجة العلماء ، ثم المحزونين .

وقال النباجىّ : قيل لى فى المنام : من وثق بالله فى رزقه زيد فى حسن خلقه ، وسمحت نفسه فى نفقته ، وقلَّت وساوسه فى صلاته .

وقيل : رؤيت زُبيدة[٣] فى المنام ، فقيل لها : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقالت : غفر لى ، فقيل : بكثرة نفقتك فى طريق مكة ؟ فقالت : لا ، أما إنَّ أجرها عاد إلى أربابها ، ولكن غفر لى بنيَّتى .

ورؤى سفيان الثورى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : وضعت أول قدمىّ على الصراط ، والثانى فى الجنة .

وقال أحمد بن أبى الحوارى : رأيت فى النوم جارية ما رأيت أحسن منها ، يتلألأ وجهها نورا ، فقلت : ما أنور وجهك ، فقالت : تذكر الليلة التى بكيت فيها ؟ فقلت : نعم ، فقالت : حملت إلىّ دمعتك فمسحت بها وجهى ، فصار وجهى هكذا .

وقيل : رأى يزيد القرشى النبى ﷺ فى المنام ، فقرأ عليه ، فقال له : هذه القراءة فأين البكاء ؟!

وقال الجنيد : رأيت فى المنام كأن ملكين نزلا من السماء ، فقال أحدهما لى : ما الصدق ؟ فقلت : الوفاء بالعهد ، فقال الآخر : صدق ، ثم صعدَا .

---

(١) أى : أرسل .

(٢) آية ٦٩ من سورة النساء .

(٣) زوجة هارون الرشيد .

ورؤى بشر الحافى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : غفر لى ، وقال : أما استحييت يا بشر منى ، كنت تخافنى كلّ ذلك الخوف !!

وقيل : رؤى أبو سليمان الدارانى فى المنام ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى ، وما كان شىء أضرَّ علىَّ من إشارات القوم !!

وقال على بن الموفق : كنت أفكر يوماً فى سبب عيالى والفقر الذى بهم ، فرأيت فى المنام رقعة فيها مكتوب « بسم الله الرحمن الرحيم : يا ابن الموفق ، أتخشى الفقر وأنا ربُّك !! » .

فلما كان وقت الغلس أتانى رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار ، وقال : خذها إليك يا ضعيف اليقين .

وقال الجنيد : رأيت فى المنام كأنى واقف بين يدى الله تعالى فقال لى : ، يا أبا القاسم : من أين لك هذا الكلام الذى تقول ؟ فقلت : لا أقول إلا حقّا ، فقال : صدقت .

وقال أبو بكر الكتانى : رأيت فى المنام شابا لم أر أحسن منه ، فقلت : من أنت ؟ فقال : التقوى ، قلت : فأين تسكن ؟ قال : فى قلب كل حزين ، ثم التفت فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون ، فقلت : من أنت ؟ فقالت : الضحك ، فقلت : وأين تسكنين ؟ فقالت فى كل قلب فرح . مرح . قال : فانتبهت ، واعتقدت[1] أن لا أضحك إلا غلبة .

وحكى عن أبى عبد الله بن خفيف أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام كأنه قال لى : من عرف طريقاً إلى الله تعالى فسلكه ، ثم رجع عنه عذبه الله عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين .

ورؤى الشبلى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : ناقشنى حتى أيست ، فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته .

وقال أبو عثمان المغربى : رأيت فى النوم كأن قائلا يقول لى : يا أبا عثمان ، اتق الله فى الفقر ، ولو بقدر سمسمة .

وقيل : كان لأبى سعيد الخراز ابن مات قبله ، فرآه فى المنام ، فقال له : يا بنى ، أوصنى .

فقال : يا أبت ، لا تعامل الله على الجبن ، فقال : يا بنى ، زدنى .

فقال : لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به ، فقال : زدنى .

فقال : لا تجعل بينك وبين الله قميصاً[2] قال : فما لبس القميص ثلاثين سنة .

---

(١) عزمت .

(٢) أى : حائلاً يحجبك عن طاعة الله .

وقيل : كان بعضهم يقول فى دعائه : اللهم الشىء الذى لا يضرك وينفعنا لا تمنعه عنا ، فرأى فى المنام كأنه قيل له : وأنت . فالشىء الذى يضرك ولا ينفعك فدعه .

وحكى عن أبى الفضل الأصبهانى أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ، فقلت : يا رسول الله سل الله أن لا يسلبنى الإيمان ، فقال ﷺ : ذاك شىء قد فرغ الله تعالى منه .

وحكى عن أبى سعيد الخراز قال : رأيت إبليس فى المنام ، فأخذت عصاى لأضربه ، فقيل لى : إنه لا يفزع من هذا ، إنما يفزع من نور يكون فى القلب .

وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتها فى النوم تقول : هداياك تأتينا على أطباق من نور ، مخمّرة[1] بمناديل من نور .

ويروى عن سماك بن حرب أنه قال : كفّ بصرى ، فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول لى : إئت الفرات ، فانغمس[2] فيه ، وافتح عينيك ، قال : ففعلت ، فأبصرت .

وقيل : رؤى بشر الحافى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لما رأيت ربى عز وجل قال لى : مرحبا يا بشر ، لقد توفيتك يوم توفيتك ، وما على الأرض أحبّ إلىّ منك .

---

(١) أى مغطاة .

(٢) وفى نسخة « فاغتسل » .

باب الوصية للمريدين

قال الأستاذ الإمام : لما أثبتنا طرفا من سير القوم ، وضممنا إلى ذلك أبوابا من المقامات ، أردنا أن نختم هذه الرسالة بوصيَّة للمريدين ، نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها ، وأن لا يحرمنا القيام بها ، وأن لا يجعلها - سبحانه - حجة علينا .

فأول قدم للمريد فى هذه الطريقة ينبغى أن يكون على الصدق ، ليصحَّ له البناءُ على أصل صحيح ؛ فإن الشيوخ قالوا : إنما حُرموا الوصول لتضييعهم الأصول .

كذلك سمعت الأستاذ أبا على يقول ؛ فتجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى ، صاف عن الظنون والشبه ، خال من الضلالة والبدع ، صادر عن البراهين والحجج .

ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة .

وليس انتساب الصوفىّ إلى مذهب من مذاهب المختلفين ، سوى طريقة الصوفية ، إلا نتيجة جهلهم[1] بمذاهب أهل هذه الطريقة ؛ فإن هؤلاء حججهم فى مسائلهم أظهر من حجج كل أحد ، وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب .

والناس : إمَّا أصحاب النقل والأثر ، وإما أرباب العقل والفِكر .

وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة ؛ فالذى للناس غيبٌ ، فهو لهم ظهور[2] ، والذى للخلق من المعارف مقصود[3] فلهم[4] من الحق ، سبحانه ، موجود ، فهم أهل الوصال ، والناسُ أهل الاستدلال .

وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق   وظلامُه فى الناس سارى
فالناس فى سدَف[5] الظلام   ونحن فى ضوء النهار

---

(١) والأولى أن يقول « جهله » .
(٢) أى ظاهر .
(٣) أى مقصود تحصيله .
(٤) أى فهو لهم .
(٥) جمع سدفة (بفتح السين وإسكان الدال) وهى الظلمة .

ولم يكن عصر من الأعصار فى مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ، ممن له علوم التوحيد ، وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ ، وتواضعوا له وتبركوا به .

ولولا مزية ، وخصوصية لهم ، وإلا كان الأمر بالعكس .

هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعى ، رضى الله عنهما ، فجاء شيبان الراعى فقال أحمد : أريد يا أبا عبد الله أن أُنبِّه هذا على نقصان علمه ، ليشتغل بتحصيل بعض العلوم .

فقال الشافعى : لا تفعل !!

فلم يقنع ؛ فقال لشيبان : ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ، ولا يدرى أىّ صلاة نسيها ، ما الواجب عليها : يا شيبان ؟!

فقال شيبان : يا أحمد ، هذا قلب غفل عن الله تعالى ، فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعدُ !!

فغشى على أحمد .. فلما أفاق ، قال له الإمام الشافعى ، رحمه الله : ألم أقل لك لا تحرك هذا !!

وشيبان الراعى كان أميًّا منهم ، فإذا كان حالُ الأمىِّ منهم هكذا ، فما الظنُّ بأئمتهم ؟؟

وقد حكى أن فقيها من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشبلى فى جامع « المنصور » ، وكان يقال لذلك الفقيه « أبو عمران » وكان تتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلىّ .

فسأل أصحابُ أبى عمران يوما الشبلىّ عن مسألة فى الحيض ، وقصدوا إخجاله !! فذكر مقالات الناسَ فى تلك المسألة ، والخلافَ فيها .

فقام أبو عمران وقَبَّل رأس الشبلىّ ، وقال : يا أبا بكر ، استفدت فى هذه المسألة عشر مقالات ، لم أسمعها ، وكان عندى من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل .

وقيل : اجتاز أبو العباس بن شريح الفقيه بمجلس الجنيد ، رحمهما الله ، فسمع كلامه ، فقيل له : ما تقول فى هذا الكلام ؟

فقال : لا أدرى ما يقول ... ولكنى أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل .

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب : أنت تتكلم على كلام كل أحد ، وها هنا رجل يقال له الجنيد ، فانظر هل تعترض عليه أم لا ؟ فحضر حلقته .

فسأل الجنيدَ عن التوحيد فأجابه ، فتحيّر عبد الله وقال : أعد عليّ ما قلت ؟ فأعاده ولكن لا بتلك العبارة .

فقال له عبد الله : هذا شيء آخر لم أحفظه ، تعيده عليّ مرّة أخرى .

فأعاد بعبارة أخرى ، فقال عبد الله : ليس يمكنى حفظ ما تقول !! أمْلِه علينا ، فقال : إن كنت أَجَزْته[1] فأنا أمليه ، فقام عبد الله ، وقال بفضله ، واعترف بعلوّ شأنه .

فإذا كان أصول هذه الطائفة أصحَّ الأصول ، ومشايخُهم أكبرَ الناس ، وعلماؤهم أعلَم الناس ، فالمريد الذى له إيمان بهم : إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خُصُّوا به من مكاشفات الغيب ، فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة ، وإن كان مريداً طريقة الاتباع وليس بمستقل بحاله ، ويريد أن يعرِّج فى أوطان التقليد إلى أن يصل إلى التحقيق فليقلد سلَفَه ، وليجر على طريقة هذه الطبقة[2] ؛ فإنهم أولى به من غيرهم .

ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الشبلىّ يقول : ما ظنك بعِلم عَلِمَ العلماءُ فيه تهمة !!

وسمعته يقول : سمعت محمد بن على بن محمد المخرمى يقول : سمعت محمد بنِ عبد الله الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول : لو علمت أن لله عِلْماً تحت أديم[3] السماء أشرفُ من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه ، ولقصدته .

وإذا أَحْكم المريدُ بينه وبين الله عقدَه ، فيجب أن يحصل من علم الشريعة ، إمّا بالتحقيق ، وإما بالسؤال عن[4] الأئمة ما يؤدّى به فَرْضَه ، وإن اختلف عليه فتاوَى الفقهاء يأخذُ بالأحوط ؛ ويقصد[5] الخروجَ من الخلاف ، فإن الرُّخَصَ فى الشريعةَ للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال .

وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقهِّ سبحانه ، ولهذا قيل : إذا انحطّ الفقير عن درجة الحقيقة إلى رُخصة الشريعة فقد فسخ عقده[6] مع الله ، ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى .

ثم يجب على المريد أن يتأدّب بشيخ ؛ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً .

---

(١) أى سلكته .

(٢) وفى نسخة : « الطائفة » .

(٣) أديم : وجه .

(٤) عن بمعنى من .

(٥) أى بالأخذ بالأحوط .

(٦) أى عزمه وتصميمه .

هذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان .

وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ، ولكن لا تُثمر ؛ كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ من طريقته نَفَسًا[١] نَفَسًا فهو عابد هواه ، لا يجد نفاذاً .

ثم إذا أراد السلوكَ فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله سبحانه من كلّ زلة ؛ فيدع جميع الزلات : سرّها وجهرها ، صغيرها وكبيرها ، ويجتهد فى إرضاء الخصوم أولا ، ومن لم يُرض خصومَه لا يفتح له من هذه الطريقة بشىء .

وعلى هذا النحو جروا ، ثم بعد هذا يعمل فى حذف العلائق والشواغل ؛ فإنَّ بناء هذا الطريق على فراغ القلب .

وكان الشبلىُّ يقول للحصرىِّ فى ابتداء أمره : إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية التى تأتينى فيها غيرَ الله تعالى فحرام عليك أن تحضرنى .

وإذا أراد الخروجَ عن العلائق فأوّلها : الخروج عن المال ؛ فإن ذلك الذى يميل به عن الحق ، ولم يوجد مريدٌ دخل فى هذا الأمر[٢] ومعه علاقة من الدنيا إلا جرّته تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج ، فإذا خرج عن المال ، فالواجب عليه الخروجُ عن الجاه ، فإن ملاحظة حبّ الجاه مقطعة عظيمة .

وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردّهم لا يجىء منه شىء ، بل أضرُّ الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث[٣] ، وهو بعد لم يصحح الإرادة ، فكيف يصحّ أن يتبرّك به ؟!

فخروجهم من الجاه واجب عليهم ؛ لأن ذلك سمٌّ قاتل لهم ، فإذا خرج عن ماله وجاهه فيجب أن يصحح عقده[٤] بينه وبين الله تعالى ، وأن لا يخالف شيخه فى كلِّ ما يشير عليه ؛ لأن الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر ؛ لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره .

ومن شرطه : أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه ، فإذا خطر ببال المريد أن له فى الدنيا والآخرة قدرا أو قيمة ، أو على بسيط الأرض أحد دونه لم يصح له فى الإرادة قدم ، لأنه يجب أن يجتهد ، ليعرف ربه ، لا ليحصِّل لنفسه قدراً .

وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه ، إما فى عاجله وإما فى آجله ، ثم

---

(١) أى درجة درجة ومقامًا مقامًا .

(٢) أى فى التصوف .

(٣) أى عن الملاحظة والتبرك .

(٤) أى عهده .

يجب عليه حفظ سره حتى عن زِرّه إلا عن شيخه ، ولو كتم نفسا من أنفاسه عن شيخه فقد خانه فى حق صحبته ، ولو وقعت له مخالفة فيما أشار عليه شيخه ، فيجب أن يقر بذلك بين يديه فى الوقت ، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته ، إما بسفر يُكلفه ، أو أمر ما يراه .

ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين ، لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى ، وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار ، بل يجب أن يقدم التجربة له ، فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله فى هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء ، فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل ، والفقر والأسقام والآلام ، وأن لا يجنح بقلبه إلى السهولة ، ولا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات ، ولا يؤثر الدعة ، ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شر من فترته .

والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها ، والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل .

وكل مريد وقف فى ابتداء إرادته لا يجىء منه شىء .

فإذا جَرَّبه شيخه ، فيجب عليه أن يلقنه ذكرا من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ، ثم يأمره أن يستوى قلبه مع لسانه ، فيقول له : اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك ، ولا يجرى على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك ثم يأمره أن يكون أبداً فى الظاهر على الطهارة ، وأن لا يكون نومه إلا غلبة ، وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيئا بعد شىء حتى يقوى على ذلك ، ولا يأمره أن يترك عادته بمرة ، فإن فى الخبر : « إنَّ المنبتَّ[1] لا أرضا قطع ، ولا ظهراً أبقى » .

ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة ، ويجعل اجتهاده فى هذه الحالة لا محالة فى نفى الخواطر الدنيَّة والهواجس الشاغلة للقلب .

واعلم ، أن فى هذه الحالة قلما يخلو المريد فى أوان خلوته فى ابتداء إرادته من الوساوس فى الاعتقاد ، لاسيما إذا كان فى المريد كياسة قلب ، وقلَّ مريدٌ لا تستقبله هذه الحالة[2] فى ابتداء إرادته .

---

(١) أى الرجل الذى حمل دابته ما لا تطيقه فماتت فى الطريق .

(٢) أى ابتلاؤه بالوساوس .

وهذه من الامتحانات التى تستقبل المريدين ، فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة[١] ، أن يحيله على الحجج العقلية ، فإن بالعلم يتخلص لا محالة المتعرّف مما يعتريه من الوساوس .

وإن تفرّس شيخه فيه القوة والثبات فى الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع فى قلبه أنوار القبول ، وتطلع فى سره شموس الوصول ، وعن قريب يكون ذلك .

ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريدين ، فأما الغالب فأن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر[٢] ، وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد .

وأعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب[٣] ، وذلك أنهم إذا خَلوا فى مواضع ذكرهم ، أو كانوا فى مجالس سماع ، أو غير ذلك فيهجس فى نفسه ويخطر ، ببالهم أشياء منكرة ، يتحققون أن الله ، سبحانه ، منزه عن ذلك ، وليس تعتريهم شبهة فى أن ذلك باطل ، ولكن يدوم ذلك ، فيشتد تأذيهم به ، حتى يبلغ ذلك حدا يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر ، بحيث لا يمكن المريد إجراء ذلك على اللسان ، وإبداؤه لأحد ، وهذا أشد شىء يقع لهم .

فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر ، واستدامة الذكر ، والابتهال إلى الله باستدفاع ذلك .

وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان ، وإنما هى من هواجس النفس ، فإذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه .

ومن آداب المريد ، بل من فرائض حاله ، أن يلازم موضع إرادته[٤] ، وأن لا يسافر قبل أن تقبله الطريق ، وقبل الوصول بالقلب إلى الرب ، فإن السفر للمريد فى غير وقته سم قاتل ، ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر فى غير وقته .

وإذا أراد الله بمريد خيرا ثبته فى أول إرادته ، وإذا أراد الله بمريد شرا رَده إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته ، وإذا أراد الله بمريد محنة شرَّده فى مطارح غربته .

هذا إذا كان المريد يصلح للوصول : فأما إذا كان شابا طريقته الخدمة فى الظاهر بالنفس للفقراء ، وهو دونهم فى هذه الطريقة رتبة ، فهو وأمثاله يكتفون بالترسم فى الظاهر ، فينقطعون فى الأسفار . وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حِجَّات يحصِّلونها ، وزيارات لموضع يُرْتحل إليه ،

---

(١) أى حذقًا .

(٢) أى : الدليل .

(٣) أى باب الوساوس .

(٤) أى الخلوة .

ولقاء شيوخ بظاهر سلام ، فيشاهدون الظواهر ، ويكتفون بما فى هذا الباب من السير ، فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر ، حتى لا تؤدّيهم الدَّعة إلى ارتكاب محظور فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان فى معرض الفتنة[١] .

وإذا توسّط المريد جمعَ الفقراء والأصحاب فى بدايته فهو مضر له جدا ، فإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ ، والخدمة للأصحاب ، وترك الخلاف عليهم ، والقيامَ بما فيه راحة الفقير ، والجهد فى أن لا يستوحش منه قلب شيخ .

ويجب أن يكون فى صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه ، ولا يكون خصم نفسه عليهم ، ويرى لكل واحد منهم عليه حقا واجباً ، ولا يرى لنفسه واجباً على أحد .

ويجب أن لا يخالف المريد أحداً ، وإن علم أن الحق معه يسكت ، ويُظهر الوفاق لكل أحد .

وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج[٢] ومماراة[٣] فإنه لا يجىء منه شىء !!

وإذا كان المريد فى جمع من الفقراء ، إمّا فى سفر أو حَضَر ، فينبغى أن لا يخالفهم فى الظاهر ، لا فى أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة ، بل يخالفهم بسرهّ وقلبه ، فيحفظ قلبه مع الله عزَّ وجلَّ ، وإذا أشاروا عليه بالأكل ، مثلًا ، يأكل لقمة أو لقمتين ، ولا يعطى النفس شهوتها .

وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد فى الظاهر ، فإن القوم فى مكابدة إخلاء خواطرهم ، ومعالجة أخلاقهم ، ونفى الغفلة عن قلوبهم ، لا فى تكثير أعمال البر ، والذى لا بدّ لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة .

فأما الزيادة من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم .

ورأس مال المريد : الاحتمال عن[٤] كل أحد ، بطيبة النفس ، وتلقى ما يستقبله بالرضا ، والصبر على الضر والفقر ، وترك السؤال والمعارضة فى القليل والكثير فيما هو حظ له .

ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق ، فإن من اشتهى ما يشتهيه الناس ، فالواجب أن يحصِّل شهوته من حيث يحصِّلها الناس ، من كد اليمين ، وعرَق الجبين .

وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد فى خلوته مالم يجده قبله إمّا فى النوم

---

(١) أى معرضا لها .
(٢) غضب .
(٣) مجادلة .
(٤) عن بمعنى من .

وإما فى اليقظة ، أو بين اليقظة والنوم من خطاب يُسْمع ، أو معنى يُشَاهد مما يكون نقضاً للعادة ، فينبغى أن لا يشتغل بذلك[١] ألبتة ، ولا يسكن إليه ، ولا ينبغى له أن ينتظر حصول أمثال ذلك ، فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه .

ولا بد له فى هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغاً عن ذلك .

ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره ، فيكتم عن غيره أمره ، ويصغر ذلك فى عينه[٢] ، فإن ذلك كله اختبارات ، والمساكنة إليها مكر ، فليحذر المريد عن ذلك ، وعن ملاحظتها ، وليجعل همته فوق ذلك .

وأعلم أن أضرّ الأشياء بالمريد : استئناسه بما يلقى إليه فى سره من تقريبات الحق سبحانه له ، ومنته عليه بأنى خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك ، فإنه[٣] لو قال[٤] بترك هذا فعن قريب سيختطف عن ذلك[٥] مما يبدو له من مكاشفات الحقيقة .

وشرح هذه الجملة[٦] بإثباته فى الكتب متعذر .

ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به فى موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب فى وقته لإرشاد المريدين ، ثم يقيم عليه ، ولا يبرح عن سدّته[٧] إلى وقت الإذن .

واعلم أن تقديم معرفة رب البيت – سبحانه – على زيارة البيت واجب ، فلولا معرفة ربّ البيت ما وجبت زيارة البيت ، والشباب الذين يخرجون إلى الحج ثم زيارة البيت من هؤلاء القوم[٨] من غير إشارة إلى الشيوخ فهى[٩] بدلالات نشاط النفوس ، فهم متوسمون[١٠] بهذه الطريقة ، وليس سفرهم على أصل .

والذى يدل على ذلك : أنه لا يزداد سفرهم إلا وتزداد تفرقة قلوبهم ، فلو انهم ارتحلوا من عند[١١] أنفسهم بخطوة لكان أحظى لهم من ألف سفرة .

---

(١) أى بما وجده فى خلوته .
(٢) أى يزهده فيه ويأمره بالإعراض عنه لئلا يقف عنده فيختل سلوكه . وليرغبه فى الأرقى .
(٣) أى المريد .
(٤) أى عزم وصمم .
(٥) أى يفتح عليه بما هو أعظم .
(٦) أى جملة ما يلقى إلى المريد فى سره من تقريبات الحق .
(٧) باب داره .
(٨) يعنى الفقراء .
(٩) أى سفرتهم .
(١٠) أى مظهرون على أنفسهم لعلامتها .
(١١) أى خرجوا على رغبات أنفسهم .

ومن شرط المريد إذا زار شخصا أن يدخل عليه بالحرمة[1] ، وينظر إليه بالحشمة ، فإن أهله الشيخ لشىء من الخدمة عدّ ذلك من جزيل النعمة .

فصل

ولا ينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة ، بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم ؛ فيحسن بهم الظنّ ويراعى مع الله تعالى حدّه فيما يتوجه عليه من الأمر .

والعلم كافيه فى التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول .

فصل

وكلّ مريد بقى فى قلبه لشىء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز .

وإذا بقى فى قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعا من أنواع البرّ ، أو شخصا دون شخص ، فهو متكلف فى حاله ، وبالخطر أن يعود سريعا إلى الدنيا ، لأن قصد المريد فى حذف العلائق الخروجُ منها ، لا السعى فى أعمال البرّ .

وقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله ، وقنيته[2] ، ثم يكون أسير حرفة .

وينبغى أن يستوى عنده وجود ذلك وعدمه ، حتى لا ينافر لأجله فقيرا ، ولا يضايق به أحداً ، ولو مجوسيًّا .

فصل

وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته .

ومن ردّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غبّ[3] ذلك ، ولو بعد حين .

ومن خُذل بترك حرْمة الشيوخ فقد أظهر رقم[4] شقاوته ، وذلك لا يخطئ .

---

(١) بالأدب والاحترام .

(٢) أى ما اقتناه .

(٣) أى عاقبة .

(٤) علامة .

فصل

ومن أصعب الآفات فى هذه الطريقة صحبة الأحداث .

ومن ابتلاه الله بشىء من ذلك فبإجماع الشيوخ : ذلك[1] عبدٌ أهانه الله عزّ وجلّ وخذله ، بل عن نفسه شغله ، ولو بألف ألف كرامة أهله .

وهب أنه بلغ رتبة الشهداء ، لما فى الخبر تلويح بذلك ، أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق !!

وأصعب من ذلك : تهوين ذلك على القلب ، حتى يعد ذلك يسيرا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا . وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾[2] .

وهذا الواسطى رحمه الله ، يقول : إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف .

سمعت أبا عبد الله الصوفى يقول : سمعت محمد بن أحمد النجار يقول : سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول : سمعت فتحا الموصلىّ يقول : صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يُعدُّون من الأبدال ، كلهم أوصونى عند فراقى إياهم ، وقالوا لى : اتق معاشرة الأحداث ومخالطتهم .

ومن ارتقى فى هذا الباب[3] عن حالة الفسق ، وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضرّ ، وما قالوه[4] من وساوس القائلين بالشاهد ، وإيراد حكايات عن بعض الشيوخ ، لما كان الأولى بهم إسبال الستر على هناتهم وآفاتهم ، الصادرة منهم فذلك نظير الشرك وقرين الكفر .

فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ، ومخالطتهم ؛ فإن اليسير منه فتح باب الخذلان ، وبدء حال الهجران . ونعوذ بالله من قضاء السوء .

فصل

ومن آفات المريد : ما يتداخل النفس من خفىِّ الحسد للإخوان ، والتأثر بما يفرد الله عز وجل به أشكاله من هذه الطريقة ، وحرمانه إيّاه ذلك .

---

(١) أى الذى ابتلى بشىء مما ذكر .

(٢) آية ١٥ من سورة النور .

(٣) أى باب صحبة الأحداث .

(٤) والأولى أن يقال « وما قاله » .

وليعلم أن الأمور قِسَم[1] ، وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحق ، وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه .

فكل من رأيت أيها المريد قَدم الحقُّ ، سبحانه ، رتبته فاحمل أنت غاشيته[2] ؛ فإن الظرفاء من القاصدين[3] على ذلك استمرت سنتهم .

فصل

واعلم أن من حق المريد إذا اتفق وقوعه فى جمع إيثار الكل بالكل[4] ، فيقدِّم الجائع والشبعان على نفسه ، ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ ، وإن كان هو أعلم منه ، ولا يصل إلى ذلك إلا بتبريه عن حوله وقوته ، وتوصله إلى ذلك بطول[5] الحق ومنته .

فصل

وأمّا آداب المريد فى السماع ؛ فالمريد لا تسلم له الحركة فى ا لسماع بالاختيار ألبتة ؛ فإن ورد عليه وارد حركة ولم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر ، فإذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون ، فإن استدام الحركة مستحليا للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح[6] ، فإن تعود ذلك يبقى متخلفا لا يكاشف بشىء من الحقائق ، فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبه .

وفى الجملة إن الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله ، مريدا كان أو شيخاً ، إلا أن تكون بإشارة من الوقت ، أو غلبة تأخذ عن التمييز .

فإن كان مريدا أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على إشارته[7] فلا بأس إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله .

وأما إذا أشار عليه الفقراء بالمساعدة فى الحركة فيساعدهم فى القيام ، وفى أداء مالا يجد منه بداً مما يراعى عن[8] الاستيحاش لقلوبهم[9] .

ثم إنّ صدقه فى حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم عند المساعدة معهم .

---

(١) جمع قسم (بكسر القاف وإسكان السين) أى حظ ونصيب .
(٢) كناية عن الخضوع .
(٣) للوصول إلى الله .
(٤) إى إيثار جميع الناس بكل ما معه .
(٥) بفضل الله .
(٦) أى لم يصح سماعه .
(٧) أى لأجلها .
(٨) عن بمعنى فى .
(٩) أى فى طرق البعد عنهم .

وأما طرح الخرقة فحق المريد أن لا يرجع فى شىء خرج منه ألبتة ، اللهم إلا أن يشير عليه شيخ بالرجوع فيه ، فيأخذه على نية العارية بقلبه ، ثم يخرج عنه بعده من غير أن يستوحش قلب ذلك الشيخ .

وإذا وقع بين قوم عادتهم طرحُ الخرقة ، وعلم أنهم يرجعون فيها ، فإن لم يكن فيهم شيخ تجب حشمته وحرمته ، وكان طريق هذا المريد أن لا يعود فى الخرقة فالأحسن له أن يساعدهم فى الطرح ، ثم يؤثر به القوّال إذا رجعوا هم فيها[١] ، ولو لم يطرح ؛ فإنه يجوز إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا فإن القبيح إنما هو سنتهم فى العود إلى الخرق ، لا فى مخالفته لهم . على أن الأولى الطرْح على الموافقة ، ثم ترك الرجوع فيه .

ولا يسلم للمريد ألبتة التقاضى[٢] على[٣] القوال ؛ لأن صدق حاله يحمل القوال على التكرار ، ويحمل غيره على الافتضاء .

ومن تبرك بمريد فقد جار عليه ، لأنه يضره لقلة قوّته ، فالواجب على المريد ترك تربية الجاه[٤] عند من قال بتركه وإثباته .

فصل

وإن ابتلى مريد بجاه ، أو معلوم ، أو صحبة حدث ، أو ميل إلى امرأة ، أو استنامة إلى معلوم ، وليس هناك شيخ يدله على حيلة يتخلص بها من ذلك ، فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع ، ليشوش على نفسه تلك الحالة .

ولا شىء أضر بقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم .

ومن آداب المريد : أن لا يسبق علمه فى هذه الطريقة منازلته[٥] ، فإنه إذا تعلم سير هذه الطائفة ، وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه بها بالمنازلة والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعانى ، ولهذا قال المشايخ : إذا حدّث العارف عن المعارف[٦] ، فجهِّلوه ، فإن الاخبار عن المنازل دون المعارف .

ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم ، لا صاحب سلوك .

---

(١) أى فى خرقهم .
(٢) أى الطلب .
(٣) أى لا ينبغى له أن يطلب منه تكرار ما أنشده .
(٤) أى أسباب الظهور .
(٥) أى منزلته .
(٦) أى المعلوم .

فصل

ومن آداب المريدين : أن لا يتعرّضوا للتصدر ، وأن يكون لهم تلميذا ومريدا فإن المريد إذا صار مرادا[١] ، قبل خمود بشريته وسقوط آفته ، فهو محجوب عن الحقيقة ، لا تنفع أحدا إشارته وتعليمه .

فصل

وإذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رُسلهم إليه . فلا ينبغى أن يخالف المريد ما حكم به باطنه عليه من الخلوص فى الخدمة ، وبذلك الوسع والطاقة .

فصل

ومن شأن المريد إذا كان طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه .

وأن يعتقد أنه يبذل روحه فى خدمتهم ، ثم لا يحمدون له أثرا ، فيعتذر إليهم من تقصيره ، ويقرّ بالجناية على نفسه ؛ تطبيقا لقلوبهم .

وإن علم أنه برىء الساحة ، وإذا زادوه فى الجفاء ، فيجب أن يزيدهم فى الخدمة والبرّ .

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول : إن فى المثل : « إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سندانا » . وفى معناه انشدوا :

ربما جئته لأسلفه العذر   لبعض الذنوب قبل التجنى

فصل

وبناء على هذا الأمر ومِلاكه ، على حفظ آداب الشريعة ، وصون اليد عن المدّ إلى الحرام والشبهة ، وحفظ الحواس عن المحظورات ، وعدّ الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات[٢] ، وأن لا يستحلّ مثلا سمسمة فيها شبهة فى أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ، ووقت الراحات ؟!

---

(١) أى مرادًا للخلق لينتفعوا به .

(٢) أى ليبتعد عن الغفلات ، والتعبير كناية عن التفرغ لعبادة الله .

ومن شأن المريد دوام المجاهدة فى ترك الشهوات ، فإن من وافق شهوته عدَم صفوته .

وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى .

فصل

ومن شأن المريد : حفظ عهوده مع الله تعالى ، فإن نقضَ العهد فى طريق الإرادة كالرِّدة عن الدين لأهل الظاهر .

ولا ينبغى للمريد أن يعاهد الله تعالى على شىء باختياره ما أمكنه ، فإن فى لوازم الشرع ما يستوفى منه كل وسع : قال الله تعالى فى صفة قوم : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ ، فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[1] .

فصل

ومن شأن المريد . قِصَر الأمل ؛ فإن الفقير ابنُ وقته .

فإذا كان له تدبير فى المستقبل ، وتطلُّع لغير ما هو فيه من الوقت ، وأَمَلٌ فيما يستأنفه لا يجىء منه شىء .

فصل

ومن شأن المريد : أن لا يكون له معلوم ، وإن قلّ ، لا سيما إذا كان بين الفقراء ؛ فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت .

فصل

ومن شأن المريد ، بل من طريقة سالكى هذا المذهب : ترك قبول رفق النسوان ، فكيف التعرض لاستجلاب ذلك ؟!

وعلى هذا درج شيوخهم ، وبذلك نفذت وصاياهم .

ومن استصغر هذا[2] ، فعن قريب يلقى ما يفتضح فيه .

---

(١) من آية ٢٧ من سورة الحديد .

(٢) أى الحكم السابق وهو قبول عطايا النساء .

فصل

ومن شأن المريد : التباعد عن أبناء الدنيا ، فإنَّ صُحبتهم سمٌّ مجرَّب !! لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾[1] .

وأنّ الزّهاد يخرجون المال عن[2] الكيس تقرُّباً إلى الله تعالى ، وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله تعالى .

* * *

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، رضى الله تعالى عنه :

فهذه وصيتنا إلى المريدين ، نسأل الله الكريم لهم التوفيق ، وأن لا يجعلها وبالا علينا .

وقد نجز لنا إملاء هذه الرسالة فى أوائل سنة : ثمان وثلاثين وأربعمائة ، نسأل الله الكريم أن لا يجعلها حجة علينا ووبالاً ، بل تكون لنا وسيلة ونوالاً ، إنّ الفضل منه مألوف ، وهو بالعفو موصوف .

والحمد لله حقّ حمده ، وصلواته ، وبركاته ، ورحمته على رسوله سيدنا محمد النبىّ الأمىّ وآله الطاهرين ، وصحبه الكرام المنتخبين ، وسلّم تسليماً كثيراً .

---

(١) من آية ٢٨ من سورة الكهف .

(٢) وفى نسخة « من » .



فهرس موضوعات الجزء الثانى

فهـــرس الأعـــلام

هذه العلامة = معناها: انظر

(ب)

(غ)

رقم الإيداع	١٩٩٤/١١٤٥٢	
الترقيم الدولى	977-02-4818-5	ISBN

١/٩٠/١٠١

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)



Dhakhāir AL Arab 75

EL Resalā AL Kūshairia

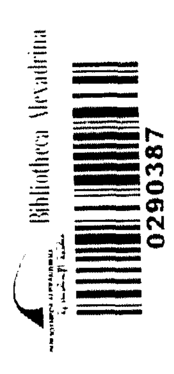
LiL Imam Abil Kasem Abdel Karim Al Kushairy

Editted By

AL Imam, Dr. Abdel Halim Mahmoud

Dr. Mahmoud Ibn El Sherif







DAR AL-MAAREF